الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر — معهد الآثار

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية

الأطلس الأثري لإقليم الزاب في العهد الإسلامي (بسكرة نموذجًا)

إعداد الطالب :
مصطفى سالم

تحت إشراف
الأستاذ الدكتور
صالح يوسف بن قربة

السنة الجامعية : 2009/2008

الإهـــــداء

أهـدي ثمـرة عملـي هـذا المتواضـع إلى من قـال فـيهما عـز وجـل ((وقضى ربك ألا تعبد إلاّ إياه وبالوالدين إحسانًا))

الوالـدين الكريمين أبي وأمي أطال الله في عمرهما .

وإلى كل شهداء الأمس واليوم كي تبقى الجزائر حرة مستقلة وإلى كل عين ساهرة لهذا الوطن الحبيب .

الجزائر

كـما أهـديها إلى كل من الأسـتاذ طـارق سـاحد وإلى قائد كتيبـة الأبحـاث لميـاء مبطـوش وكـمال ديلمي ، وجـادي عبـد القـادر والأسـتاذة عباس زكية وزوجها ومحمد سوري.

وعمي حسين بوخبزة وشكرا

مصطفى سالم

شكر وعرفان

أتوجه بالشـكر والعرفان إلى أســتاذي، وقدوتي، ويُمنى يدي الأستاذ الفاضل الدكـتور صالح بن قربة، الذي تجشّم معي ودلّني بعينه البصيرة على كل المآثر التاريخـية التي تدخل في صلب موضوعي، كما أشكره على الصبر وكذا التوجـيهات التي لولاهـا، ما كان لهـذا البحـث أن يقـوم علـى سـوقه.

فجــزاه الله خيـرًا، وجـعل هـذا العمل في ميـزان حسـناته.

كلمة شكر

أتوجه بالشكر كل الشكر مرة ثانية إلى أستاذي المشرف

بن قربة صالح والأساتذة الكرام حملاوي علي ، عزوق عبد الكريم، طيان شريفة ، ساحد طارق، وإلى خديجة ومحمود .

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أخي وحبيبي العربي، وأسامة، ويوسف وكل من مد لي يد العون وأخص بالذكر وناس كمال، وكمال البومرداسي .

مصطفى سالم

المقـــدمـة

لقد تركز بحثي على الأطلس الأثري لإقليم الزاب منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية الفترة العثمانية وقد حصرت ولاية بسكرة في هذا الأطلس بحيث تناولته كمظهر من مظاهر العمران وفقا لما ذهب إليه ابن خلدون في مقدمته فضلا عن جرد المواقع والأماكن التي لها صلة بموضوع البحث، على اعتبار أن هذه العمائر المذكورة إنما يشيدها الملك أو السلطان متتبعًا جردها منذ فتحها على يد القائد عقبة بن نافع الفهري وإعلائه كلمة الله في هذه الأرض ونشر مبادئ دينه السامية بين الناس وتحريرهم من سيطرة الإستعمار الروماني البغيض ، مرورًا بمختلف المراحل التي مرت عليها منطقة الزاب إلى نهاية العهد العثماني.

لاشك أن إجراء تحقيق ميداني لمختلف المواقع والمعالم الأثرية وجردها في أطلس سيزيح الستار عن مرحلة تاريخية كانت إلى وقت قريب مجهولة نسبيًا .

ومن هذا المنطلق ينبغي القول أن التوسع الكبير لهذه المنشآت المدنية والدينية والعسكرية واستغلالها على أوسع نطاق ، وكنتيجة لذلك ازداد الاهتمام بها وأصبح هدفًا مهما يسعى الحكام في المنطقة إلى تحقيقه، مما استوجب بذل الجهد والمال في بناء وتطوير الأساليب والمخططات الكفيلة بضمان التقدم والازدهار، وكانت الدول آنذاك تقاس بحجم وقدرة منشآتها العمرانية ولهذا تنافس الملوك والحكام في استقطاب المهندسين والمعماريين ، وينبغي التنبيه في هذا الصدد، إلى أن العمران في إطاره الزمني والمكاني اللذين سبقت الإشارة إليهما، لم تنظم في مؤلف جامع حتى يومنا هذا، فالدراسات في هذا الشأن تكاد تكون معدومة، وما كتب عنها، فقليل جدا ومتفرق يتسم بالوصف والتعميم والخلط أحيانا، الذي ينجم عنه بعض الأخطاء، ولعلي لا أبالغ إذا قلت بان العمران واقصد به المعالم والمواقع الأثرية يعتبر من الموضوعات الهامة في مجالي الآثار والتاريخ الإسلاميين.

وتكمن أهمية هذه الدراسات في جانبين اثنين هما:

الجانب التاريخي لأنه يزيح الغموض، الذي اكتنف المواقع الأثرية لإقليم الزاب في فترة زمنية معينة ويكشف عن العوامل التي ساهمت ولو من بعيد في نشأة العمران وتنوعه وإبراز خصائصه في المنطقة، فضلا عن أنه يؤرخ لمباني هذه الفترة، التي أحاول قدر المستطاع وضعها في مكانتها اللائقة بها بين الدراسات التاريخية والأثرية وإخراجها من براثين النسيان طيلة هذه القرون.

أما من الناحية الأثرية فسوف يبرز أهميتها في مجال علم الآثار الإسلامية حيث اغفل هذا الموضوع، ولم ينل نصيبه من الدراسة ضمن البحوث والرسائل الجامعية المتخصصة لذلك اهتمنا بدراسة الناحية الأثرية لبقايا العمارة المدنية والدنية والعسكرية سواء كانت أثارا أو نصوصا كتابية، وهي قد تساعد

على إبراز المكانة اللائقة للأطلس الأثري كموضوع ضمن الدراسات الأثرية ونشير في هذا الصدد إلى قلة المعلومات المتعلقة بالعمارة خلال هذه الفترة التاريخية الحاسمة من حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي ..

ولهذه الأسباب مجتمعة قررت اختيار موضوع " الأطلس الأثري لإقليم الزاب في العهد الإسلامي" والبحث والتعمق فيه، ومما شجعني على اختيار الموضوع كوني ابن المنطقة، وقد سبق لي القيام بجرد أهم المواقع والمعالم الأثرية لإنجاز مذكرة الليسانس. ومن الدوافع التي حفزتني على القيام بهذه الدراسة خلو المكتبة العربية من مؤلف جامع ومن الأسباب التي زادتني اقتناعا بالموضوع .

تشجيع الدكتور صالح بن قربة الذي ضبط العنوان وحفزني على بحثه وتقديمه كرسالة جامعية.

ولما كانت العمارة في العهد الإسلامي من بين أهم الركائز التي قامت عليها المدينة في إقليم الزاب، علاوة على أنها من المواضيع ذات الأهمية في الآثار وتاريخ البحرية الإسلامية، وما كتب عنها فقليل لا يشفي غليل الباحث ولا يفي بالغرض ولا يعطي هذا الأطلس حقه في مجال الآثار والتاريخ الإسلامي، الذي يصعب التأليف فيه مع غياب المصادر والمراجع المتخصصة الشيء الذي زادني حماسا وإقبالا ونتيجة لذلك فقد صممت على القيام بهذا العمل العلمي مع صعوبته.

إن المؤرخ والباحث – من دون شك – سيكزن مجبرا على التعامل مع مثل تلك المعلومات القليلة والمقتضبة وليس له غير ذلك في انتظار ما ستكشف عنه الأبحاث الأثرية مستقبلا بناء على الاعتبارات السابقة،أضحى البحث لمعرفة الأطلس لإقليم الزاب أمرا ضروريا.

يبدو جليا أن موضوع البحث لم يسبق أن تناوله أحد الدراسيين بالعمق الكافي،ومن أجل ذلك يعتبر بكرا وجديدا، وما ألف حوله فمعلومات مقتضبة ومبتورة ومتضاربة أحيانا،وفي ظل هذه المواقف المتباينة هل كان علينا الأخذ بها سجلا لتاريخ المواقع الأثرية بإقليم الزاب؟ معتقدين ومقرين بها كما هي أم وجب علينا تمحيصها، والبحث من خلالها عن الحقائق الخفية؟! وهنا تبادرت ذهننا عدة تساؤلات ندونها على الشكل التالي:

ـ كيف يمكن التعريف بالمنطقة تاريخيا وحضاريا وذلك من خلال المواقع والمعالم الأثرية التي تعود إلى العهد الإسلامي في المغرب الأوسط والدور الذي لعبه إقليم الزاب سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا وثقافيا، وحتى عسكريا؟

ـ كيف يمكن دراسة المعالم والمواقع الثرية لمنطقة الزاب لإنجاز أطلس أثري يمكن الباحثين التقرب من هذه الشواهد المادية؟

ـ كيف يمكن إبراز الخصائص المختلفة للمعالم والمواقع الأثرية من خلال دراسة تعتمد على الاستكشاف الأثري كمنهج، الغاية منه تحقيق خارطة أثرية لمنطقة الزاب؟كل هذه التساؤلات حاولنا

إيجاد جواب لها من خلال الإطلاع على بعض المصادر والمراجع التي تحدثت عن المواقع الثرية وكان أهم هذه المصادر المعتمدة في دراستنا:

ـ"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لمؤلفه عبد الرحمان ابن خلدون، الجزء الرابع والسادس ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1992، وقد استفاد الطالب منه يتعلق بالقبائل التي نزلت بسكرة، ودورها في تطوير العمران، وهو مصدر مهم على الرغم من أنه يتسم بالتعميم والسطحية لاسيما في موضوع بحثنا.

ـ كما اعتمدنا على "ماء الموائد" المسماة برحلة العياشي، محفوظ بمكتبة طولقة ج2، 1198هـ/1783م تحقيق أحمد التونسي، أفادنا هذا المخطوط في الوصف العمراني لإقليم الزاب، إضافة إلى ذكره علماء هذه المنطقة وهي معلومات قيمة جدًا لا يستغنى عنها لأن صاحبها كان شاهد عيان عليها.

ـ اعتمدنا كذلك على كتاب : فيض العباب وافاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ـ لصاحبه ابن الحاج النميري ، تحقيق محمد بن شقرون، طبعة دار المغرب الإسلامي، بيروت 1990، وقد أفادنا في الصراعات التي كانت قائمة في منطقة الزاب .

ـ كما استفدنا من "نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار" لصاحبها الوتتلاني حسن بن محمد، ط2، دار الكتاب العربي بيروت لبنان 1974، واعتمدنا عليها في الوصف العمراني لبعض أحياء ومساجد بسكرة القديمة، لاسيما في العهد العثماني وهو كتاب مهم على الرغم من سطحية المعلومات المتوفرة فيه.

ـ اعتمدنا كذلك على:"جواهر المحتاج في شرح السراج" لمؤلف مجهول، يوجد هذا المخطوط بمكتبة طولقة، أفادنا في تحديد بعض المساجد وبخاصة مسجد سيدي عبد المؤمن، وهو كسابقيه يتصف بالتعميم والمعلومات المقتضبة والأخبار وهذا لم يمنعنا من الأخذ عنه.

ـ استفدنا من كتاب:" الرحلة الكبرى" للناصري، وهو مخطوط مصور بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2651. في عمارة خنقة سيدي ناجي ودور سيدي مبارك في هذه المنطقة.

ـ اعتمدنا ايضا على كتاب: "وصف إفريقيا" لحسن بن محمد الوزان ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي بيروت، 1983 الذي أفادنا في وصف مدن زاب بسكر، كما تطرق إلى عمائر الدوسن وهو غني في مادته بالرغم من قلة المعلومات.

ـ استفدنا من كتاب: "إفريقيا" لمرمول كاربخال ترجمة محمد حجي ومحمد زنير ومحمد الأخضر، مطبعة المعارف الجديدة، لبنان 1984 في وصف مدينة بسكرة إبان الأتراك، وهو لا يخلو من الطرافة العلمية.

كما اعتمدنا على بعض المصادر الأجنبية مثل:"رحلة في أيالة الجزائر" خلال القرن 18، للدكتور طوماس شو، "Voyage dans la régence d'alger au 18 siedes" أورد فيه بعض الأخبار عن إقليم الزاب باعتباره كان شاهد عيان على بعض الأحداث خلال القرن 18م.

ـ اعتمدنا أيضا على:" Histoire des rois d'alger" لمؤلفه Haéds، هنا لابد من الإشارة إلى أن كل الكتاب الذين يتناولون ظهور العثمانيين في بلاد المغرب يعتمدونه، ذلك أن هايدو راهب بندكتي سجن في الجزائر بين سنتي (986 ـ 989هـ/ 1578 ـ 1581م) حيث كان شاهدًا على أحداث كثيرة قبل نهاية القرن السادس عشر.

أما المراجع التي اعتمدناها فكان أهمها :

ـ كتاب: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني" تأليف مولاي بالحميسيني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979. تطرق فيه صاحبه إلى نصوص بعض المصادر كرحلة التمجروني والزيان استفدنا منها في بعض المواضع التي ترجع للحقبة العثمانية.

ـ كما اعتمدنا على كتاب: "تاريخ الجزائر الثقافي" لأبي القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، حيث وظفنا المعلومات المتعلقة ببعض أعلام المنطقة وبخاصة أولئك الذين لهم صلة بموضوع البحث مثل زاوية العائلة المختارية، وضريح محمد بن عزوز وهو فريد في مادته بالرغم من سطحيته. ومن أحدث الدراسات والبحوث التي أفدتنا كثيرًا في هذا المجال ، البحث الذي أنجزه الدكتور صالح بن قربة بعنوان : " ضريح عقبة بن نافع ومسجده بين الخبر التاريخي والتحقيق الأثري" .

ـ اعتمدنا أيضا على: "تاريخ الجزائر العام" تأليف عبد الرحمان الجيلالي ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، حيث استفدنا منه بخصوص فتح منطقة الزاب عقبة بن نافع وهو مهم في هذا الجانب التاريخي بغض النظر عن قلة المعلومات التي تخص العمران في إقليم الزاب.

واستفدنا أيضا من بعض المراجع الأجنبية المهمةومنها:

كتاب: "العمارة العسكرية في الجزائر خلال العصر الوسط" لرشيد بورويبة " l'architecture Militaire de l'algerie Médiévale" استفاد الطالب منه في تحديد العمارة العسكرية كالقلاع والحصون بإقليم الزاب لاسيما في بنطيوس وتاهودة وبادس وهو مهم على الرغم من سطحية المعلومات الواردة فيه مع اقتضابها.

ـ اعتمدنا أيضا على: "L'évolution des cités du tell enifrikya"لمؤلفه Paul louis cambuzat لتحديد أهم المواقع العمرانية داخل المدن بإقليم الزاب، وهو كتاب يتسم بدقة المعلومات واقتضابها كسابقه وهو رغم ذلك ضروري في مادته.

ـ واستفدنا أيضا من كتاب: "Atlas- Archéologique – Algérienne, Feuille 48 ,1957 ـ لصاحبه Stéphane Gesll ، بحيث ساعدنا في تحديد بعض العمارات العسكرية والمرافق العامة كالحمامات وهو مهم بالرغم من انحيازه إلى رومانية منطقة الزاب ، وتجريدها من مبادئها الإسلامية، وما حملته الفتوحات الإسلامية من بناء وإعمار لا هدم ودمار .

هذا بالإضافة إلى العديد من المصادر والدوريات المختلفة المثبتة في قائمة المصادر والمراجع التي تناولت جل عناصر الموضوع.

لكل بحث علمي منهج خاص يوافق الإشكال المطروح والاستقصاء المتبع للوصول إلى نتائج مرضية، ومن أجل ذلك اعتمدت على المنهجين النظري والتاريخي من جهة والتطبيقي العلمي من جهة أخرى وهما كالآتي:

ـ المنهج النظري التاريخي:

وأقصد بع الاعتماد على تقصي المعلومات والحقائق من مظانها أي المصادر والمراجع التاريخية المختلفة الخاصة بالفترة الزمنية المدروسة، أو التي سبقتها بقليل أو التي جاءت بعدها حتى لا يكون الموضوع مقصوص الجناحين، فلابد أن يسير ـ الموضوع ـ وفقا لحركة التاريخ لأن الأطلس الأثري لا يمكن أن يأتي من فراغ فالمنطق يبين بأن هناك مواقع أثرية سابقة في أزمنة وفترات مختلفة منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الزيانية، وهذا ما أردت به حركة التاريخ وامتدادها على محور الزمن فتقصي المعلومات وتتبعها وتحليلها وتفسيرها منذ الفتح الإسلامي وربما قبله حتى الوجود العثماني يسهل إلى حد ما معرفة مختلف المنشآت والعمائر.

إذا فالمنهج التاريخي النظري لا يقل أهمية عن المنهج التطبيقي الذي يعتمد على دراسة ما تبقى من الأطلال ومخططاتها، بالغم من قلتها ذلك أن معظم المباني والبقايا تلفت نتيجة لعدة عوامل لأنها لم تستطع أن تبقى في وجه عاديات الزمن للاعتبارات المشار إليها، كما توصلنا إلى تحديد نماذج بعض المخططات بالاعتماد على البقايا أحيانا وبالتصور والتخيل أحيانا أخرى.

إن إنجاز البحوث العلمية ليس بالأمر الهين، لاسيما إذا كانت المادة الخبرية شخصية جدًا فإن البحث يصبح شاقًا ومتعبًا.

وعلى هذا الأساس، ومن خلال تجربتنا المتواضعة، واجهتنا خلال إنجازنا لهذا البحث عدة عراقيل طبعها الروتين في مجال البحث أهمها:

ـ ضيق الوقت، ذلك أن البحث يحتاج إلى مدة أطول من تلك التي منحت لنا والمحددة بعام واحد وهذا ما جعل البحث لا يخلو من بعض النقائص.

ـ قلة المصادر والمراجع التي تتناول الموضوع وبالتالي كانت هذه المحاولة تهدف إلى المشاركة ولو بشيء في مجال البحث في هذا الموضوع.

ـ وجود عراقيل في مختلف المكتبات التي عملنا بها أثناء إنجازنا لهذا البحث وعلى رأسها مكتبة جامعة الجزائر، مما جعلنا نتصل بمكتبة الرباط بالمغرب التي مدت لنا يد العون.

ـ انعدام المعالم الأثرية، مما جعل الموضوع صعبًا.

بناءًا على المادة المخبرية التي استيقناها من هذه المصادر والمراجع، قمنا بتقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة فصول، خصّصنا الفصل الأول إلى " دراسة المعالم الأثرية للعمارة الدينية الإسلامية " والمتمثلة في المساجد، الزوايا والمدارس القرآنية الأضرحة، حيث وضعنا تمهيدًا لكل عمارة، ثم قمنا بجردها حسب ما أشارت إليه المصادر والمراجع، ثم جاءت خاتمة لكل عمارة وما تمتاز به في إقليم الزاب، وفي الأخير وضعنا خاتمة الفصل.

ـ أما الفصل الثاني فتعرضنا فيه " للمعالم والمواقع الأثرية للعمارة المدنية الإسلامية لمنطقة الزاب" والمتمثلة في القصور، القصبات، المنازل، وكما جرت العادة استهللناها بتمهيد لكل عمارة، ثم قمنا بجردها وتحديدها على الخريطة الطبوغرافية والصور الجوية، ثم أردفنا هذا الفصل بخاتمة.

وفي الفصل الثالث قمنا بجرد" المعالم والمواقع الأثرية للعمارة العسكرية لمنطقة الزاب" والمتمثلة في: الأربطة، الحصون ، الأبراج، الخنادق، الأسوار، حيث بدأناه بتمهيد وأردفناه بعملية الجرد.

أما الفصل الرابع والأخير،" المرافق العامة للمنطقة الإسلامية " فبدأناه بتمهيد، ثم قمنا بجرد المرافق العامة لمنطقة الزاب والمتمثلة في شبكة المواصلات، الأسواق ، الوكالات التجارية ، الحمامات، دار السكة،.

وأخيرًا خرجنا بنتائج البحث وهي حوصلة عن حقائق مستخلصة من المصادر والتحريات الميدانية والزيارات المتكررة وأعقبت ذلك بقائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية ثم الفهارس العامة والخاصة بالأعلام والأمكنة يليها فهرس الأشكال واللوحات الواردة في هذا البحث.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والعرفان لأعضاء لجنة المناقشة الذين تجشموا عناء قراءة هذا البحث المتواضع وتقييمه وأخص بالذكر الأستاذ المشرق وكل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد.

مدخل عام:

سنتناول في هذا المدخل العام نقطتين أساسيتين وهما : جغرافية الإقليم وتاريخه لا سيما بسكرة النخيل .

أولاً: الناحية الجغرافية:

أ) ـ إقليم الزاب: [خريطة رقم 1]

الزاب كورة صغيرة يقال لها ريغ وهي كلمة بربرية معناها السبخة والنسبة إليها ريغي، والزاب كورة عظيمة ونهر حرار بأرض المغرب على البر الأعظم، عليه بلاد واسعة، وقرى متواطئة بين تلمسان وسلجماسة والنهر متسلط عليها، ويرجح أن تسمية هذا الموطن بالزاب يعود إلى إطلاق اسم قصبته أو عاصمته عليها واسمها (زابي) وهو اسم مدينة بالمسيلة (المحمدية في القديم)[1] وقد يعني واحة بسكرة[2] وقد ورد ذكر هذا الإقليم عند اليعقوبي بهذه الصفة: ".... ومدينة أدنه هي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في آخر عمل بني الأغلب ولم يتجاوزها المسودة"[3] يتضح أن هذه الولية الوحيدة التي عينت حدود الجزائر في العهد الأغلبي غربًا ويظهر أن هذه الحدود تنتهي جنوبًا إلى وادي ريغ إلى شط الحريد وشمالا إلى نواحي سطيف وميلة[4] يبدو لي أن الزاب كان يطلق على معظم نواحي قسنطينة اليوم. وأن الإدريسي قد نوه بهذا الإقليم حيث قال: "... ومن المسيلة إلى طبنة مرحلتان وطبنة مدينة الزاب وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع."[5]

أما ابن سعيد المغربي فنجده يذكر الزاب وبالتدقيق في الإقليم الثالث حيث يقول: "... وفي شرقيها مدينة بسكرة قاعدة بلاد الزاب وهي بلاد نخل وزرع ... حيث الطول 24° و25 دقيقة والعرض 27° ونصف"[6].

ويشير ابن مرزوق في" المسند الصحيح" إلى أن القبائل المرينية تملكت مساحات شاسعة انتهت من بلاد الحريد إلى ناحية المغرب حيث شمل ملكهم من بلاد الزاب إلى ناهرت وجهات تلمسان[7] هذا ونجد ابن خلدون من جهته يحدد منطقة الزاب ببسكرة حيث يقول في هذا الصدد: "... هذا البلد بسكرة وهو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد قصور تنومة وبادس في الشرق، يفصل بينه وبين البسيط الذي

---

[1] اليعقوبي: معجم البلدان، ج4، طبعة ليبريج. 1867، ص903.

[2] Maccarthy (J); Voyage dans la régence d'Alger , Paris. 1830.P 120.

[3] المسودة: نسبة للعباسيين الذين اتخذوا الأسود شعارًا لهم.

[4] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2، مكتبة النهضة الجزائرية ، ص 364 ـ 365.

[5] الإدريسي عبد الله : المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق محمد حاج صادق د . م . ج ، الجزائر 1983، ص 83 .

[6] ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر 1984، ص 113 ـ 114.

[7] ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا ابن الحسين، تحقيق ماريا خيسوس بغيرا، ش. و. ن الجزائر. 1980، ص510.

يسمونه الحضنة جبل جاثم من المغرب إلى المشرق ..." وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا جمعا يعرف كل واحد منها بالزاب وأولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب مليلة وزاب بسكرة وزاب تهودة وزاب باديس وبسكرة أم هذه القرى كلها ..."[1] .

أما الحسن الوزان فيذكرها بما يلي: "... ويكون الزاب إقليما يضم خمس مدن وهي بسكرة والبرج ونفطة ... والدوسن"[2] ، إذن ، نستخلص من النصوص التأريخية والأوصاف الجغرافية أن لفظة (الزاب) إنما تطلق تجاوزًا على عاصمة الزاب بسكرة حسب التقسيمات الجغرافية الإسلامية، أما التقسيمات القديمة لهذا المصطلح فهي تمتد من سطيف شمالاً إلى شط الجريد ، وفيما يلي نتطرق إلى بسكرة لتكوين صورة واضحة عنها.

أ ـ الموقع الفلكي:

تقع مدينة بسكرة على خط طول 42° و5 دقائق شرقي غرينيتش وخط عرض 27° و39 دقيقة شمالا[3] .

ـ الموقع الجغرافي: (أنظر الخريطة رقم: (02)

يقع المجال الولائي لبسكرة جنوب الشمال الشرقي الجزائري، يحده من الشمال ولاية باتنة ومن الشمال الشرقي ولاية خنشلة ومن الجنوب ولاية الوادي ومن الغرب والجنوب الغربي ولاية الجلفة ومن الشمال الغربي ولاية المسيلة..

وهي تتربع على مساحة إجمالية تقدر بـ 21671.80 كلم^2.

ـ الإطار الطبيعي:

تتكون تضاريس الولاية من:

ـ الجبال: تتمركز أساسا بشمال الولاية وتحتل مساحة هامة وتتمثل في سلسلة الأطلس الصحراوي.

ـ السهول: وتمتد على محور شرق غرب والمتمثلة في سهوب لوطاية، الدوسن طولقة وسيدي عقبة.

ـ الهضاب: تقع في الناحية الغربية من الولاية وتشمل كل من دائرتي أولاد جلال وسيدي خالد.

---

[1] Thomas Shaw, voyage dans la régence d'Alger au 18 siedes, traduit de l'anglais par E.Mac Carthy (1830), G. A. L. Alger, 2007.pp: 213 - 220.

[2] الوزان الحسن بن محمدك وصف إفريقيا، ج1، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي بيروت، 1983، ص32.

[3] G sell (S.T); L'ATLAS Arheologique d'algerie feuille n°48.1957.

- Syndicat; Biskra et la sahara constantinois, imprimerie Algerienne, Alger,1921,pp:3-7.

ـ الشلاطي محمد بن علي: معالم الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار 1192، الجزائر النسخة الأصلية توجد في مكتبة الكونجرس الأمريكي بدون رقم في 34 صفحة.

ب ـ المنخفضات:

تتمثل في الناحية الجنوبية الشرقية للولاية أهمها شط ملغيغ.

ـ المناخ:

تعرف ولاية بسكرة مناخًا شبه جاف ذو شتاء بارد وجاف، وصيف حار وجاف، أما تساقط الأمطار فيعد نادرًا على مدار السنة، وأقصى كمية تسقط في شهر سبتمبر (أمطار الخرف) وتكون غزيرة متسببة في انجراف التربة، أما بالنسبة للكمية القليلة فتسجل خلال فصل الصيف بين شهر جويلية وأوت.

ـ المجال الجيو اقتصادي:

بحكم موقعها الجغرافي في البلاد (منطقة الجنوب) تعرف الولاية مجالاً جويًا يتسم بوجود أربعة مناطق مختلفة وهي:

ـ الجهة الجنوبية.

ـ منطقة الجبال والهضاب العليا وتضم دوائر القنطرة لوطاية جمورة، مشونش، حيث نلاحظ وجود عدة إمكانيات أهمها منجم هام من الملح مستغل من قبل مؤسسة وطنية مختصة.

ـ سد منبع الغزلان: قدرة التخزين به 55 مليون م^3.

ـ السياحة والصناعات التقليدية: بسفوح الأوراس، مضيق القنطرة، شرفات غوفي فخار مشونش.

ـ منطقة الزاب الغربي:

وتغطي كل من الدوائر طولقة، أورلال، حيث تعد السهول والهضاب غنية بأراضيها الفلاحية والمياه وتغلب عليها زراعة النخيل وتنتج أجود أنواع التمور دقلة نور حيث تضم أكثر من مليون وأربعمائة نخلة منها 19.75% منتجة.

ـ منطقة الزاب الشرقي:

وهي منطقة سهبية تغطي دوائر سيدي عقبة وزريبة الوادي.

ـ منطقة الزاب الجنوبي الغربي:

وهي منطقة ذات خصائص رعوية، تضم دوائر أولاد جلال وسيدي خالد، النشاط الرئيسي بها موجة نحو تربية المواشي وخاصة الغنم، بحيث تضم أكثر من 57% من مجموع رؤوس الأغنام في الولاية.

ثانيا: الجانب التاريخي

1 ـ بسكرة في العصر القديم:

يذهب ستيفان غزال (GSELL. ST) إلى القول بأن أصل كلمة بسكرة (Vescera) رومانية الأصل، وتعني المحطة التجارية، وأن التسمية الحقيقية لها هي أديسينام، أي المنبع المعدني لحمام الصالحين[1] وهناك من يرجح أن (Veskra) بالفينيقية تدل على مستودع للأسلحة أو على مرفأ مما يجعلها حقا مركزا حربيا وقاعدة للتوغل الاستطاني الروماني في منطقة الزاب[2].

كما يطلق عليها (Beskra) بسكرة نسبة لحلاوة تمورها[3].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الأرض كانت مأهولة منذ العصر الحجري بأقوام هم غير البربر كانوا يسكنون الكهوف والمغارات وكانت حضارتهم الحجرية دون حضارة معاصريهم من سكان الشمال ويقول الكثير من العلماء أن البرابرة الشقر الذين نجدهم في عدة نواح من البلاد إنما هم من نسل هذا العنصر الذي كان أول سلالة بشرية سكنت هذه الديار[4] فالبربر هم أول من سكن هذه الأقطار. فما أصل البربر؟ ومن أين قدموا؟ وما هي قبائلهم وأقسامهم؟ ذلك ما سأتحدث عنه بإيجاز فيما يلي:

إن عناصر البربر قدمت كلها مهاجرة من آسيا مخترقة مصر ولوبيا. وأنها أمة مازيغ بن كنعان بن سام بن نوح، وهم أبناء عمومة العرب[5] . أما الجنس الذي يسكن مدينة بسكرة منهم فيعرف باسم مادغيس البتر ومعناها بوتروسن وهي كلمة يونانية وتعني الرعاة وهم أهل البادية وأصحاب المواشي الرحل وتجتمع فروعه في اربع قبائل كبرى والتي سكنت هذه المنطقة هي قبيلة لواتة وهي قبيلة عظيمة تفرع عنها كثير من الشعوب وهي تنتسب إلى ليوا الأصغر ولها بطون سبعة، أهمها زناتة وأصلها إيزناتين ومعناها أبناء زناتة وهو اسم امرأة[6] أما في عهد قرطاجنة فنجد أن مدينة بسكرة كانت ضمن الجزء الشرقي لنوميديا التي كانت تحت حكم الملك ماسينيسا (238 ق. م)[7].

---

[1] Gsell (ST) , opcit Feuille 48n°9.

[2] Ibid.

[3] Maguelonne (M.j); monographie historique et géographique de la tribu des ziban, Recueil des notices et mémoires de Constantine, golime 44, Constantine 1910.pp213 – 214.

[4] Rinn (L.). Les origines Bèrbères, R.A. vol,34, Année 1889.p276.

[5] ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ البربر: ترجمة دوسلان، ج3، صص 124 ـ 459 و ج4، 384.

[6] ابن خلدون عبد الرحمان: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992، ص ص 134 ـ 137.

[7] G sell (S.T); op.cit, feuille 48 n°9.

وعلاوة على ذلك يمكن الإشارة إلى أن المدينة في العهد الروماني أو على الأقل الحي الرئيسي القديم كان يقع في الجهة الشمالية لواد بسكرة على بعد حوالي 300 م من الطريق المؤدية إلى سيدي عقبة، إضافة إلى بقايا الحمامات والحجارة المصقولة التي استخدمت في أعمار المدينة الإسلامية الواقعة في الجهة الأخرى لنفس الواد والشيء الذي يدفعنا للقول أن الرومان استوطنوا هذه المنطقة على الرغم من أن المدينة لم تكن أهلة بالعمران، الأمر الذي جعلها مركزا للمراقبة، كما يستدل على وجود مفترق طرق رومانية إحداها تؤدي إلى (Thabudeos) تهودا والآخر إلى لمباز وهذا في حدود القرن 3م[1].

والجدير بالذكر أن البيزنطيين احتلوا الأوراس والحضنة ومنطقة سطيف سنة 539م غير أنهم لم يستقروا بالأوراس فاكتفوا باتخاذ الحصون لتدعيم وجودهم في الزاب وكانت بسكرة طبعًا ضمن هذا الحيز الجغرافي[2].

2 ـ بسكرة في العصر الإسلامي:

ومع انطلاق الجيوش الإسلامية في القرن (1هـ/7م) لفتح بلاد المغرب التي سبقتها عدة حملات استكشافية إلى أن تمكن الفاتح عقبة بن نافع الفهري في حملته الثانية في حدود (62هـ/682م) من فتح منطقة الزاب وفقا للمعطيات التاريخية[3]. ولاشك أن المنطقة عرفت انتعاشًا واستقرارًا حضاريًا على عهد الولاة، ولما كانت المعلومات عن هذه الفترة شحيحة.

غير إننا نرجح أن من أهم الأحداث الكبرى التي عرفتها المنطقة تلك التي دونها المؤرخون عن الدولة الأغلبية (184 ـ 296هـ/ 800 ـ 909م) حيث ذكروا الثورة التي نشبت ضد أبي عبد الله محمد الأغلبي الملقب بأبي الغرانيق سنة 251هـ، لكن سرعان ما استسلمت بسكرة من غير مقاومة، ويرجع الفضل في ذلك إلى لأبي خفاجة، الذي أسندت له مهمة القضاء على الثوار.

ويرجع سبب بعض القلاقل في هذه الفترة الزمنية من الحكم الأغلبي إلى نفور السكان من سوء معاملة السلطة الحاكمة المتمثل في ظلم بعض ولاتها وجورهم. وقد قام بعملية القمع والزجر يومئذ إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب الذي عاش في بلاد الزاب وأهلها وذلك في سنة (268هـ/781م) وقام بمثل ذلك أبو العباس بن إبراهيم بن الأغلب سنة (268هـ/899م) فأوقع ببني بلطيط فقاتلهم وشردهم في البلاد شذر مذر، لكنه بعد حين قام بإصلاح ما خربه جيشه خلال هذه المناورات، ثم عاود الكر عليها أبو عبد الله بأمر أبيه إبراهيم بن أحمد فزحف عليهم في جيش عرمرم خلال سنة (288هـ/901م). وبعد

---

[1] Ibid, voir: syndicat; op.cit, pp 3 – 5.

[2] Muller; notices aux indiques dans la lybie intérieur édition de ptolémée. S.d. pp.740 – 751.

[3] عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ط7، د.م.ج. الجزائر. 1994 ص ص. 119 ـ 129.
ـ الميلي مبارك: المرجع السابق، ج2، ص ص 36 ـ 47.

ذلك سقطت بسكرة على يد محمد بن خزر الزناتي سنة (319هـ/931م)[1]. هذا دون أن ننسى دور بني الأغلب في إنشاء مدينة العباسية في إقليم الزاب سنة (239هـ/ 853م) على حسب ما ذهب إليه البلاذري[2]. ;هذه الإشارة تحفزنا على البحث والتنقيب عن هذه المدينة التي يمثل أنشاؤها في هذا الإقليم حدثًا سياسيًا وحضاريًا .

ويلاحظ أنه قبل سقوط الدولة الأغلبية بقليل، اشتد الصراع بين أبي عبد الله الشيعي ووالي طبنة على عهد زيادة الله بن عبد الله وربما انتشرت هذه التحرشات حتى شملت بسكرة وهي في نظري بداية لظهور عهد جديد ألا وهو عهد الدولة الفاطمية (296 ـ 361هـ/ 909 ـ 972م)

لقد كانت المصادر والمراجع التي استفسرناها عن الوجود الفاطمي في منطقة بسكرة شحيحة جدًا، الأمر الذي جعلنا نميل للاعتقاد أن المدينة كانت مسرحًا للصراع الدائر بين الدولة الشيعية من جهة والثائر أبي يزيد مخلد بن كيداد بعد اعتصامه بجبل الأوراس على الأرجح بداية من سنة (332هـ/943م)، حيث بايعه أهل الجبل على نصرته للوقوف في وجه الفاطميين[3].

ومن هناك انتقلت المعارك حتى بسكرة، ويجمل بنا أن نشير إلى أن الفاطميين انتقلوا إلى بسكرة هربًا من صاحب الحمار عندما قام هذا الأخير بمحاصرة المهدية دار ملكهم[4].

هذا ويمكننا الاستدلال بما تركه الجغرافيون والرحالة في وصف مدينة بسكرة ومن ذلك ما أورده صاحب صورة الأرض بشأنها حيث يقول: "... ومن بسكرة إلى تهودة مرحلة ... وهي مدينة كثيرة النخيل والزيتون وهي مسورة عليها خنادق"[5].

ويضيف المقدسي[6] في هذا الصدد: "... الزاب مدينتها المسيلة ولها مقرة، طبنة، بسكرة، بادس تهودا طولقا جميلا بنطيوس أدنة أيشر"[7].

على الرغم من هذه المعلومات المقتفية والمبتورة المشار إليها خلال القرن (4هـ/10م) يمكننا الاستفادة منها لتحديد صورة واضحة المعالم عما كانت عليه من تقدم اقتصادي، مما يدعم الفكرة القائلة بأن بسكرة كانت منطقة عبور القوافل التجارية لاسيما أن الفاطميين كانوا يتزودون منها بالتمور، والحبوب، بل

---

[1] ابن خلدون: كتاب العبر، ج6، ص: 125، 174.
[2] البلاذري أحمد بن يحي: فتوح البلدان، تحقيق رضوان، المطبعة المصرية الأزهر، القاهرة، 1932، ص234.
[3] مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، د.م.ج الجزائر، 1983، ص13.
[4] مايسة محمود داود: المسكوكات الفاطمية بمجموعة الفن الإسلامي بالقاهرة، دراسة أثرية وفنية دار الفكر العربي، مصر، د.ت، ص ص. 35 – 40.
[5] ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، د.ت، ص ص 87 ـ 98.
[6] المقدسي أبو عبد الله: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، ليدن 1909، ص221.
[7] المقدسي: المصدر السابق، ص221.

يستنزفون خيراتها[1] الأمر الذي يجعلنا نرجح بأن العمران بها كان ضعيفا مقارنة بالمدن الساحلية هذا على الأقل خلال الحكم الفاطمي.

ولما غادر المعز لدين الله البلاد متوجها نحو الشرق سنة 361هـ، وجعل على بلاد المغرب أنصاره ومريديه من بني زيري (361 ـ 405هـ/972 ـ 1014م) الذين استقر لهم الأمر، وبسطوا نفوذهم في البلاد وضربوا العملة باسمهم وذلك في اعتقادي منذ سنة (381هـ/991م)، حينما مالوا إلى إقامة الدعوة للأمويين[2].

لابد من افشارة هنا إلى المكيدة التي دبرها اليازوري وزير المستنصر الفاطمي، حينما أشار إليه بإرسال بني هلال ةبني سليم ورباح وزغبة الذين كانوا خطرا على الدولة الفاطمية بمصر، وذلك لإحداث القلاقل في بلاد المغرب وإزعاج المعز بن بلكين بعدما نزع الزيريون إلى ترك المذهب الشيعي والاستقلال بالحكم من دون اللجوء إلى الفاطميين، حيث سيرت حملة من الديار المصرية في حدود سنة 442هـ/1051م نحو بلاد المغرب ويلاحظ أن اليازوري كتب إلى المعز: "...فقد أرسلنا إليك خيولا، وحملنا عليها رجالاً فحولاً ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً".

حيث نزل هؤلاء الأعراب المتمردون بإفريقية أول الأمر إذ عاثوا في الأرض فسادًا لاسيما في برقة ونواحي قابس وتونس، وحينما اشتد الصراع مع الزيريين تخلى لهم المعز عن القيروان إلى المهدية فلحقوه إليها.[3]

وقد زحف جمع من رياح إلى مسيلة ومنطقة الزاب، إذ اندمجوا فيها وأصبحوا يدافعون عنها وكأنها منهم وهم منها.

وقد يستفاد من كلام البكري أن غنى المنطقة لاسيما في المحصول الزراعي دفع بني هلال للاستقرار بها، فقد أورد أن: "... بسكرة كورة فيها مدن كثيرة، وقاعدتها بسكرة، وهي مدينة كبيرة كثيرة وحمامات ... وحول بسكرة أرباض خارجة عن الخندق ... ولها من البواب، باب المقبرة، وباب الحمام وباب ثالث ... وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة"[4] ونحن ندعم الراي الذي قدمناه.

وفي عهد بني حماد (405 ـ 547هـ/ 1014 ـ 1153م) كانت أسرة بني رمان ومن بعدها أسرة بني سندي تحكم بسكرة، ويشير ابن خلدون في هذا الصدد أنه: "كان لجعفر بن أبي رمان عليهم صيت

---

[1] الصنهاجي أبو جماد: إخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص14.

[2] بن قرية صالح: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص ص 520 ـ 525.

[3] ابن الحاج النميري : فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون، طبعة دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 545.

[4] البكري أبو عبيد الله: المغرب في ذلك بلاد إفريقية، طبعة دوسلان الجزائر، 1957، ص ص 52 ـ 53.

وشهرة وربما نقضوا الطاعة لعهد بلكين بن محمد بن حماد صاحب القلعة في سنة 450هـ، وضبطوا البلد وامتنعوا ... ونازلتهم جيوش صنهاجة التي نظر الوزير خلف بن أبي حيدرة من صانع الدولة فافتتحها واحتملهم إلى القلعة فقتلهم بلكين جميعًا وجعلهم عظة لمن بعدهم وأصار أم الشورى لبني سندي من أهلها"[1].

أما خلال الفترة المرابطية (472 ـ 539هـ/ 1079 ـ 1145م) فلا نعثر إلا على بعض الإشارات التاريخية التي لا تغني الباحث شيئًا في الموضوع لكن لا يمكن تجاوزها والتي مفادها أن ابن غانية[2] أن هذا الثائر عاش بعد سقوط المرابطين مطالبا بأحياء مجدهم حيث خرج في أتباعه ثم نهض إلى بسكرة حوالي سنة سبع وتسعين مثل ما ذكره ابن خلدون، حيث استولى عليها وقطع أيدي أهلها و"تقبض على حافظها أبي الحسن ابن أبي يعلى"[3]. غير أننا لا نجد معلومات مستفيضة حول ما يمكن أن نفسر به أحداث هذه الفترة الزمنية.

أما في عهد الموحدين (524 ـ 668هـ/ 1130 ـ 1269م)، ينبغي القول أن صاحب المعجب ذكر لنا من جملة الأحداث التي ذاعت في بلاد المغرب الصراع المرير الدائر بين يحيى بن غانية والموحدين بقيادة والي بجاية أبو الحسن الذي خرج في جيش لم ير أحد مثله قط سلاحًا وعدة، والتقى الجمعان قرب قسنطينة، فانهزم الموحدون وقفلوا راجعين إلى بجاية، وتوجه يحيى إلى بسكرة معتصما بها، حيث دخلها ومثل بأهلها، وسجن عاملها أبا الحسن بن أبي يعلى، وذلك بعد سنة 597هـ ثم رجع إلى المهدية [4] ومن خلال ما سبق نستنتج بأنه كان يقطن ببسكرة حاكم موحدي يرعى شؤونها وشؤون منطقة الزاب زيادة إلى واد ريغ. أما بخصوص ما قاله الإدريسي فلا يعدو أن يكون وصفًا مقتضبًا، غير أننا لا يمكن الاستغناء عنه حيث يقول: "ومن نقاوس إلى حصن بسكرة مرحلتان، وهو منبع في كدية تراب عال وبه سوق وعمارة، وفيه أيضا من التمر كل غريبة وطريفة. ومنه إلى حصن بادس وهو في أسفل طرف جبل أوراس"[5] .

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمان: كتاب العبر، ج6، ط بولاق 1284هـ، ص ص 913 ـ 914.

[2] الكعاك عثمانك مراكز الثقافة في المغرب، القاهرة، 1958، ص 74.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص231.

[4] المراكشي عبد الواحد المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، الدار البيضاء، 1978، ص374.

ـ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص ص: 230 ـ 232.

[5] الإدريسي ، المرجع السابق، ص 84.

ولما رجعت مقاليد الحكم إلى الحفصيين (625 ـ 943هـ/ 1229 ـ 1539م) خضعت بسكرة لهم، أما مشيختها فبقيت لبني رمان منذ سقوط الدولة الحمادية، وكان بنو مزني بقرية حياس قربها، حيث ملكوا بها بساتين النخيل والثمار، ثم انتقلوا إليها وانضم كبارهم في محالس شوراها، الأمر الذي جعل بني مزني يشتكون إلى سلطان تونس الذي كشف عن تعاطفه مع بني رمان لقدم عهدهم، مما زاد في حدة الصراع الذي افضى إلى التقابل فيما بينهم في طرقات المدينة.

هذا وقد ذكر ياقوت الحموي: "... وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات ... وبها جبل يقطع منه الضجر وتعرف ببسكرة النخيل"[1].وتنكرت الدنيا حتى عرفت منه بمعرفها[2] وأشار العبدري في الرحلة المغربية إلى إقامته القصيرة بها دون أن يستفيض في الحديث عنها[3] .

وهذا ما يجعلنا نرجح أن هذه الإمارة عاشت نحوا من قرن ونصف تخللها بنورمان بين فضل بن علي وابنه منصور ولم يعرف الزاب عصرًا كعصرها هناء ورغدة عيش لما كان عليه بنو مزني من حسن التدبير والإدارة، فقد أحسنوا معاملة الذواودة فاستعانوا بهم وعرفوا ما بالبلاط الحفصي من دساش فوصلوا أيديهم بزناتة التي لولا تطاحن دولتيها حتى ضعفتا ما سقطت هذه الإمارة في دور شيخوختها وخير ما نختم به حديثنا عن هذه الدولة أبيات للسان الدين بن الخطيب أرسلها إلى ابن خلدون وهو عند أحمد بن يوسف وهي[4]:

من أنكر غيثا منشـــؤه في الأرض وليس بمخلفهـــا
فبنان بني مزني مـــزن تنهل بلطف مصرفهـــا
مزن مدخل ببسكـــرة يومًا نطقت بمصحفهـــا
شكرت حتى بعبارتهـــا وبمعناهـــا وبأحرفهـــا
ضحكت بأبي العباس من الأ يام ثنايـــا زخرفهـــا

والجدير بالذكر أن الصراع الذي كان قائما بين دول المغرب (الحفصيين، الزيانيين والمرينيين)، جعل المدينة بؤرة الصراع بينهم تارة تخضع لدويلة وتارة تخضع لأخرى.

---

[1] الحموي ياقوت معجم البلدان، ج1، طهران، 1965، ص625/ 87 ـ 97.

[2] لسان الدين ابن الخطيب: المصدر السابق، ص56.

[3] العبدري محمد: الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن حدو، نشر كلية الآداب الجزائرية .د . ت .

[4] لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثالث، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، نشر دار الكتاب الدار البيضاء 1964، ص56.

هذا و ننوه بأن بسكرة عند خروجها من سلطة الحفصيين بقيت نحو ثلاثة سنوات مستقلة وذلك قبل أن يستولي العثمانيين (920 ـ 1246هـ/ 1514 ـ 1830م) الذين جاؤا إلى الجزائر لنجدتها من التحرشات الإسبانية التي اعقبت سقوط غرناطة في حدود (897هـ ـ 1492م) بدعوة من السكان الذين استنجدوا بالإخوة باربا روس لدفع العدوان المبارك من طرف الكاردينال الشنيع فرانسسكو دوسيسنيروس وقد لبى أولئك الشجعان النداء وكلهم أهبة وحمية للذود عن الإسلام في بلاد المغرب ومنع التوسع الصليبي كما قدمناه. وحينما زارها الورثلاني وجدها تتكون من: "عدة أحياء عديدة أشهرها حتى باب الضرب والمسيد وسيدي بركات وقداشة وبكل حي منها يوجد مسجد مخصص للصلوات الخمس.

هذا طبعًا في القرن (10هـ/16م) أما بسط السلطة التركية يدها على بسكرة فكان في حدود (1541م)[1] .

وفي هذه الأثناء احتدم الصراع بين القبائل الصحراوية للفوز بامتياز نهب الواحات، والوجود التركي هنا كان بسيطا للغاية، فلكل قبيلة شيخها وفي مدينة بسكرة يقطن القائد أو شيخ العرب الممثل للباي بقسنطينة وسلطة هذا الأخير لا تكون ذات فاعليةإلا عندما يتحرك الجيش التركي وهذا قصد دعمه.

وعندما ما زارها الوزان وجدها: "عامرة كما ينبغي وسورها من الآجر النيئ، أما سكانها فمؤدبون لكنهم فقراء لأن أراضيهم لا تنتج شيئا غير التمر"[2].

أما مارمول كاربخال فوجدها تحت نفوذ الأتراك فحسب[3].

أما العياشي فقد قال عنها: "وبسكرة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة مع توفر أسباب العمران فيها، قد جمعه بين التل والصحراء ذات نخيل كثير وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء حار في نواحيها وأرجاء متعددة يطحن بالماء ومزارع حناء إلى غير ذلك، وبالجملة لم أجد في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أحسن ولا أجمع لأسباب المعاش"[4].

---

[1] الورتلاني حسن بن محمد: نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1974، ص104.

[2] ـ الوزان حسن بن محمد: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص138.

[3] ـ كاربخال مارمول: إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد زنير محمد الأخضر وأحمد توفيق وأحمد جلون، ج3، مطبعة المعارف الجديدة، 1984، ص168.

[4] ـ العياشي ابن سالم: ماء الموائد،مخطوط محفوظ بالمكتبة العثمانية بطولقة، ج2، 1198هـ ـ 1783م، أحمد ابن أحمد التونسي، د.ص.

حاصل القول أن مدينة بسكرة بقيت بيد الأتراك حتى انقضاض فرنسا على الجزائر سنة (1246هـ/ 1830م)، وبعد نزول الحملة الفرنسية حاول فرحات بن سعيد الاستقلال ببسكرة ولكن الأمير عبد القادر نجح في الاستيلاء عليها لتنصيب خليفة عليها بعد ذلك الحسن بن عزوز، وفي سنة 1844[1]، استولى عليها الجيش الفرنسي بقيادة ابن الملك الدوق دومال وترك فيها حامية، ولكن الأهالي سيقضون على تلك الحامية ويقتلون رجالها ولم يستتب الأمر فيها للفرنسيين إلا بعدما شيدوا حصنا واتخذوها قاعدة عسكرية من قواعد الجنوب ووضعوها كغيرها من المناطق الصحراوية تحت الحكم العسكري المباشر.

[1] Syndicat; op.cit. pp: 5 – 10.

الفصل الأول

جرد العمارة الدينية الإسلامية

أولا : المساجد.

ثانيا : الزوايا والمدارس القرآنية

ثالثا : الأضرحة .

تمهيـد:

تحتل المنشآت الدينية مكانًا هامًا بين العمائر الدينية في المدينة الإسلامية، سواء من حيث عددها أو من حيث قيمتها الجمالية، وأقدس ما فيها المساجد باعتبارها بيوت الله: ((في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ...))[1] ، وقد علت مكانتها فلم تعد تقتصر على الصلاة فحسب بل أصبحت مركزًا للحكم والإدارة والقضاء ومؤسسة للتعليم.

فالمسجد رمز المدينة الإسلامية ونواتها المهمة، لما له من دور في إقامة الدعوة المحمدية ونشره ، ولهذا كان أول عمل قام به النبي صلّى الله عليه وسلم هو بناء المسجد، ومن هذا المنطلق عمل المسلمون على بناء المساجد في كل المناطق التي تصلها جيوشهم، ولم تخرج بسكرة عن هذا النطاق .

كما كان للأضرحة مكانا أيضا وهو راجع لتعدد الطرق الصوفية وانتشارها، ومن بين هذه الأضرحة ضريح خالد بن سنان العبسي بالجنوب الغربي من بسكرة .

وبما أن الإسلام دين علم وثقافة ، حث على الاهتمام بالعلم ومراكز الدراسة والتدريس وقد نزلت أولى آيات القرآن الكريم على الرسول صلّى الله عليه وسلّم تدعوا إلى القراءة حيث قال تعالى : ((اقرأ باسم ربك الذي خلق ،خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم))[2]

وقال أيضا: ((وقل ربي زدني علمًا))[3]. ((ويسألونك عن الرّوح قل الروح من أمر ربّي وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا))[4]. لهذه الأسباب كلها اهتم المسلمون بالتعليم والتعلم وذلك ببناء الزوايا والمدارس القرآنية ، ففي بداية القرون الهجرية الأولى لم يشيدوا المدارس لكن بتطور الحضارة الإسلامية تطورت هذه المعالم[5]. واهتم المسلمون بتشييد هذه المعالم عبر كل الفترات كما جاءت مختلفة بتركيبها باختلاف المذاهب التي كانت سائدة في كل منطقة ، والجدير بالذكر أن الزوايا في المغرب هي عبارة عن تجمع من البنايات ذات طابع ديني بحت مفتوحة الأبواب للفقراء والمساكين وعابري السبيل ومن بين

[1] ـ الآية 36 من سورة النور

[2] ـ الآية 5 من سورة العلق

[3] ـ الآية 114 من سورة طه .

[4] ـ الآية 85 من سورة الإسراء

[5] ـ مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت، العدد 20 مارس ـ أفريل 1981.

- Revue d'étude islamique X L X , 1976.

أهدافها تحفيظ القرآن الكريم وتعليمهم كل ما يتعلق بالدين الإسلامي الحنيف ولذلك تضم غرف للإيواء كما قدمناه [1].

ويستدل على ما سبق أن بسكرة خلال عهد السيادة الإسلامية كانت عامرة بالمساجد والأضرحة، فضلاً عن الزوايا والمدارس القرآنية وهذا ما سوف نتطرق غليه بالدراسة فيما يلي :

أولا : المساجد :

بعدما فتح القادة المسلمون أمثال عقبة بن نافع[2] وحسان بن النعمان وموسى بن نصير المغرب في القرن (1هـ/7م) انتشرت الحضارة الإسلامية بما احتوته من عقيدة ولغة وأخلاق وثقافة بين السكان فبرزت المساجد بصفة عامة ببلاد المغرب، وأول مسجد تم تأسيسه هو مسجد عقبة بن نافع بالقيروان[3]، وتلته بعد ذلك تأسيس عدة مساجد بشتى مناطق بلاد المغرب على فترات متتالية وسنتطرق لجرد المساجد فيما يأتي:

[1] ـ Devoul x (A.) ; Les édifices de l'ancien Alger, Typographie Bastide , Alger.S.D.P II.

[2] ـ عقبة بن نافع الفهري: ابن أخت عمر بن العاص فاتح مصر، تولى قيادة الفتح في إفريقية سنة 42هـ/ 663م، توفي سنة 63هـ/ 684م، أنظر: ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص 298.

- Algerie et Sahara, Encyclopédie et Maritime. Paris, Tome II. 1948. PP.221- 222.

[3] ـ القيروان، أم أمصار، وقاعدة أقطار، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 146.

1 ـ مسجد عقبة بن نافع :

يقع في مدينة سيدي عقبة[1]،على بعد 18 كيلومتر جنوب شرق مدينة بسكرة، حيث يمر عليه الطريق الوطني رقم 38 على الجهة الشرقية منه، وبالضبط في نقطة تقاطع خطي الطول والعرض .

(س ع) = 793.3 ـ 165 ، الخريطة رقم (03) الصورة الجوية رقم (01) .

لقد اكتفت المصادر والرحلات بذكره دون التطرق إلى تاريخ تأسيسه الذي يبقى غير مؤكد بسبب الإصلاحات التي تعرض لها في فترات متعاقبة ، وأهم الرحالة الذين ذكروه ، العياشي في رحلته حيث يقول: ((... وغالب من دخل مسجد (سيدي عقبة) من الحجاج يكتب خطه على أساطين المسجد وحيطانه ويكتب اسمه ...))[2] .

أما الورتلاني فيقول : ((... ثم دخلنا لزيارته (سيدي عقبة) مع قلة وافرة من أصحابنا ... وقبره بالبسيط الذي تحت جبل الأوراس الذي قتل به، وهو مشهور يزار، عليه (مسجد عجيب) وحوله قرية عجيبة في وسط هذا البسيط في مسجده مئذنة كبيرة عظيمة متقنة البناء وفي أعلاها عمود ...))[3] .

وقد أشار ابن خلدون من قبل الورتلاني خبر قتاله مع الكاهنة التي بجبل أوراس ويقول عنه : ((... وقبره الآن مشهور يزار وعليه مسجد عجيب وحوله قرية ...))[4].

أما الزياني فيقول : ((... وهناك (بسيدي عقبة) دفن الأمير عقبة بن نافع رضي الله عنه وحوله مسجد عظيم ...))[5] .

ويرجع عبد العزيز الشهبي تاريخ بنائه إلى الفترة الممتدة ما بين القضاء على مملكة الكاهنة سنة (81هـ/ 701م) وظهور الدولة الأغلبية سنة (184هـ/ 800م)[6] .

لقد عرف الجامع عدة إصلاحات أفقدته معالمه الأصلية وذلك بداية من القرن (4هـ/10م)[7] . تحت حكم الأمير الزيري المعز بن باديس (406 ـ 454هـ/1016 ـ 1062م) تعرض الجامع للإصلاح والترميم ، حيث تم استحداث شريط كتابي جاء فيه[8] : ((هذا قبر عقبة بن نافع الفهري)) ، ومن الأعمال الزيرية كذلك وضع الباب وزخرفته[9].

---

[1] ـ سيدي عقبة : منسوبة إلى عقبة بن نافع، أنظر: العياشي : المصدر السابق.
[2] ـ العياشي أبو سالم : المصدر السابق، د . ص.
[3] ـ الورتلاني حسن بن محمد: المصدر السابق، ص 104.
[4] ـ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 298 – 310.
[5] ـ بالحميسي مولاي : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني. ش .و .ن.ت، الجزائر، 1979، ص 172.
[6] ـ شهبي عبد العزيز: ثلاثة مساجد بالشرق الجزائري، رسالة ماجستير جامعة الجزائر، 1979، ص 20.
[7] ـ لقبال موسى : عقبة بن نافع ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1955، ص ص 50 ـ 52.
[8] ـ صالح بن قربة ، ضريح عقبة بن نافع ومسجده بين الخبر التاريخي والتحقيق الأثري، مقال، ص 15 ـ 16
[9] ـ شهبي عبد العزيز : المرجع السابق، ص 23.

وقد توالت الإصلاحات بالجامع بعد ذلك، ففي الفترة العثمانية تواصل إصلاح الجامع على يد محمد بن عب التونسي، ويؤكد ذلك وجود نص كتابي داخل المحراب، جاء فيها : ((بنا هذا المسجد المعظم محمد بن عمر التونسي ـ دشير ـ [1] الحمد لله هاذي تذكرتنا من نظر فيها بعدما يدعونا لنا برحمة والغفران لكاتبها أحمد بن الحاج تواتي ـ العافية ـ البقية العالية)) . [اللوحة 01]

هذا وتم بنيانه على يد المسمى محمد بن عمر التونسي عام 1214هـ[2] . إضافة إلى وجود نص آخر بالمنبر كما نقل إلى جدار غرفة الضريح بجانب الباب في الجهة اليمنى منه .

جاء فيه : ((يا واحد يا أحد اغفر لعبدك اسمه محمد عبد الكبير التنسي. اغفر لكاتبه أحمد بن الحاج بن التواتي وفقه الله آمين)). [اللوحة 02]

ويقول إمام الجامع السيد : علي الزبيري نقلا عن زهير الزاهري أنه أجريت الترميمات بالجامع والمئذنة سنة (1160 هـ/1747م). وقد تم توسيع بيت الصلاة، كما جدد الضريح سنة 1215هـ/1801م.

أ ـ الوصف العام : [المخطط 01] [اللوحة 03]

يأخذ جامع سيدي عقبة شكلا غير منتظم، حيث يبلغ طول ضلعه 60م أما عرضه 37م، وهو يتكون من بيت الصلاة، يتوسط المبنى ويحيط به أروقة من الجهات الثلاثة: الشمالية والشرقية والغربية، ويتقدم الجامع بيت الوضوء وعدد من الغرف الملحقة به، ومدخل إلى الجامع من الباب الرئيسي الموجود بالناحية الجنوبية عرضه 12م، وينقسم إلى أربعة مداخل صغيرة يفصل بينها ثلاث دعامات تحمل في أعلاها عقودًا نصف دائرية الشكل . أما بيت الصلاة فتأخذ شكلا غير منتظم طول ضلعه 23م، أما عرضه 22م ، يحتوي على سبع بلاطات عمودية على جدار المحراب، تجتازها سبعة أساكيب موازية له . ويبلغ عرض البلاطة الواحدة 2,40 م . هذا ونجد اختفاء الصحن في جامع سيدي عقبة ، حيث تم تعويضه برواق من الناحية الشمالية والشرقية .

الرواق الشمالي عبارة عن مضلع غير منتظم طوله 15,50م ، وعرضه يتراوح ما بين 8,50 م و 12,50 م، يحتوي جامع سيدي عقبة على العديد من الملحقات كلها مستحدثة . ماعدا غرفة الضريح التي سبق تأسيسها الجامع وهي تشغل مساحة مقدرة بـ 25م² ، حيث يبلغ طول كل ضلع 5م . وتعلوها قبة بسيطة ، وفتح بجدارها الجنوبي باب عرضه 3م، يصل إلى بيت الصلاة إضافة إلى وجود غرف

---

[1] ـ دشير : حسب الشهبي فإن كلمة ـ دشير ـ المستعملة في النص تدل على تاريخ استصلاح المسجد حسب الطريقة الشرقية المستعملة في التأريخ حيث إذا جمعت فيه أحرفها تعطي 1214 م . د . ش . ي . ر

4 + 1000 + 10 + 200 = 1214

ـ أنظر: بورويبة رشيد : الكتابات الأثرية بالمساجد الجزائرية ، ترجمة شبوح إبراهيم ، ش . و . ن .ت الجزائر، 1979، ص 255.

[2] ـ شهبي عبد العزيز : المرجع السابق، ص 28.

أخرى عددها تسع (09) أهمها غرفتين على يسار المحراب والثالثة بالركن الأيمن للجدار الجنوبي . إضافة إلى غرفة رابعة بجدار الضريح ، هذا بالإضافة إلى المضاءة التي تتقدم الجامع من الناحية الجنوبية وهي غير منتظمة الشكل بواسطتها بئر .

ب ـ المئذنة : [اللوحة 04]

تعتبر مئذنة جامع سيدي عقبة من بين أقدم المآذن في المغرب الأوسط بعد مئذنة القيروان[1] ورغم ذلك حافظت على تماسكها وصلابتها ويصفها الورتلاني[2] في رحلته قائلا: ((... وفي وسط هذا البسيط ، وفي مسجده مئذنة كبيرة عظيمة متقنة البناء في أعلاها عمود يزعم الحجاج أن من تمسك بذلك العمود وحركه وقال أقسمت عليك أيتها المئذنة بحق سيدي عقبة إلا بما تحركت فتهتز ...))[3]

تقع المئذنة في الركن الشمالي الشرقي لبيت الصلاة ، وهي تنتمي إلى نمط المآذن ذات القاعدة المربعة، ويبلغ ارتفاعها حوالي 16م ، وتمتاز بالتراجع كلما زاد ارتفاعها ـ المآذن الهرمية ـ حيث يبلغ طول ضلع القاعدة 5م ليتراجع إلى 3,50م عند القبة .

تتكون المئذنة من طابق واحد ارتفاعه 14م ، وتتخلله شرافات، ويعلوه حوسق اسطواني الشكل ارتفاعه 2م ، يعلوها جمور نحاسي وجاءت شبيهة بمئذنة جامع قلعة بني حماد التي تتكون هي الأخرى من طابق واحد[4] .

تحتوي واجهات المئذنة على زخارف بسيطة ومتنوعة على طول واجهاتها مدخل المئذنة من بيت الصلاة بواسطة مدخل من الجهة الشرقية عرضه 90 سم، وارتفاعه 1,80م .

ب ـ الباب التذكاري لجامع سيدي عقبة :

لقد كان موجود بالمدخل الثالث لبيت الصلاة، وعند إصلاح الجامع وإعادة ترميمه تحول الزاوية الغربية لبيت الصلاة[5] .

ويرجع الدكتور بورويبة رشيد والباحث جورج مارسيه تاريخ هذه التحفة إلى النصف الأول من القرن الخامس الهجري، الموافق للحادي عشر ميلادي. حيث يعود على الفترة الزيرية ، إذ أهداه المعز بن باديس الزيري إلى الجامع[6] .

---

[1] ـ صالح بن قربة ، المرجع السابق، ص 16

[2] ـ الورتلاني : المصدر السابق، ص 104.

[3] ـ الورتلاني : المصدر السابق، ص 104.

[4] ـ Bourouiba (R) ; Apport de l'algerie à l'architecture religieuse , Arabe – islamique ,O.P.U .Alger.1986.p.280.

[5] ـ شهبي عبد العزيز : المرجع السابق، ص ص، 23 ـ 24.

[6] ـ Bourouiba (R) ; op.cit.p.26.

2 ـ المسجد العتيق :

يقع المسجد في قلب مدينة طولقة[1] القديمة والتي تبعد عن الولاية بحوالي 50 كلم وهو في الجهة الجنوبية الغربية منها، وبالضبط في الجانب الأيمن من الطريق البلدي رقم 13 الرابط بين طولقة وبرج بن عزوز، وبالحديد في نقطة التقاطع : (س ع) = 745,7 ـ 160,5 ، الخريطة رقم (04) الصورة الجوية رقم (02) .

وقد وصف الورتلاني في رحلته بقوله : ((.... والمسجد في غاية، السعة واتقان البناء إلا أنه قل عامره ...))[2] .

وهناك من الباحثين من يرى بأنه يرجع إلى عهد الاحتلال البيزنطي[3] حيث كان عبارة كنيسة، وفي الفتح الإسلامي ـ القرن السابع الميلادي ـ قام عقبة بن نافع بتحويل الكنيسة إلى مسجد وصلّى جمعته الثالثة هناك أي مكث ثلاثة أسابيع هناك .

لقد تعرض المسجد إلى عدة إصلاحات في الفترات السابقة لكن دون جدوى دليل يثبت ذلك، ماعدا تلك التي عرفها متأخرًا والتي تشير إليها الكتابة الموجودة فوق الباب الشرقي للصحن.

وقد جاء فيها: ((صلّى الله على آل مصطفة ... تم إصلاحه جمادي الأولى سنة 1332م)) . وهذا ما أكده حيث صرح أن ترميمه الأخير كان سنة 1910م .

أ ـ الوصف العام للمسجد العتيق: [المخطط 02] [اللوحة 05] .

يأخذ المسجد شكلا مستطيلاً طول ضلعه 36م أما عرضه فيبلغ 16م وسمك جدرانه 40 سم،وبه أربعة واجهات علو كل واجهة 6م، فالواجهة الرئيسية بها بابان ونافذتان تطلان على الشارع، وهذه الواجهة هي المحور الذي يقسم طولقة القديمة إلى قسمين متساويين، والواجهة الثانية بها نافذتان وباب يطل على الشارع الرئيسي، والواجهة الثالثة جانبية بها المئذنة، أما الرابعة فهي عبارة عن جدار يحتوي على ساحة كبيرة، مخصصة للصلاة، وأخرى للوضوء ومكتبة، وساحة صغيرة، أما بيت الصلاة فشكله مستطيل طول ضلعه 16م، وعرضه 15م ويتكون من أربعة أساكيب، وأربع بلاطات، عمودية على جدار المحراب، عرض كل بلاطة 3م، كما نجد في البلاطة الوسطى من مؤخرة بيت الصلاة غرفة يوجد بها ضريح طول ضلعه 4,80م، أما عرضها 1م .

---

[1] ـ طولقة: يقول البكري: ((...طولقة من بلاد الجريد ... وهي ثلاث مدن(البرج، مليلي، بنطيوس) كلها عليها أسوار وخنادق))، للتوسع أنظر: البكري أبو عبد الله: المصدر السابق، ص ص 52 ـ 53، وأنظر: ابن خلدون: المصدر السابق،ج12، ص 912.

[2] ـ الورتلاني حسن بن محمد: المصدر السابق، ص 88

[3] ـ Algérie et SAHARA; op.cit.pp.205 – 206.

أما الصحن فيقع بالناحية الجنوبية لبيت الصلاة ويتصل بها بواسطة مدخلين عرضهما 1,60م ، ويأخذ الصحن شكلا مستطيلا طول ضلعه 19م وعرضه 12,20م وهو غير مغطى ويحيط بالصحن أربعة أروقة عرض كل رواق 3م .

ب ـ المئذنة : [اللوحة 06]

تعتبر مئذنة المسجد العتيق، من المآذن القديمة حيث حافظت على تماسكها وصلابتها وقد وصفها الورتلاني في رحلته قائلاً : ((وطلعنا إلى مئذنته (المسجد) وهي في غاية الإتقان والطول والسعة تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها وأدراجها 124° ...))[1] .

وتقع المئذنة في الركن الجنوبي الشرقي للصحن وهي تنتمي إلى المآذن ذات القاعدة المربعة ويبلغ ارتفاعها 14م وتتكون المئذنة من طابق واحد تتخلله شرفات ويعلوه جوسق، تحتوي المئذنة على زخارف بسيطة على طول واجهتها والمتمثلة في الأشرطة التي تربط بدنها، ويمكن ارتفاع هذه المئذنة من تميز المدينتين القديمة والحديثة .

[1] ـ الورتلاني حسن بن محمد : المصدر السابق، ص 88.

3 ـ مسجد سيدي مسعود :

يقع ببلدية شتمة [1] التي تبعد بحوالي 08 كيلومتر شرق مقر الولاية، وهو محدد وفق الأحداثيات التالية :

(س ع) = 784.4 ـ 176.8 ، الخريطة رقم (05) الصورة الجوية رقم (03) .

إن أصل تسمية سيدي مسعود لم يرد ذكره في المصادر التاريخية التي لم تعط أي تفسير لذلك، غير أن هناك من يعتقد أن سيدي مسعود كان أحد القواد في الجيش العربي الفاتح ، أثناء عمله الصحابي الجليل عقبة بن نافع وبعدما استشهد في موقعة تاهودا سنة 63هـ/683م، قامت جيوش كسيلة بمطاردة بقية الجنوب الفاتحين، وعلى إثرها سقط سيدي مسعود شهيدًا بهذه المنطقة فبنى الأهالي بعد فترة من الزمن ضريحًا حول قبره يتبركون به وأضيف إليه مسجدًا يحمل اسمه[2] .

وقد ذكره العياشي في رحلته سنة 1060هـ بقوله : ((... وقد دخلنا المدينة (شتمة) فوجدنا أكثر حوماتها خالية ومساجدها داثرة، ولقيت بهذه المدينة مسجد سيدي مسعود ...))[3] .

ومن خلال تحليلنا لهذا القول نرجح أن المسجد كان في حالة يرثى لها وربما يعود سبب ذلك إلى مرض الوباء الذي ضرب المنطقة في تلك السنة، الأمر الذي أثر سلبًا على عدم الاهتمام به . أما فيما يخص تاريخ بنائه فمن الصعب تحديده لأن المصادر لم تشر إلى ذلك وما ورد فهو لا يعدو أن يكون مقتطفات لا تعني البحث شيئًا . إلا أنه يرجح بأن تأسيسه يعود إلى فترة مبكرة نظرًا لبساطته[4] .

وقد تعرض المسجد للعديد من الإصلاحات في الفترات السابقة لكن دون وجود الدليل يثبت ذلك وحسب إمام المسجد فإنه قد حافظ على شكله الأصلي، لكن خلال الفترة الممتدة ما بين 1924 و 1926 فإن المسجد قد تعرض للترميم من طرف عمال إيطاليين وذلك طلبًا من حكم البلدية آنذاك الشيخ محمد ابن لمي، وقد شملت الترميمات الجدران الخارجية للمسجد وإضافة طبقة من الرخام إلى أرضية بيت الصلاة[5] .

---

[1] ـ شتمة : هي بلدية من بلديات بسكرة وهي عبارة عن حصن دفاعي أيام العثمانيين يجهل أصل تسميتها. وهي مشيدة فوق هضبة أنظر:

ALRONNE (L.) L'Algérie, Fernand wothan éditeur paris, s.d.P.119.

[2] ـ سجلات الأرشيف الوطني الجزائري: مجموعات البايليك وبيت المال والوثائق الشرعية رقم (12)، قسنطينة .

[3] ـ العياشي: المصدر السابق، د. ص.

[4] ـ Syndicat: op.cit. pp. 5-10.

[5] ـ هذه المعلومات مستقاة من إمام المسجد محمد مرجان .

أما الترميمات الحديثة فقد قامت بها السلطات المحلية حيث أضافت طبقة من الإسمنت إلى جدران المسجد الداخلية والدعامات وأضيفت طبقة من الرخام إلى المحراب .

أ ـ الوصف العام : [المخطط 03[[اللوحة 07].

يأخذ شكلاً مستطيلاً. طول ضلعه 19,20م أما عرضه 12,60م وسمك جدرانه حوالي 60 سم. يضاف بذلك ضمن قائمة المساجد المستطيلة ، إذ أن عمقه أكبر من عرضه، ندخل المسجد بواسطة مدخلين أحدهما بالجدار الشرقي لبيت الصلاة والآخر وهو عبارة عن رواق منكسر عبر درجات سلمه إلى الصحن ، أما بيت الصلاة فشكله مستطيل، ويبلغ طول ضلعه 11,30م وعرضه 10,60م ويتكون من اسكوبين وثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة .

أما الصحن فيقع بالناحية الغربية لبيت الصلاة ويتصل بها بواسطة مدخل عرضه 1م ويأخذ الصحن شكلاً مستطيلاً طول ضلعه 9,50 م وعرضه 6,50 م وقد غطى نصفه بجريد النخيل والطين .

4 ـ مسجد سيدي موسى الخذري :

يقع في بسكرة القديمة على الطريق الرابط ما بين الولاية وحتى المسيد وذلك وفقا للإحداثيات التالية :

(س ، ع) = 776 ـ 174.5 ، الخريطة رقم (06) الصورة الجوية رقم (04) .

بناه على ما جاء في الوثيقة التاريخية التي عثر عليها بجوار المئذنة أثناء ترميمها سنة 1372هـ/ 1952م ، أنه كان من المجاهدين والتابعين في حملة عقبة بن نافع ورغم أننا لم نتمكن من جمع معلومات مستفيضة عن حياته، ذلك أن كتب السير والتراجم التي استنطقناها لم تفدنا شيئًا في هذا الجانب، الأمر الذي دفعنا إلى الاعتماد على ما ذهب إليه عبد العزيز شهبي، حيث رجح تاريخ بنائه إلى الفترة الموالية لتأسيس جامع سيدي عقبة وهي فترة حكم الأغالبة بتونس بين القرنين الثاني والثالث الهجريين أي الثامن والتاسع الميلاديين[1] .

عرف الجامع العديد من الإصلاحات والترميمات، ولكن ينعدم وجود نص تاريخي يثبت ذلك ماعدا تلك التي عرفها في الفترة العثمانية والتي تشير إليها لوحة رخامية موجودة بالجدار الخارجي للجامع من ناحيته الشمالية جاء فيها : ((بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم . هذا مسجد الولي الصالح سيدي موسى الأخذري، أسس بنيانه في عهد الأتراك في القرن العاشر من الهجرة النبوية 1550م . رمم في سنة 1950م)) ويقصد بكلمة بنيانه ترميمه[2]. [اللوحة 08]

أما في عام (1140هـ/1727م) فتم ترميم المئذنة من طرف الأهالي، هذا حسب ما ورد ذكره في الوثيقة السابقة: ((هذا تاريخ ابتداء بناء صومعة التابعي المجاهد في سبيل الله سيدي موسى الخذري رضي الله عنه بعد سقوطها ، فلما صلينا الظهر في يوم 22 في شهر الله المعظم لقدره رجب الفرد الأصب عام 1140 هـ/1727م) وتوالت به الترميمات حيث قام الأهالي مرة أخرى بترميمه مثلما تذكره اللوحة السابقة وذلك سنة 1370هـ/ 1950م، أما بعد الاستقلال فقد عرف الجامع العديد من الإصلاحات مما غطى عناصره الأثرية إضافة إلى بعض الزيادات كالسقيفة التي تتصل ببيت الصلاة من الناحية الشمالية كذلك توسيع الجامع من الناحية الغربية وإضافة الميضاة الحديثة كذلك تحويل المحراب من الجدار الجنوبي إلى الركن الجنوبي الشرقي خلال الثمانينيات اعتقادًا منهم أنه غير موجه للقبلة .

[1] ـ شهبي عبد العزيز : المرجع السابق، ص 20.

[2] ـ نفسه ، ص 21.

أ ـ الوصف العام : [المخطط 04] [اللوحة 09] .

شكله شبه مربع، طول أضلاعه تتراوح ما بين 17,20م و 19,50م ، أما بالنسبة إلى بيت الصلاة فهو شبه مربع الشكل مقاساته 9,50م × 8,50م ، حيث أن عمقه أكبر من طوله ويتكون من ثلاث بلاطات تجتازها ثلاثة أساكيب وبه أربعة أبواب : الأول يقع بالركن الأيسر للجدار الجنوبي عرضه 90 سم، الثاني في الجدار الشمالي وعرضه 80 سم والأخريين، الأول يؤدي إلى الضريح والآخر إلى المئذنة، كذلك نجد الصحن في جانبي الجهة الشرقية ويأخذ شكلاً مستطيلاً طول ضله 8,20م ، أما عرضه 4,20م ، وفتح بجداره الجنوبي مدخل يصله بالخارج لا تحيط به أروقة .

المئذنة : [اللوحة 10]

عرفت ترميًا سنة 1952م ، شمل جدرانها، وذلك استنادًا إلى الوثيقة التي وجدت بالمئذنة وتقع بالزاوية الشمالية لبيت الصلاة ، وقاعدتها مربعة الشكل، يبلغ صول ضلعها 90 سم، أما ارتفاعها فيبلغ حوالي 24م وتتكون من طابق واحد .

5 ـ مسجد أبي الفضل [1] :

يقع المسجد بحي قداشة أحد أحياء مدينة بسكرة القديمة سالفة الذكر على الطريق الرابط بين الولاية وحي قداشة وذلك وفقًا للإحداثيات :

(س ، ع) = 778.2 ـ 175 ، الخريطة رقم (07) الصورة الجوية رقم (05) .

وقد ورد ذكره عند بعض الرحالة والمؤرخين أمثال العياشي الذي قال عنه في رحلته المشهورة: ((... وقد ذهبنا معًا (...) إلى قبة أبي الفضل وصلينا العصر في مسجد هذا الوالي الصالح ...))[2] ويضيف: ((دخلنا المسجد وطلعنا إلى مئذنته وهي في غاية الإتقان والطول والسعة تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها، وأدراجها مائة وأربع وعشرون درجة. والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء إلا أنه قل عامروه وضعف ساكنوه فلا ترى به مدرسًا ولا قارئًا مع أن هذه المدينة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة مع توافر أسباب العمران))[3] . كما قال أن مولا أحمد المغربي الذي يقول في رحلته التي تأتي بعد رحلة العياشي بحوالي قرن ما يلي : ((... وزرنا سيدي عبد الرحمان وسيدي أبي الفضل ...)) الذي يعتبر من الأولياء الصالحين في المدينة))[4].

إضافة لما ذكره الورتلاني في حلته: ((... وزرنا سيدي عبد الرحمان وسيدي أبي الفضل...))[5].

ومن هذا المنطلق يحتمل أن المسجد بني خلال الفترة العثمانية، أو خلال القرنين الثالث عشر أو الرابع عشر بدليل أن المؤرخين الذين وصفوا مدينة بسكرة قبل هذه الفترة لم يشيروا إليه أو ربما لم يولوه اهتمامًا باعتباره مسجدًا محليا على غرار مسجد سيدي مسعود.

كما يفترض أنه يعود إلى فترة مبكرة بدليل تهدمه وبساطته.

لم يبق من المسجد إلا الجدران الخارجية بعدما سقط الجزء الأكبر من سقف بيت الصلاة ماعدا الجزء الخاص بالضريح الذي بقي سالما رغم التصدعات الموجودة بالقبة.

أما المئذنة فلم يبق لها أي أثر ماعدا كومة التراب والطوب المتراكمة بجوار المسجد.

ب ـ الوصف العام : [المخطط 05] [اللوحتان 11 و 12] .

إن الوضعية الحالية للمسجد أفقدته قيمته الأثرية ، حيث عوض بمسجد حديث الذي يأخذ شكلاً مربعًا طول ضلعه 11م، أما بيت الصلاة فيتراوح طول أضلاعه ما بين 5,60 و 6,20م ،ويتكون من اسكوبين وثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، أما الصحن فقد عوض بإيوان طول ضلعه 8,45 م وعرضه 2,80م ، يتصل به مدخلاً وهو مفتوح بالجدار الشرقي وهناك مدخل آخر يؤدي إلى بيت الصلاة وهو يشكل محور تناظر مع المدخل السابق ، هذا بالإضافة إلى المدخل الثالث الذي يؤدي إلى غرفة الضريح .

---

[1] ـ أبو الفضل : هو أبو الفضل الذي كان واليًا على الزاب سنة 678هـ/1279م .

[2] ـ العياشي: المصدر السابق ، د. ص.

[3] ـ العياشي : المصدر السابق ، د. ص.

[4] ـ نقلا عن بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1979، ص 104.

[5] ـ الورتلاني الحسن بن محمد: المصدر السابق، ص 91.

6 ـ مسجد خالد بن سنان العبسي [1] :

يقع المسجد في بلدية سيدي خالد[2] التي تبعد بحوالي 107 كلم جنوب غرب الولاية حيث يبعد عن مقر الدائرة ب 1 كلم شرقًا وتحديدًا في نقطة تقاطع خطي الطول والعرض (س،ع)= 711 ـ 124، الخريطة رقم (08) الصورة الجوية رقم (06).

وقد ورد ذكره عند بعض الرحلة والمؤرخين أمثال العياشي الذي قال عنه في رحلته المشهورة: ((...وسمعت أنه (الأخضري) هو الذي أظهر القبر في بلاد الزاب المنسوب لنبي الله خالد ابن سنان عليه السلام وعليه مسجد عظيم وحوله مدرسة والناس يأثرون عن ذلك المشهد كرامات ...))[3] .

كما أننا نجد في موضع آخر من هذه الرحلة يقول أن : ((... أن السي عبد الرحمان الأخضري أخبرهم أنه شاهد النور صاعدًا من تلك البقعة إلى السماء ثلاث ليال أو نحوها وأخبر أنه قبر النبي خالد))[4] .

أما الورتلاني فيقول في نزهته:((... وزرت قبر سيدي خالد قيل أنه نبي مرسل إلى جبل...))[5] ، ويقول في موضع آخر من نزهته: ((وزرت أيضا سيدي خالد وذكر لنا سيدي محمد بن عبد الواحد الرماني: ((... أن هذا السيد كان رجلاً صالحًا وكان أمير ركب في زمانه))[6] .

وهذا الزياني يذكره في رحلته : ((... وعليه ـ سيدي خالد ـ مسجد عظيم ومدرسة))[7] .

أما صلاح مؤيد العقبي فيقول: ((... لقد صار من الثابت لدى القاصي والداني بناءً على ما يرويه الأحفاد عن الأجداد ومنذ قورن خلت ، أن قبر النبي خالد بن سنان العبسي موجود بالبلدة التي تحمل اسمه ...))[8] . لكن فيما يخص تاريخ بنائه فمن الصعب تحديده بالضبط ولكن من المحتمل أن المسجد بني خلال الفترة العثمانية أو خلال القرنين الثالث عشر أو الرابع عشر بدليل أن الذين وصفوا مدينة بسكرة قبل هذه الفترة لم يشيروا إليه .

---

[1] ـ خالد بن سنان: هو خالد بن سنان ابنة غيث ابن هريطة ابن مخزم ابن مالك ابن غالب ابن قطيعة ابن عبس أنظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، دار الأندلس ، بيروت، لبنان، 1981، ص 211.
ـ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، د.ت، ص 251، وأنظر : ابن كثير: السيرة النبوية ج1، ص 5، وأنظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج 3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1981، ص 220.

[2] ـ سيدي خال: دائرة من دوائر بسكرة وهي تحمل اسم النبي خالد بن سنان.

[3] ـ العياشي أبي سالم: المصدر السابق، د. ص.

[4] ـ نفسه .

[5] ـ الورتلاني حسن بن محمد: المصدر السابق، ص 87.

[6] ـ نفسه ، ص 91.

[7] ـ بالحميسي مولاي: المرجع السابق ، ص 173.

[8] ـ مؤيد عقبي : أضواء على حياة خالد بن سنان العبسي ، المطبوعات الجميلة، الجزائر، د.ت، ص 43.

لقد تعرض المسجد إلى العديد من الترميمات والإصلاحات في الفترات السابقة لكن دون وجود دلي يثبت ذلك وحسب تصريح السيد عيسى جمال خادم المسجد خلفًا لوالده الحاج عبد العالي عيسى الذي كان يقوم بالمهمة منذ سنة 1932 أن آخر إصلاح قد تم سنة 1339هـ.

أ ـ الوصف العام للمسجد : [المخطط 06] .

في البداية لابد من القول أن المسجد جعل للصلاة في يوم 27 من رمضان فقط، وهو حسب رأيي يعود إلى الاحتفاء بذكرى نزول القرآن فحسب ، والجدير بالذكر أنه عبارة عن شكل مستطيل طول صلعه 13,35م، أما عرضه 12,65م ، وسمك جدرانه تصل إلى 50سم ، يتم الدخول إليه عبر باب يبلغ غرضه 1,70 م ، من الجدار الشرقي في الجهة اليمنى من المحراب، أما بيت الصلاة فيتكون من ثلاثة أساكيب موازية لجدار القبلة وثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، حيث نلاحظ أوسعها أو سطحها. والملاحظ أن الزخارف منعدمة تمامًا في هذا المسجد .

ب ـ المئذنة : [اللوحة 13] .

نجد المئذنة في الجهة الشرقية الجنوبية ، وقد بنيت في نفس الفترة لبناء المسجد وبها 25 درجة، أما ارتفاعها فيبلغ حوالي 25م، أما بخصوص الصحن فإنه يمكننا أن نلاحظ ساحة كبيرة. أما عن تاريخ بنائه فلا يوجد أي دليل يثبت ذلك ، مما يجعلنا نرجح أن تأسيسه كان بعد (القرن 16م) نظرًا لكثرة الوافدين من كل حدب وصوب لزيارة قبر النبي خالد بن سنان ، الأمر الذي دفع بالقائمين على هذا الضريح ببناء هذا المسجد للصلاة فيه في ليلة 27 من رمضان من كل سنة كما قدمناه.

7 ـ مسجد عبد الرحمان الأخضري[1] :

يقع في مليلي ببلدة بنطيوس بلدية مخادمة[2] التي تبعد بحوالي 30 كلم جنوب غرب الولاية وفقا للإحداثيات (س،ع) = 754 ـ 153.8 ، الخريطة رقم (09) الصورة الجوية رقم (07) .

وقد ورد ذكره عند بعض الرحالة والمؤرخين أمثال العياشي الذي يقول عنه ما يلي : ((... ومررنا بقرية " إمليلي" ظهرًا ثم دخلنا لزيارة مسجد الشيخ عبد الرحمان الأخضري وصلينا به))[3] . أما الورتلاني فيقول في نزهته : ((وعند قرية إمليلي يوجد مسجد سيدي الشيخ عبد الرحمان الأخضري، وهو إمام الجامع بين علمي الظاهر والباطن له تآليف مشهورة وكرامات مأثورة))[4] .

أما محمد بن أحمد بن داود فيذكره في عقده بما يلي : ((... يعتبر سيدي الأخضري من علماء التصوف في الجزائر وهو من تبنى فكرة نبوة النبي خالد...))[5] .

أ ـ الوصف العام للمسجد :

لم يبق من هذا المسجد أي أثر شاهد للعيان، وقد اندست معالمه بالمرة وبنى فوقه مسجد سنة 1929، حسب أقوال أهالي المنطقة.

---

[1] ـ عبد الرحمان الأخضري: علامة العقول والمنقول سيدي عبد الرحمان الأخضري صاحب التآليف العديدة الذي عاش خلال القرن العاشر في قرية (إميلي) التي تبعد عن بسكرة بحوالي 70 كلم أنظر : أحمد بن داود : العقد الجوهري، د.ت، د. ص .

[2] ـ مليلي: قرية تنسب إلى أم ليلى من قبيلة برنس، أنظر ابن خلدون: العبر، ج6، ص 395.

[3] ـ العياشي : المصدر السابق، د. ص

[4] ـ الورتلاني: المصدر السابق، ص 89.

[5] ـ أبو محمد بن داود : المصدر السابق، ورقة 4.

8 ـ مسجد سيدي مبارك[1] :

يقع في خنقة سيدي ناجي[2] أقصى شرق ولاية بسكرة على بعد حوالي مائة كيلومتر وهذا وفقا للإحداثيات التالية (س ،ع) = 290 ـ 385.6 ، الخريطة رقم (10) الصورة الجوية رقم (08) .

وقد ورد ذكره عند بعض الرحالة والجغرافيين، حيث يقول العياشي في ماء الموائد : ((... ثم ارتحلنا ونزلنا قرب خنقة سيدي ناجي، وتبركنا بضريح سيدي مبارك وصلينا بالمسجد...))[3] .

أما الورتلاني فيقول : ((... وزرنا قرية خنقة سيدي ناجي وصلينا بمسجد سيدي مبارك..))[4] .

أما الناصري في رحلته الكبرى فيقول: ((... وسيدي مبارك من العلماء الصالحين وهو من كان سببا في عمارة خنقة سيدي ناجي وأول ما قام به تخطيط مسجده ...)) [5].

أما بخصوص تاريخ تأسيس المسجد فنعتمد على الكتابة المنجزة بالخط المغربي على الساكف الرئيسي للمسجد الذي يبلغ طوله 50 سم وعرضه 11,5 سم وهي تحتوي على خمسة أسطر وهي :

1 ـ الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم ركب هذا الباب يوم الأحد ثامن من شهر

2 ـ الله المعظم شوال سنة 1 و4 ماية وألف على يد صانعها اصطى/

3 ـ أحمد بن عمر بن الشّريف الجبالي النقاش غفر الله له (ءامين) آمين/

4 ـ وباني هذا المسجد الحاج محمد السعي (السعي) بن عمر الصفاقصي رحمه الله/

5 ـ والناقش لهذه الأسطر الصديق بن المروك (المبروك) بن الطيب رحمه الله.

كما اعتمدنا على لوحة جصية مستطيلة الشكل يبلغ طولها 0,54 سم وعرضها 0,44 سم ، والتي توجد على يسار محراب الجامع نقشت عليها كتابة تأسيسية تخلد ذكرى بناءه، نفذت بخط مغربي كسابقتها وهي تتكون من عشرة أسطر وقد جاء فيها ما يلي :

1 ـ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله /.

2 ـ وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده/.

3 ـ بني هاذا المسجد المبارك على يد أفقر الورا/.

---

[1] ـ سيدي مبارك :.هو الشيخ سيدي مبارك بن قاسم بن ناجي الأصغر بن قاسم بن ناجي الأكبر ينتهي نسبه إلى ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان وقد نزل الخنقة عام 1010هـ وتوفي سنة 1031هـ،، ودفن في الموضع الذي خطه بنفسه داخل المسجد. أنظر : العربي بوغديري: سكان الخنقة وتبويحميت، محاضرة ألقاها في الذكرى المئوية الرابعة لتأسيس الخنقة .

[2] ـ خنقة سيدي ناجي: نسبة إلى سيدي ناجي المتوفي بتونس، وهي عبارة عن موقع استراتيجي يقصد به فج أو مدينة بين جبلين .

[3] ـ العياشي : المصدر السابق، د .ص .

[4] ـ الورتلاني : المصدر السابق، ص 90.

[5] ـ الناصري: الرحلة الكبرى للناصري، مخطوطة مصورة بالخزانة العامة بالرباط رقم 2651 د.ص، ص ص 497 ـ 498.

4 ـ وخديم شراك نعال الفقرا تقي الجنان/.

5 ـ المستمسك بسنة والد النظر بن / .

6 ـ عدنان الشيخ البركة سيدي محمد بن محمد/.

7 ـ بن الطيب رحمه الله وثبت أجره غفر الله له وجميع/.

8 ـ المسلمين ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا/.

9 ـ هن يحزنون بتاريخ أواسط صفر الخير من /.

10 ـ سنة سبع وأربعين ومائة وألف/.

اللافت للانتباه أن الكتابة تضمنت اسم باني هذا وهو الشيخ محمد بن محمد بن الطيب بن أحمد بن المبارك في التاريخ المذكور وهو سنة 1147هـ ، ولا نعلم على وجه التحديد فيما إذا كانت عملية البناء هذه مجرد عملية تجديد وتوسعة للمسجد الذي بناه جده أم هي إعادة بنائه كلية من طرف هذا الحفيد الشيخ محمد بن محمد الطيب.

أ ـ وصف المسجد : [المخطط 07] [اللوحة 14]

يأخذ مسجد سيدي المبارك شكلاً غير منتظم حيث يبلغ طول ضلعه 28م وعرضه 24 م، أما بالنسبة لبيت الصلاة فهو شبه مربع مقاساته 12,50 × 10م، وتجدر الإشارة هنا أن عمقه أكبر من طوله ويتكون من سبع بلاطات عمودية على جدار القبلة تتخللها سبع أساكيب، ويلاحظ به ثلاثة أبواب، يقع الأول في منتصف الجدار الغربي يبلغ عرضه 90 سم، أما الباب الآخران فيقعان في الجدار الجنوبي ولهما نفس مقاسات الباب المذكور سابقًا . أما المئذنة فمربعة المقطع على شاكلة مئذنة جامع القيروان يبلغ طولها حوالي 20م وهي تقع في الركن الجنوبي الشرقي في الجدار الخارجي للمسجد، وينبغي أن نذكر هنا أن الأعمدة مربعة الشكل يشكل كل صف منها بائكة، فعلى الرغم من بساطة هذا البناء إلا أنه جاء متناسقا بطريقة بديعة روعي فيها التخطيط الهندسي للعمائر الدينية الصحراوية في بلاد المغرب الأوسط. فلا مراء إذا قلنا أن هذا المسجد لا يقل أهمية عن العمائر الدينية الأخرى بالرغم من انعدام الزخارف إن في جدرانه أو في حائط قبلته كما هو الحال في مسجد القيروان كما مرّ بنا .

9 ـ مسجد سيدي عبد المؤمن[1] :

يقع في بني سويك[2] بلدية جمورة[3] والتي تبعد عن مقر الولاية بـ 36 كلم شمالاً وهذا وفقا للإحداثيات (س،ع) = 761 ـ 388.7 ، الخريطة رقم (11) الصورة الجوية رقم (09) .

الحقيقة أن النصوص التاريخية كانت شحيحة جدًّا، بل منعدمة إلا من بعض النتف التي لا تعني الباحث شيئًا في الموضوع، وعلى قلتها فإننا حاولنا قدر المستطاع الاستناد إليها حتى نتمكن من إبراز هذا المسجد الذي لفه النسيان طوال هذه السنين. والجدير بالذكر أننا لم نعثر على نص صريح إلا في كتاب جواهر المحتاج في شرح السراج وهو مخطوط محفوظ في مكتبة طولقة حيث يقول صاحبه : ((...كان مسجد سيدي عبد المؤمن بقرية بني سويك له رسالة نبيلة تمثلت في نشر الدين الإسلامي وتحفيظ القرآن وتلقين الدروس في السيرة والسنة النبوية الشريفة ...))[4] .

وهنا ينبغي الإشارة إلى أن المسجد اندرست معالمه ولم يبق له أي أثر وبني في مكانه مسجد آخر، ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن تاريخ بناء هذا المسجد يعود إلى بداية ظهور العثمانيين الأتراك في منطقة بسكرة .

[1] ـ سيدي عبد المؤمن : أتى من تونس وبالضبط من سيدي محرز هو وأخواه سيدي بن عبد الواسع وسيدي بن زكري وهما من المرابطين .

[2] ـ بني سويك : نسبة على الفريك أو القمح المدروس وهي قرية قديمة النشأة.

[3] ـ جمورة : تنسب إلى ابن جمار أول زياني سكن المنطقة وهو من قبيلة زناتة خلال القرن 15 هـ.

[4] ـ مؤلف مجهول: جواهر المحتاج في شرح السراج، مخطوط محفوظ في زاوية طولقة، ورقة 15.

10 ـ مسجد محمد الصالح[1] :

يقع في أحد أحياء مدينة بسكرة القديمة وذلك وفقًا للإحداثيات التالية (س،ع) = 777 ـ 174.4 الخريطة رقم (12) الصورة الجوية رقم (10) .

وهو من المساجد المندثرة حالية، وقد حفظ لنا كل من العياشي والدرعي أخبارًا يسيرة عنه لا تكاد تبين سنوردها فيما يلي : ((... وقد دخلنا المدينة (بسكرة)عقبه فوجدنا أكثر حوماتها خالية ومساجدها كاثرة ولقيت بهذه المدينة سيدي محمد الصالح وهو رجل من أهل الخير منفرد في مسجده بإزاء داره يلازم فيه الصلوات الخمس ويجتمع إليه ناس من أصحابه يذكرهم يعلمهم ...))[2] كما تعرض الدرعي إلى علمائها (بسكرة) فقال : ((... ومن هؤلاء العلماء سيدي محمد الصالح وهو رجل من أهل الخير له مسجد بإزاء داره يلازم فيه الصلوات الخمس ويجمع حوله أناسًا من أصحابه يذكرهم ويعلمهم ...)) [3].

نتيجة لانعدام النصوص والوثائق التاريخية واندثار معالمه الأمر الذي جعلنا ، نميل للاعتقاد بأن هذا المسجد بني خلال القرن 10 هـ على أكثر تقدير، ذلك أن الرحالة الذين جابوا المنطقة في سنوات لاحقة أكدوا لنا أنهم أقاموا في أرجائه للصلاة والجلوس إلى العالم محمد الصالح استنادًا إلى أقوال العياشي والدرعي مثل ما مرّ بنا .

[1] ـ محمد الصالح: من فقهاء البلد خلال القرن 10 هـ وهو رجل من أهل الخير وقد جمع بين العلم والعمل والزهد والورع، أنظر: العياشي: المصدر السابق، ورقة 104.

[2] ـ العياشي: المصدر لاسابق، ورقة 104 ـ 105

[3] ـ الدرعي : رحلة الدرعي الأحوال الثقافية والسياسية للجنوب الجزائري من خلال رحلة الدرعي، المكتبة الوطنية الجزائرية، ورقة 296.

ثانيا : الأضرحة :

أ ـ تعريف الضريح :

تشير القواميس والمعاجم العربية وعلى رأسها لسان العرب لابن منظور بأن لضريح مشتق من فعل ضرح بمعنى دفن في قبر أو شق، ويقال أيضا عن الميت حفر له ضريح وجمعها أضرحة، ويقصد بذلك المبنى الذي يقام على قبر الميت[1] . هذا من ناحية اللغة ، أما اصطلاحًا فهو المكان الذي يدفن فيه ولي صالح أم سلطان أو شخصية دينية معروفة، ونشير في هذا الصدد إلى أن لهذه الكلمة عدة مصطلحات منها كلمة ((مشهد)) وتطلق على كل بناء تذكاري أعد لدفن الشهداء والأولياء الصالحين وهو في الغالب ـ المشهد ـ يتخذ مزارًا تقصد إليه العامة من الناس ، وفضلاً عن ذلك فقد استعملت كلمة((تربة)) للدلالة على المدفن لاسيما في العصر العثماني[2] ، وتجدر الإشارة أن العثمانيين استعملوه على نطاق واسع، وعادة ما كان دائريًا يغطي بسقف مخروطي أو قبة، وينسب هذا الشكل إلى الأبراج الجنائزية التي أدخلت إلى بلاد الأناضول وفارس على يد الأتراك الذين كانوا يقطنون آسيا الوسطى[3] .

كما أطلق عليه اسم ((إمام زاد)) ، ((أو شاه زاد))، وفي البلاد العربية كان يطلق عليه اسم ((مقام)) للدلالة على المدفن[4] ، أما الكلمة الأكثر شيوعًا التي كانت تستعمل فهي ((القبة))[5] .

ب ـ نشأة الأضرحة وتطورها :

لقد عني الإنسان منذ فترة ما قبل التاريخ بتشييد المدافن والقبور إذ وجدت أشكال متنوعة لهذه الأخيرة ولعل أبرزها المدافن التي يطلق عليها اسم (مسكن) وهي عبارة عن مناضد حجرية تتكون من عدة غرف يبلغ ارتفاعها ما بين متر وثلاثة أمتار كما وجدت أشكال أخرى عبارة عن مغارات في الصخور ولعل أهمها التي استخدمت في مغارات الدهاليز والديناميس المغطاة بسقف[6] .

كما كانت هناك ابتكارات للعمارة الجنائزية عند المصريين، حيث أنجزت بأشكال ضخمة كالأهرامات والمصاطب[7] .وهو ما يشبه إلى حدّ كبير ما وجد في حضارة بلاد الرافدين ، بينما شاع في العصر اليوناني

---

[1] ـ ابن منظور: لسان العرب ، ج2، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955، ص 526.

[2] ـ DIEZ(E.) L'art de l'islam, paris, s.d. P.50.

[3] ـ Ibid.P.51.

[4] ـ لمعي صالح مصطفى : القباب في العمارة الإسلامية، بيروت، د.ت ، ص 23.

[5] ـ عبد الجواد أحمد توفيق: تاريخ العمارة في الفنون الإسلامية، ج3، المطبعة الحديثة، القاهرة، ص 74.

[6] ـ عبد الجواد أحمد توفيق: المرجع السابق، ص 74.

[7] ـ نفسه ، ص 105.

بناء المعابد الضخمة وخاصة المصاطب الضخمة من المرمر التي تتكون من ثلاثة أقسام مركبة فوق بعضها حيث تكون قاعدتها مربعة يقوم عليها معبد محاط بأعمدة وفي وسطه شكل هرمي[1] .

في العصر الروماني وجدت ثلاثة أنواع من الأضرحة وهي التي على شكل أقبية تحت الأرض وكذا المقابر التذكارية المستديرة المحاطة ببوائك لها سقف مخروطي وأخيرًا الأضرحة الهرمية التي أدخلت إلى روما بعد احتلالها مصر[2] ، كما نجد الأضرحة في العمائر الفارسية قبل الإسلام قد اتخذت أشكالاً على هيئة أبراج وهي عبارة عن غرف دائرية صغيرة مغطاة بسقوف جمالونية، كما امتازت الأضرحة السورية بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد بشكلها المكعب الذي يعلوه سقف هرمي صغير ونجد أمثلة على ذلك في حلب وإنطاكية[3] .

وفي بلاد المغرب الأوسط كان اهتمام الحكام والسكان كبيرًا ببناء الأضرحة على قبور الأولياء الصالحين والعلماء والمتصوفين والحكام إلا أن أغلب هذه الأضرحة لا يعرف تاريخيا أو هي مجهولة التأسيس[4] .

يجمل بنا القول أن الطرق الصوفية في العهد العثماني عرفت انتشارًا واسعًا فضلا عن كثرة المباني المخصصة لها من مدارس وأضرحة، ففي المدن والأرياف عاش هؤلاء يبثون أفكارهم ويلقنون عقائدهم مؤثرين العزلة والعبادة، فإذا ذاع صيت أحد مريديهم أسس مدرسة أو مركزًا يستقبل فيه الزوار والأتباع ويعلمهم مبادئ الدين .

والجدير بالملاحظة أن تقسيم هذه الأضرحة اتخذت الشكل التقليدي المعروف وهو مربع فوقه قبة وعلى واجهاته الأربعة فتحات عبارة عن عقود واستعمل هذا التخطيط لأول مرة في بالرمو(Palermo) بصقلية وهو عبارة عن مكعب تعلوه قبة نصف دائرية وعلى واجهاته الأربعة فتحات[5] .

وقد عم استعمال هذا النمط بشكل كبير في جنوب المغرب الأوسط، وسنقوم بجرد مختلف الأضرحة الموجودة بإقليم الزاب فيما يلي :

---

[1] - La grande encyclopédie, Mausolé, T.23. paris s.d. p.431.

[2] - عبد الجواد أحمد توفيق: المرجع السابق، ص 32.

[3] - كمال الدين سامع : العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1982، ص 97.

[4] - Marçais (G) ; L'architecteur musulmane d'occident ; Tunisie, Alger,Maroc, Espagne ,Sicile, art et Mztiers graphique ; paris, 1954.p.300.

[5] - Cauvet (C.) ; Les Marabouts, petits monuments Funéraires et Votifs du nord de l'Afrique; Revue Africaine, N° 24. paris, 1923.pp.22-23.

1 ـ ضريح سيدي عقبة :.

يقع في مدينة سيدي عقبة كما قدمناه وفقا للإحداثيات التالية (س،ع)= 793.3 ـ 165.8 ، الخريطة رقم (03) الصورة الجوية رقم (01) .

يحسن بنا الإشارة إلى أن بعض المصادر أشارت إليه على سبيل المثال نذكر رحلة العياشي التي ورد فيها : ((... وأما سيدي عقبة المنسوب إليه البلد فهو عقبة بن عامر التابعي وهو الذي افتتح بلاد إفريقية وبنى مدينة القيروان وقبره الآن مشهور يزار))[1] ، أما الورتلاني فيقول في هذا الصدد: ((...وقبره بالبسيط الذي تحت جبل أوراس الذي قتل فيه وهو مشهور))[2] ، كما ذكره ابن خلدون : ((.. وقبره الآن مشهور يزار وعليه مسجد عجيب))[3] ، كذلك نجد الزياني الذي تطرق إليه بقوله : ((... وهناك دفن الأمير عقبة بن نافع رضي الله عنه ... وهو من المزارات المشهورة))[4] .

غير أن المصادر التاريخية كانت شحيحة جدًّا عندما استفسرناها عن تاريخ بنائه كما مرّ بنا، حتى أن الشاهد الموجود بالضريح أغفل هذا الأمر، وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذا الأخير ـ الشاهد ـ عبارة عن صفيحة حجرية على شكل لوحة مستطيلة مثبتة في قاعدة إحدى الأعمدة بداخل جامع سيدي عقبة على الجهة الشمالية الشرقية من الضريح الذي يتوسطها (لوحة) نقشت عليه كتابة نفذت بخط كوفي بسيط بأسلوب النقش البارز تزينها وردة رباعية البتلات بداخل المربع، تقع في سطر واحد يمتد بداخل شريط يبلغ طوله حوالي 1م ، وأما ارتفاع صواعدها الطويلة والمنخفضة فقد بلغت على التوالي 13 سم و 9,5 سم وعرضها 7 ملم وهي تخلد ذكرى وفاة القائد والفاتح العظيم عقبة بن نافع الفهري وتتضمن الكتابة ما يلي :

ـ هاذا قبر عقبة بن نافع رحمه الله / [اللوحة 15] .

واللافت للانتباه أن الإصلاحات التي مست الضريح والجامع أفقدته معالمه الأصلية وذلك بداية من القرن (4هـ) (10م) . أما آخر أعمال التجديد التي عرفها الضريح فتعود إلى سنة (1215هـ/1801م)[5]

*** الوصف العام** : [المخطط 08] [اللوحة 16].

الضريح عبارة عن غرفة مربعة الشكل تشغل مساحة 25 م²، حيث يبلغ طول كل ضلع 5م ، وفتح بجدارها الجنوبي باب عرضه 3م يطل على بيت الصلاة . وتعلوها قبة بسيطة فهي من الخارج تأخذ شكل نصف كروي أملس وتعتمد على قاعدة مثمنة الأضلاع ، حيث يفتح بكل ضلع منها نافذة صغيرة، وهي خالية من الزخارف .

---

[1] ـ العياشي : المصدر السابق، د . ص.
[2] ـ الورتلاني: المصدر السابق، ص 104.
[3] ـ ابن خلدون : المصدر السابق، ص ص 298 ـ 299.
[4] ـ بالحميسي مولاي نقلا عن الزياني، المرجع السابق، ص 172.
[5] ـ Marçais (G.°, Le Tombeau de sidi Okba, in M.H.A.OM.Tome1, 1957.p.154.

2 ـ ضريح سيدي مسعود :

يقع ببلدية شتمة وفقا للإحداثيات التالية (س،ع) = 784.4 ـ 176.8 ، الخريطة رقم (05) الصورة الجوية رقم (03) .

وينبغي التذكير هنا إننا تطرقنا في بداية الفصل إلى أصل التسمية . هذا وذكره العياشي قائلا : ((... وقد دخلنا المدينة " شتمة" ... ولقيت بها ضريح سيدي مسعود وهو صحابي جليل ...))[1] ،ونظرًا لشحة المعلومات وندرتها ارتأيت أنه من المفيد الرجوع إلى الروايات الشفوية لإزالة اللبس الذي أحاط تاريخ هذا الضريح ومنها رواية إمام مسجد سيدي مسعود الشيخ محمد مرجان الذي يقول بشأنه: ((أن هذا الضريح هو أقدم جزء من المسجد، حيث سبق تأسيسه))[2].

أ ـ الوصف العام : [المخطط 09] .

تأخذ غرفة الضريح شكلاً مستطيلاً طول ضلعها 4م، أما عرضها فيبلغ 2,50 م وندخل إليها من باب عرضه 1,20م وارتفاعه 2م وهو يقابل المحراب وفي جانبي باب الضريح نجد نافذتين مصنوعتين من الخشب ذات شكل مربع ، أما بالنسبة لقبة الضريح فنجدها تأخذ شكلاً نصف كرويا على غرار قبتي جامع سيدي عقبة وعامة المساجد الجزائرية ويعلو القبة جمور نحاسي وفتح بغطائها الكروي أربع فتحات مستطيلة.

والجدير بالذكر أن الضريح يخلو من الزخارف أيًا كان نوعها .

[1] ـ العياشي : المصدر السابق، د.ص.

[2] ـ رواية الشيخ الإمام محمد مرجان .

3 ـ ضريح سيدي موسى الخدري :

يقع في بسكرة وبالضبط بحي المسيد وذلك وفقا للإحداثيات (س،ع) = 776 ـ 174.5 ، الخريطة رقم (06) الصورة الجوية رقم (04) .

لامناص من القول أن ضريح سيدي موسى بني على أغلب الظن بفترة وجيزة على تأسيس مسجد وضريح سيدي عقبة وهي فترة حكم الأغالبة بتونس بين القرنين (2 و 3هـ)[1] . وقد عرف الضريح عمليات الإصلاح والترميم في فترة الحكم العثماني والتي تشير إليها لوحة رخامية موجودة بالجدار الخارجي للجامع من ناحيته الشمالية والتي جاء فيها : ((... باسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم هذا الولي الصالح سيدي موسى الأخذري أسس بنيانه في عهد الأتراك في القرن 10 من الهجرة النبوية 1550م ...))[2].

أ ـ الوصف العام : [المخطط 10] .

من المعلوم أن ضريح سيدي موسى بني على غرار طراز الأضرحة الموجودة بإقليم الزاب خلال عصر السيادة الإسلامية، وهو بذلك لا يختلف عنها كثيرًا ، حيث يشغل غرفة مستطيلة الشكل مقاساتها 2,60م × 1,90م وتقع بالجدار الشمالي لبيت الصلاة على مستوى البلاطة الثانية من المسجد والمدخل المؤدي إليها مفتوح بجدارها الخلفي عرضه 1 م، أما ارتفاعه 2م ويعلو الغرفة قبة نصف كروية ملساء، يعلوها جمور نحاسي وترتكز من الخارج على قاعدة اسطوانية الشكل، أما من الداخل فانتقال القبة من القاعدة المربعة إلى المثمنة تم بواسطة المثلثات الكروية ويبلغ ارتفاع القبة 1,50م وقطرها 5م.

[1] ـ شهبي عبد العزيز : المرجع لاسابق، ص ص 23 ـ 24.
[2] ـ أنظر الوثيقة السالفة الذكر، ص .

4 ـ ضريح سيدي أبي الفضل :

يقع ببسكرة القديمة وبالضبط في حي قداشة وفقا للإحداثيات (س، ع) = 778.2 ـ 175 ، الخريطة رقم (07) الصورة الجوية رقم (05) .

من المحتمل أن الضريح بني خلال الفترة العثمانية والدليل على ذلك أن الرحالة والمؤرخين الذين وصفوا مدينة بسكرة قبل هذه الفترة لم يذكروه، غير أننا نجد نصًا للعياشي يشير فيه قائلا: ((... دخلت عشية يوم الأربعاء لزيارة أبي الفضل رضي الله عنه وقبره خارج المدينة وحوله المسجد ...))[1] .

أ ـالوصف العام : [المخطط 11].

يحتوي على غرفة تأخذ شكلاً مستطيلاً وتقع بالركن الجنوبي الغربي لبيت الصلاة طول ضلعها 4م أما عرضها فيبلغ 3,20م ويمتاز جدارها الغربي ببعض البروز على مستوى جدار بيت الصلاة بحوالي 50سم ، فتح بجدارها الشرقي باب عرضه 80سم يصلها بالغرفة الملحقة بها وهي منخفضة لتجمع الزوار الذين يقصدون الضريح للتبرك، أما قبة الضريح فهي تختلف عن سابقاتها وذلك من حيث الشكل فهي مفلطحة تأخذ شكلاً بيضاويًا على غرار القبة التي تتقدم المحراب بمسجد أبي مروان بعنابة[2] . الذي يعود إلى أواخر العهد الحمادي، كما أنها تخلو من كل زخرفة، ويبلغ قطرها 1,60م وارتفاعها حوالي 1,80م . هذا واستعمال في بنائها مادتي الطين والدبش إضافة إلى استعمال الآجر والحجر المكسر .

[1] ـ العياشي : المصدر السابق، د . ص.

[2] ـ Ravereau (A.); Le Mzab, une leçon d'architecture ^précédé de l'implicité en architecture par Hassan Fekry sindbad. Paris. 1981.p 246.

5 ـ ضريح خالد بن سنان العبسي : [اللوحة 17] .

يقع ضريح خالد بن سنان العبسي في البلدة المسماة باسمه وهو يبعد عن القرية بأقل من كيلومتر والتي تبعد بدورها عن مقر الولاية بحوالي 107 كلم إلى الجنوب الغربي وفقًا للإحداثيات (س ع) = 711ـ 124 ، الخريطة رقم (08) الصورة الجوية رقم (06) .

فهذا العياشي يذكره في رحلته قائلا: ((...وهو الآن (سيدي خالد) من المزارات العظيمة الشهيرة وقد ذكر لي بعض الناس خبر خالد بن سنان هذا ... مذكور في بعض التفاسير المنقولة عن الإمام ابن عرفة وأنه في هذا المكان ...))[1] . أما الورتلاني فيقول: ((... وكذا زرت مدينة بسكرة وسيدي عقبة والنبي سيدي خالد ...))[2] .

وقال في موضوع آخر وهو يتكلم عن زيارته للضريح : ((... وزرت قبر سيدي خالد قيل أنه نبي مرسل إلى جبل ...))[3] .

وهذا الزياني يصفه بقوله : ((... وعليه (سيدي خالد) مسجد عظيم ...))[4] .

وقد أشار إليه مؤيد العقبي بقوله : ((... وهذا النبي الكريم مدفون في بلدة بسكرة وهذا لا يتعارض مع القرية المدفون بها لأنها من ولاية بسكرة ...))[5] .

أما عن تاريخ بنائه فيصعب علينا إعطاء أي معلومات أكيدة من شأنها أن تميط اللثام عن الغموض الذي اكتنف هذه النقطة بالذات، وحسبنا أن تأتي نتائج الحفريات في المستقبل لتنير لنا هذا الإشكال.

وحسب رأيي أنه من المحتمل أن يكون قد بني في الفترة العثمانية بدليل أن المؤرخين الذين وصفوا مدينة بسكرة قبل هذه الفترة لم يشيروا إليه مطلقا .

هذا ونؤكد أن الضريح تعرض للعديد من الترميمات والإصلاحات في الفترات السابقة لكن دون وجود دليل يثبت ذلك ما عدا الإصلاح الذي تم مؤخرًا والذي تشير إليه اللوحة الجدارية الموجودة بداخل الضريح في الجدار الجنوبي منه ، حيث كتبت فيها : ... ثمّ إصلاح الضريح سنة 1339 هـ ...)).

---

[1] ـ العياشي : المصدر السابق، د.ص.

[2] ـ الورتلاني : المصدر السابق، ص 87.

[3] ـ نفسه ، ص 90.

[4] ـ بالحميسي مولاي نقلا عن الزياني : المرجع السابق، ص 43.

[5] ـ مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 43.

أ ـ الوصف العام : [المخطط 12]

هو عبارة عن قاعة مربعة الشكل طولها 13,50م وعرضها فيبلغ 13,50م وسمك جدرانها 50 سم ندخل إليه من خلال مدخل يوجد بالجدار الشرقي عرضه 1,50م تحتوي القاعة على أربع أروقة يبلغ طول كل رواق 2,80م أما العرض فيصل إلى 2م، أما في الرواق الغربي فنجد بابًا خالي من الزخارف يؤدي إلى غرفة صغيرة ملحقة بالضريح، عرضه يصل إلى 1,50م، في أعلى المدخل نجد فتحة صغيرة من أجل التهوية وإضاءة القاعة ، أما في الرواق الجنوبي فنجد أربع لوحات جيرية موزعة على جدار وهي مكتوبة باللون الأحمر كتب عليها قصائد في ذكر بعض الصفات وأخلاق صاحب الضريح وتفصل فيما بينهما زخارف هندسية من أطباق نجمية ونباتية ويحيط بالتابوت الخشبي إطار وسياج حديدي في أركانه أربع دعامات مربعة الشكل تحصر فيما بينها ثمانية أعمدة بين كل عمود وآخر نجد 1,86م تحمل هذه الدعامات والعقود القبة المركزية وهي مضلعة من الداخل تحمل زخارف نباتية وهندسية وأشرطة تحصر فيما بينها حروف متقطعة وهي زخارف حديثة استعملت بعد الترميم الأخير حسب خادم الضريح السيد عيسى جمال.

أما أركان القاعة فنجد في كل ركن قبة صغيرة مضلعة ومزخرفة بزخارف متنوعة هندسية نباتية وكتابية.

6 ـ ضريح العائلة المختارية[1] : [اللوحة 18]

يقع الضريح في الجزء الشرقي من المدينة القديمة لأولاد جلال[2] بحوالي 100 كلم وفقًا للإحداثيات (س، ع) = 718 ـ 129 ، الخريطة رقم (13) الصورة الجوية رقم (11) .

لقد كانت المصادر التي استفسرناها عن هذا الضريح شحيحة جدًّا، الأمر الذي جعلنا نميل للاعتقاد بأنه بني على الأرجح في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، وما يدعم ما ذهبنا إليه من قول أن الرجل كان مفسرًا للقرآن متطلعًا في عدة علوم وهو ما دفع بطلبة سيدي خالد أن يلحوا في طلب تأجيل سفره إلى الحج وفعلاً أقام بينهم يدرس القرآن (1230هـ/1815م) وعندما حضرته الوفاة بنوا على قبره قبة في الزاوية نفسه[3] .

أ ـ الوصف العام : [المخطط 13]

هذا الضريح يضم عدة شخصيات من العائلة المختارية، وهو يشغل غرفة مستطيلة الشكل طولها 4م وعرضها 2م تتجه من الشمال إلى الجنوب فتح عليها باب شمالي عليه قوس وهو مغطى بأقبية متقاطعة، اتخذت أشكالاً ثلاثية ومعينات . يوصل إلى الضريح عبر ممر منكسر إلى اليمين ويتم الدخول إلى قاعة الضريح عبر باب خشبية صغيرة (تركية). وكما هو شائع في عمارة الأضرحة فإن غرفة الضريح قد غطيت بقباب واحدة في المركز واثنتين جانبيتين وهي محمولة على عقود تستند على دعامات قوامها أربعة أعمدة حجرية مضلعة تعلوها بلاطات خزفية من الزليج قوام زخرفتها أشكال نباتية وأخرى هندسية تمثل زهرة عباد الشمس مما يزين غرفة الضريح .

تقوم في وسطه القبة المركزية على ستة دعامات وقد وجدنا هذه الظاهرة تتكرر في عديد من النماذج في العهد التركي[4] .

وقد بنيت هذه القبة بالحجارة المحلية والآجر . كانت غرفة الضريح تضاء بواسطة مصابيح طويلة وتوجد حاليا مشكاة تتدلى من مركز القبة المركزية[5] . على أن الإنارة والهواء متوفرة دائما عبر قمريات القبة الوسطى، بالإضافة إلى نافذة جدار الواجهة .

---

[1] ـ العائلة المختارية نسبة على المختار بن عبد الرحمان بن خليفة مؤسس زاوية أولاد جلال من شيوخ الطرق بالزاب، ولد بقرية سيدي خالد عام 1201هـ وتوفي سنة 1276هـ . أنظر: أبو القاسم سعد الله: مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي، بين 1830 ـ 1954، عن مجلة الثقافة ، عدد 76، وزارة الثقافة، الجزائر، 1984، ص 58.

[2] ـ أولاد جلال: هي مدينة قديمة وقد وصفها العياشي بقوله : ((وهي قرية جامعة فيها مدارسة للطلبة المهاجرين)). أنظر العياشي: المصدر السابق، ص 462.

[3] ـ أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص ص 58 ـ 59، أنظر :

Louis (R.) Marabouts et khouans, Alger, 1884. pp 10-37.

[4] - Marçais (G.); L'art musulman, presse universitaire de France. Paris, 1962.p.157.

[5] - Ibid .pp. 158-159.

7 ـ ضريح سيدي المبارك : [اللوحة 19]

يقع في خنقة سيدي ناجي وفقا للإحداثيات (س،ع) = 290 ـ 385.6 ، الخريطة رقم (10) الصورة الجوية رقم (08)

وقد اشر إليه العياشي في رحلته بقوله : ((...وتبركنا بضريح سيدي مبارك ...))[1] .

هذا وينوه الناصري في رحلته : ((... وسيدي مبارك الذي سبق ترجمته له ضريح ويعتبر من الأضرحة الشهيرة وهو من المزارات ...))[2] .

أما عن تاريخ تأسيسه فنعتقد على الكتابة الشاهدية المثبتة على الجدار الشمالي بداخل الضريح فيعود إلى سنة 1151هـ، ونقرأ في اللوحة ما يلي:

1 ـ باسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم/ .

2 ـ أودع علي ابن حسين باك[3] شهادة أن لا إله إلا الله /.

3 ـ محمد رسول الله يوم لا ينفع مالا ولا بنون إلا من أتى الله /.

4 ـ ناقشها أو صطا حسين بقلب سليم سنة 1151/ .

أ ـ الوصف العام : [المخطط 14]

يأخذ ضريح سيدي المبارك شكلاً مربعًا طول ضلعه 10م وعرضه 10م أما سمك جدرانه ف 50سم ، ندخل إليه عبر بوابة، في جداره الجنوبي عرضها 1م، وكما هو شائع في عمارة الأضرحة فإن غرفة الضريح قد غطيت بقبة نصف كروية. أما بخصوص الإنارة فنجد نافذة فتحت في جدار الواجهة .

[1] ـ العياشي: المصدر السابق، د .ص .

[2] ـ الناصري : الرحلة الكبرى ، المصدر السابق، ص ص 498 ـ 499.

[3] ـ حسين باك : هو علي باي بن حسين (1148 ـ 1169هـ/ 1735 ـ 756م). هذه المعلومات مشتقاة من مخطوط عائلي بعنوان تعريف إنشاء عمارة الخنقة لمؤلفه محمد الموهوب بن عبد المجيد الموهوب 1982.

8 ـ ضريح سيدي عبد المؤمن :

يقع في بني سويك بلدية جمورة وذلك وفقا للإحداثيات (س ع) = 761 ـ 388.7 ، الخريطة رقم (11) الصورة الجوية رقم (09) .

حسب المخطوط جواهر المحتاج في شرح السراج فإن بناء هذا الضريح يعود حتما إلى فترة لاحقة لوفاة سيدي عبد المؤمن ، وهو الآن من المزارات الشهيرة . بحيث يرتاده العديد من سكان المنطقة وما جاورها[1] .

أ ـ الوصف العام : [المخطط 15]

يأخذ ضريح سيدي عبد المؤمن شكلاً مربعًا طول ضلعه 7م وعرضه 6,50م ندخل إليه عبر ممر رئيسي يوجد بالجدار الشرقي عرضه 1م، وقد غطى هذا الضريح بقبة مركزية نصف كروية وهي خالية من أي زخرفة على غرار القباب الموجودة في إقليم الزاب .

[1] ـ مؤلف مجهول : جواهر المحتاج في شرح السراج ، ورقة 15 ـ 16.

9 ـ ضريح سيدي علي بن عثمان[1] :

يقع في بلدية الدوسن[2] التي تبعد عن مقر الولاية بحوالي 80 كلم، ويبعد عن مقر البلدية بـ 1 كلم في الجهة الشرقية منها، وهذا وفقا للإحداثيات (س، ع)= 722 ـ 147 ـ الخريطة رقم (14) الصورة الجوية رقم (12) .

لقد ذكر من طرف محمد بن عبد الرحمان الأزهري في رسائله بقوله : ((... وهو (سيدي علي) مدفون في قرية الدوسن ...))[3] . وهو يعتبر من المزارات الشهيرة في هذه المنطقة ولقد تعرض هذا الضريح إلى العديد من الإصلاحات والتغييرات لكن دون دليل مادي يثبت ذلك وحسب تصريح أهالي المنطقة أن آخر إصلاح له قد تم سنة 1987م .

أ ـ الوصف العام : [المخطط 16]

يأخذ ضريح سيدي علي شكلاً مربعًا طول ضلعه 10م أما عرضه فيبلغ 10م وسمك جدرانه 50سم ندخل إليه عبر ممر يوجد بالجدار الشمالي عرضه 1م، أما تغطية الضريح فهي عبارة عن أقبية اسطوانية الشكل، أما الزخرفة فمنعدمة سواء في العناصر المعمارية أو غيرها ، وتعتمد إنارته على نافذتين في الجدار الشمالي .

---

[1] ـ سيدي علي بن عثمان: هو العلامة الأصولي المتبحر في علوم الشريعة والفقه وهو نجل علي بن عمر الطولقي ولد سنة 1240هـ وهو من أسرة إدريس عثمانية وهو ينتمي إلى نسب النبي صلّى الله عليه وسلّم عن طريق عيسى ابن إدريس أنظر : رسائل محمد بن عبد الرحمان الأزهري، الخزانة العامة ، الرباط رقم ك 956

[2] ـ الدوسن : تعني التحت والانخفاض وحسب الكلمة فإن سكانها الأولين من البربر وهي مدينة أزلية من بناء الرومان وقد خربت لما دخل جنود المسلمين إلى هذه المنطقة لأنه كان بداخلها كونت روماني مع عدد كبير من الجند الذي لم يرد على الإطلاق تسليم المدينة إلى القائد العربي آنذاك حيث يقول الحسن الوزان : ((... حيث أن الحصار (الدوسن) دام عاما إلى أن احتلت عنوة وقتل جميع الجنود ودمرت)) ، ص 140.

وأهم الكتب التي ذكرت فيها الدوسن: أ ـ ابن خلدون كتاب العبر ، ج6، ط 1959، ص 473، حيث يقول: ((... يعرف كل واحد منها بالزاب وأولها زاب الدوسن)).

ب ـ حسن محمد الوزان: وصف إفريقيا: ترجمة محمد حجي ، محمد الأخضر 1985، حيث يقول : ((... مدينة أزلية من بناء الرومان وقد خربت لما دخل جنود المسلمين ...) ص ص 140 ـ 141.

جـ ـ مارمول كاربخال: إفريقيا، ج3، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر بقوله : ((... يطوف منطقة الدوسن أعراب أولاد سالم...)) ، ص 170.

[3] ـ رسائل محمد بن عبد الرحمان الأزهري، الخزانة العامة ، الرباط رقم 956، ورقة 14 ـ 20.

10 ـ ضريح سيدي سليمان[1] : [اللوحة 20]

يقع ببلدية الدوسن سالفة الذكر، وهذا بجانب الطريق الوطني رقم 46 الذي من الجهة الشرقية وهو محددًا وفقا للإحداثيات (س، ع) = 721 ـ 147 ، الخريطة رقم (15) الصورة الجوية رقم (13) .

وقد ذكره ابن خلدون : ((... ولم يبق بها (الدوسن) إلا الرجل الصالح سليمان ابن أحمد جد أولاد سيدي سليمان))[2] . وهو يعد من المزارات الشهيرة إلى حد اليوم يقصد إليه من أجل التبرك، أما فيما يخص تاريخ بنائه فمن الصعب تحديده لكن من المحتمل أنه بني خلال القرن 15 هـ أو 16 هـ ، بدليل أن المؤرخين لم يشيروا إليه قبل هذه الفترة أو ربما لم يولوه اهتمامًا باعتباره ضريح على غرار الأضرحة الأخرى ولقد تعرض الضريح إلى عدة إصلاحات في الفترات السابقة دون وجود دليل قاطع يثبت ذلك ماعدا تلك التي عرفها مؤخرًا سنة 1844م حسب تصريح الأهالي ابنًا عن جدّ .

أ ـ الوصف العام : [المخطط 17] .

يأخذ ضريح سيدي سليمان شكلاً مربعًا طول ضلعه 6,51م وعرضه 6م ، أما سمك جدرانه فهي 50سم ، ندخل إلى الضريح بواسطة مدخل رئيسي يوجد بالجدار الشرقي.

أما غرفة الضريح فهي ذات شكل مربع طول ضلعها 4,50م وعرضها 4م وقد سقف الضريح بقية مركزية نصف كروية خالية من أي زخرفة .

[1] ـ سيدي سليمان : هو الرجل الصالح سليمان ابن أحمد الذي يرتبط بالنسب النبوي بواسطة أحمد بن إدريس ابن بوزيد ين علي ولقد تتلمذ على يد ابن يوسف المتوفي في عام 931هـ.

[2] ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص، 53 ـ 54.

-

11 ـ ضريح سيدي عطية[1] : [اللوحة 21] .

يقع في بلدية الدوسن وبالضبط على بعد 2 كلم من مقر البلدية، وهو محدد وفقا للإحداثيات (س، ع)= 719 ـ 147 ، الخريطة رقم (16) الصورة الجوية رقم (14) .

إن المصادر التاريخية لم تشر إليه ماعدا أرجوزة الشيخ محمد بن عزوز البرجي في رسالة المريد حيث يقول: ((...إن عطية هذا ابن محمد دفين قرية صغيرة إحدى قرى الزاب القبلي))[2] وفي موضع آخر يقول: ((... وقد كان سيدي عطية من الأولياء الصالحين وهو من المزارات في قرية الدوسن))[3] ، لقد تعرض الضريح والذي كان يستعمل كمصلى للعديد من الإصلاحات من طرف أهالي المنطقة وقد افتقد هذا المصلى وظيفته الدينية حيث أصبح خاصًا بالزيارات فقط . أما عن تاريخ بنائه فيمكن إدراجه في نفس الفترة التي بني فيها ضريح سيدي سليمان .

أ ـ الوصف العام : [المخطط 18] .

يأخذ المصلى سابقًا شكلاً مستطيلاً طول ضلعه 9,50م وعرضه 8م، أما سمك جدرانه 50سم ندخل إليه بواسطة مدخل يوجد بالجدار الشرقي وهو مقسم إلى قسمين واحد خاص بانتظار الزوار والثاني خاص بالضريح.

أ ـ قسم الزوار:

ينبغي القول أن هذا القسم قد بقي محتفظًا بشكله الأول حيث يأخذ شكل شبه منحرف يبلغ طول ضلعه 8,50م وعرضه 4م وهو يتكون من أربعة أساكيب وبلاطتين عموديتين على جدار القبلة وهو مغطى بقبتين نصف دائريتين .

ب ـ أما القسم الخاص بالضريح :

وهو عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل وتقع بالناحية الجنوبية لقسم الزوار طول ضلعها 4,5م وعرضها فيقدر بـ 2,90م أما سمك جدرانها فتبلغ 40سم وندخل إليها من باب عرضه 80سم وهو مقابل لقسم الزوار وهو مغطى بقبة مركزية نصف دائرية، وللعلم أنه يخلو من أي زخرفة.

---

[1] ـ سيدي عطية : هو عطية بن محمد جد موسى ابن محمد من الأولياء الصالحين عاش زمن الرجل الصالح سليمان بن أحمد الذي سبق تعريفه لكن نجهل حياته .

[2] ـ محمد بن عزوز : رسالة المريد ، ورقة 14 .

[3] نفسه ، ورقة 16.

ثالثا : الزوايا والمدارس القرآنية :

أ ـ تعريف الزاوية :

اشتق لفظ الزاوية من الفعل زوى أو زوأ ويقال انزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضامنوا ولذلك أطلقت الزاوية على حلقة التدريس بالمسجد [1].

يقصد بالزاوية في المغرب الإسلامي تلك الأماكن المعدة خصيصًا لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين وتعرف بالمشرق بالربط أو الخانقاوات وهي منشآت مخصصة لإقامة المنقطعين للعبادة والمتوصفين [2].

أما في العهد العثماني فيطلق عليها اسم التكايا وانتشرت هذه المباني في جميع أنحاء العالم الإسلامي وبصفة خاصة في إيران ومصر والأقطار العثمانية[3]. وكانت التكية في العصر المملوكي تشتمل على المدرسة والضريح في آن واحد[4]، وهو ما يلاحظ في زاوية الشيخ المختار بأولاد جلال .

أما الزاوية بالمغرب فهي عبارة عن تجمع من البنايات ذات طابع ديني بحت مفتوحة الأبواب للفقراء والمساكين وعابري السبيل ومن بين أهدافها أيضا تحفيظ القرآن الكريم وتعليمهم كل ما يتعلق بالدين الإسلامي الحنيف ولذلك فهي تضم غرفًا لإيواء المسافرين والطلبة بالإضافة إلى مسجد تقام به الصلاة وأحيانا تشتمل ضريح صاحب الطريقة أو مجموعة من الأضرحة تضم رفات أفراد عائلته[5]. وتنقسم الزوايا في الجزائر إلى ثلاثة أنواع وهي زوايا المشايخ وهي ملكية خاصة وصاحبها في أغلب الأحيان هو صاحب الطريقة مثل زاوية سعادة وزاوية المرابطين وهي ملكية جماعية تحبس مواردها على طلبة العلم مثل زاوية بن عزوز وزوايا الطلبة وهي التي يتمتع طلبتها فيها بالاستقلال في التسيير ومثال ذلك زاوية مليلي[6].

وسنقوم بجرد الزوايا والمدارس القرآنية الموجودة بإقليم الزاب فيما يلي :

---

[1] ـ ابن منظور : المصدر السابق، ج1، ص ص ، 83 ـ 84.

[2] ـ ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981، ص 413.

[3] ـ نجيب محمد مصطفى: العمارة في العصر العثماني، القاهرة تاريخها فنونها وآثارها، مطابع الأهرام التجارية، 1970، ص 264.

[4] ـ حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، مصر ، 1979، ص 173.

[5] ـ نسيب محمد : زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر ، دمشق، الجزائر، د.ت ، ص ص 27 ـ 28.

[6] ـ نفسه ، ص ص 29 ـ 30.

1 ـ زاوية الشيخ علي بن عمر[1] :

تقع في طولقة[2] القديمة والتي تبعد عن مقر الولاية بـ 40 كلم وهي محددة في نقطة تقاطع خطي الطول والعرض (س، ع)= 743.90 ـ 160، الخريطة رقم (17) الصورة الجوية رقم (15) .

لقد تأسست على يد الشيخ الصوفي رجل العلم والإصلاح سيدي علي ابن عثمان سنة (1780م)[3] . وحسب تصريح شيخ الزاوية الإمام عبد القادر عثمان فإن الزاوية لم تعرف ترميمًا بل عرفت تغييرًا شاملاً لصورتها القديمة وأدخلت عليها مرافق عصرية لم تعرفها من قبل مما أفقدها صبغتها الأثرية.

* **الوصف الحالي للزاوية** : [اللوحة 22] .

تتكون من أربعة أقسام لتعليم القرآن، كما تتكون من جزأين للتعليم التربوي بالإضافة إلى مسجد للصلوات وقاعات المطالعة مخصصة للباحث وحمامات ومراقد.

* **الوصف العام لملاحق الزاوية قديما** : [المخطط 19] .

لم يبق من ملاحق الزاوية إلا بعض الغرف المهدمة وبعض الجدران الخارجية بعدما سقط الجزء الأكبر من سقف الغرف الخاصة بالطلبة وهذه الملاحق تتكون من طابقين :

أ ـ الطابق الأرضي : [اللوحة 23]

يأخذ الطابق الأرضي شكل مستطيل طول ضلعه 22م ، أما عرضه فلا يمكن حصره لكون جدرانه مهدمة ولم يبق من هذا الطابق سوى الجدار الغربي ، كما أن غرفة الخمسة مازالت سقوفها تتمتع بنوع من الصلابة ويحتوي هذا الطابق علا ثلاثة غرف تأخذ شكلاً مستطيلاً طول كل غرفة 2م ويفصل بينهما جدران سمكها 60 سم، ثم تنتقل إلى رواق مستطيل طوله 9 م وعرضه 1م وهو مفتوح على الغرفة الرابعة بباب عرضه 50 سم طول ضلعها 4م وعرضها 2,60م، وهذا الرواق غير مكتمل البناء إذ نجد في مكان الجدران بقايا من الأعمدة التي ترفع السقف.

ب ـ الطابق العلوي : [اللوحة 24]

يصعد إلى الطابق العلوي بواسطة السلم الذي لم يبق منه سوى الجزء العلوي فقط الذي يؤدي مباشرة إلى رواق طول 9,20م ، أما عرضة فيبلغ 2م ينفتح هذا الرواق على ثلاث غرف مستطيلة الشكل الغرفة الأولى تقع في الجهة الجنوبية وطولها 6م ، أما عرضها فيقدر بـ 8,60م ، أما سمك الغرفة

---

[1] ـ الشيخ علي بن عمر : هو أكبر تلامذة الشيخ ابن عزوز وأقرب الناس إليه توفي رحمه الله يوم ثلاثة ربيع الأول من عام 1258هـ قتيلا غلطًا ، أنظر: عبد الرحمان (بن الحاج بن علي بن عثمان) : الدر المكنوز، مطبعة النجاح قسنطينة، د.ت، ص ص 14 ـ 15.

[2] ـ طولقة : يرجع تاريخ طولقة قديما إلى عهد القرطاجنيين وكانت مدينة بربر أنظر : البكري: المصدر السابق، ص ص 52 ـ 53، وأنظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 98.

[3] ـ علي بن عمر الطولقي : فاكهة الحلقوم في نبذة قليلة من أحوال القوم ، رسالة محفوظة في مكتبة طولقة .

جدرانها فيبلغ 60 سم وهي تنفتح مباشرة على الرواق بباب عرضه 1م الغرفة الثانية تقع في الجهة الغربية طولها 9م ن أما عرضها فيبلغ 2,20م ، وهي مفتوحة في منتصف العقد الثاني والثالث للرواق . أما الغرفة الثالثة فتقع في الجهة الشرقية طول ضلعها 5م، أما عرضها فيبلغ 3م، وهي تشكل محور تناظر بالنسبة إلى الغرفة الأولى ، أما الجزء المتبقي من الطابق العلوي والذي يتكون من غرفتين مهدمتين إذ يحتل مساحة 4,60م ، أما العرض فيصل إلى 5م .

*** مكتبة الزاوية** : [اللوحة 25] .

حسب تصريح الشيخ عبد القادر عثمان رئيس الزاوية حاليًا أن المكتبة ملك للعائلة وليست من أحباس المكتبة وعلى هذا فإن المكتبة مستقلة عن الزاوية ويجب أن تنسب إلى العائلة العثمانية، ومؤسس المكتبة هو العلامة الشيخ علي بن عثمان[1] . ويبدو أن المكتبة تأسست خلال مرحلتين[2] .

*** المرحلة الأولى** :

على عهد منشئها الأول علي بن عثمان .

*** المرحلة الثانية** :

على عهد ابنه الحاج الذي أكمل البناء وكان وفيًا على درب العلم .

الوصف العام للمكتبة : [اللوحة 26]

حسب تصريح شيخ الزاوية أن المكتبة تضم مجموعة من الأقسام وكلها موجودة داخل غرفة مربعة الشكل وهي :

1 ـ قسم القرآن الكريم : ويشتمل على التفاسير، الناسخ والمنسوخ، علوم القرآن، أحكام المسانيد، شرح البخاري ومسلم، علوم الحديث .

2 ـ قسم السيرة النبوية : وتشتمل على تاريخ السيرة النبوية ، كل كتب السيرة .

3 ـ قسم التصوف : كل أمهات التصوف ومصادرها، كتب الطبقات الصوفية .

4 ـ قسم الفقه وأصوله: ويشتمل على فقه المذاهب، مصادر التشريع ، النوازل، كتب التراجيح.

5 ـ قسم علوم اللغة والأدب : ويشتمل على النحو، الصرف، المعاني، البديع، الدواوين، تاريخ الأدب، الأدب العالمي ، كتب الرحلات.

6 ـ قسم الفلسفة :ويشتمل علة الفلسفة الإسلامية، الفلسفة اليونانية .

7 ـ قسم العلوم البحتة : ويشتمل علة الرياضيات، الهندسة، الفيزياء .

---

[1] ـ علي بن عثمان : هو نجل علي بن عمر الطولقي ولد سنة 1240هـ ، حفظ القرآن الكريم وبعد إلمامه بالمبادئ الأولية المتداولة برز في العلوم العقلية والنقلية ومن آثار الشيخ علي بن عثمان معجم المؤلفين المكنون وله النبذة المنيعة في منهج الحقيقة توفي سنة 1316هـ .

[2] ـ عبد الرحمان بن الحاج: المرجع السابق، ص 19.

2 ـ المدرسة الناصرية[1] : [اللوحة 27]

تقع في حنقة سيدي ناجي شرق ولاية بسكرة كما سبق ذكره وفقا للإحداثيات (س، ع)= 290 ـ 385.6، الخريطة رقم (18) الصورة الجوية رقم (16) .

الجدير بالذكر أن هذه المدرسة قد طمست معالمها نهائيًا واستبدلت إلى مكان بالقرب منها، غير أننا يمكن الاستفادة من الكتابة التأسيسية المتمثلة في ساكف من الحجارة على هيأة لوحة مستطيلة الشكل مثبتة فوق المدخل الجنوبي للمدرسة الجديدة نقشت عليه كتابة بخط مغربي رديء تتكون من أربعة أسطر مقاسات كل سطر 0,95 م وبلغ ارتفاع صواعدها الطويلة 4 سم وعرضها 4 ملم ونقرأ في كتابة هذا الساكف الحجري النص الآتي:

1 ـ الحمد لله وحده بنيت هذه المدرسة المباركة المسمات الناصرية على يد أفقر الورا

2 ـ وخديم الفقراء المستمسك بسنة محمد خير الورا أحمد بن ناصر شكر الله صنيعه

3 ـ وأمده من الثواب جزيله ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم بتاريخ أواخر رجب من عام إحدى وسبعين ومائة وألف .

[1] ـ الناصرية : نسبة إلى أحمد بن ناصر بن محمد بن محمد الطيب بن أحمد بن المبارك الذي ينتهي نسبه إلى قاسم بن ناجي الأكبر الذي تولى الزاوية بعد وفاة أبيه وفاه الأجل مقتولاً هو ومن معه في طريقه إلى تونس على يد بوزيان الشابي وذلك في مكان يسمى وادي غفران بضواحي تبسة ودفنوا هناك إلى أن تم نقلهم فيما بعد إلى مقبرة حيهم بالحنقة .

3 ـ زاوية عبد الرحمان الأخضري :

تقع في مليلي بلدية مخادمة كما قدمناه وفقا للإحداثيات (س ع) = 754 ـ 153.8 ، الخريطة رقم (19) الصورة الجوية رقم (17) .

وقد ورد ذكرها عند العياشي في رحلته بقوله : ((... ومررنا لزاوية سيدي الشيخ عبد الرحمان الأخضري الموجودة بقرية مليلي))[1] . أما الورتلاني فيقول في نزهته : ((... هذا ونجد زاوية الشيخ عبد الرحمان الأخضري بمليلي ...))[2] . أما أحمد بن داود فيذكرها في عقده . ((... تعتبر زاوية سيدي الأخضري من زوايا العلم ...))[3]. لقد طمست معالمها نهائيًا ولم يبق لها أثر شاهد للعيان، إلا أنه يمكننا أن نرجح تاريخ بنائها إلى الفترة العثمانية على أغلب الظن .

[1] ـ العياشي، المصدر السابق، د . ص.
[2] ـ الورتلاني : المصدر السابق، ص 89.
[3] ـ أحمد بن داود : المصدر السابق، ورقة 4 ـ 5.

4 ـ زاوية سيدي خالد :

تقع ببلدية سيدي خالد كما مرّ بنا وذلك وفقا للإحداثيات (س، ع) = 711 ـ 124 ، الخريطة رقم (20) الصورة الجوية رقم (18) .

حيث ذكرها العياشي في رحلته بقوله : ((... وحوله مدرسة والناس يأثرون عن ذلك المسجد كرامات ...))[1]. أما الورتلاني فيقول: ((... والنبي سيدي خالد حوله مدرسة لتحفيظ القرآن...))[2].

أما الزياني فيصفها بقوله : ((... وبه زاوية تحمل اسم النبي خالد...))[3] .

يجدر بنا القول أن هذه الزاوية اندثرت معالمها بالمرة، أما عن تاريخ تأسيسها فليس لنا دليل نستند إليه إلا أننا يمكننا ترجيحه خلال أواخر العهد العثماني .

[1] ـ العياشي: المصدر السابق، د.ص.
[2] ـ الورتلاني : المصدر السابق، ص ص، 87 ـ 88.
[3] ـ بالحميسي مولاي نقلا عن الزياني : المرجع السابق، ص 43.

5 ـ زاوية الشيخ المختار : [اللوحة 28]

تقد في المدينة القديمة لأولاد جلال كما ذكرناه سابقا وذلك وفقا للإحداثيات (س، ع)= 718 ـ 129 ، الخريطة رقم (13) الصورة الجوية رقم (11) .

وقد ذكرها العياشي في رحلته بقوله : ((... وقرية أولاد جلال من أكبر قرى الزاب وهي قرية جامعة فيها مدرسة للطلبة المهاجرين ...))[1] . أما الورتلاني فيقول : ((... بها عدد من العلماء والفقهاء ومسجد للطلبة ...))[2].

ونزولا عند رغبة الشيخ علي بن عمر في تأسيس زاوية على منهج الطريقة الرحمانية التي كان ينتمي إليها[3] . أسس الشيخ المختار الزاوية، أما عن تاريخ التأسيس فكانت سنة (1230هـ/1815م)[4] .

أ ـ مخطط الزاوية : [المخطط 20] .

تقوم الزاوية على مخطط شبه مستطيل وتشرف مساحتها على الواجهة الشرقية التي تضم المدخل الرئيسي لهذه الواجهة بابان خشبيان خصص الأول للطلبة ، بينما الثاني لزوار الضريح وفي الواجهة الغربية فتح مدخل آخر، هذا فضلا عن المدخل الذي يصل إقامة المسجد بالفناء الجنوبي للزاوية، وقد كان بها طابق علوي يؤدي إليه سلم على يمين المدخل الرئيسي للزاوية وتجدر الإشارة أن الطابق الأول قد اختفى وتفصل بين الزاوية والمقبرة جدار ، فضلا على أن هذا الجزء من الزاوية يبدو متدهورًا حيث بدأت الأعمدة الأسطوانية تتساقط . وهناك ملاحظة مهمة مفادها وجود قبة مركزية مضلعة تغطي الزاوية ، وهي ما ميزت قباب العهد التركي بالجزائر[5].

---

[1] ـ العياشي : المصدر السابق، د . ص .

[2] ـ الورتلاني: المصدر السابق، ص 109.

[3] ـ أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 90.

[4] ـ Louis (R.); op-cit .p.79.

[5] ـ شهبي عبد العزيز : المرجع السابق، ص ص، 28 ـ 30.

خلاصة الفصل :

توصلنا من خلال الدراسة المستفيضة في هذا الفصل إلى بعض الاستنتاجات سنقتصر على ذكر ما نراه ذا فائدة في الآثار الإسلامية عبر النقاط التالية :

1 ـ إنتشار العمارة الدينية في إقليم الزاب على عهد السيادة الإسلامية لاسيما المساجد، التي بنيت منذ الفتح الإسلامي في بسكرة وإقليمها وهي تمتاز بالبساطة وخلوها من الزخرفة، ذلك أنها أنشئت في فترة حاسمة من الصراع الدائر بين الإسلام وأعدائه .

2 ـ إنتشار واسع للأضرحة التي بنيت على قبور الصالحين من العلماء والأولياء تخليدًا لذكراهم وقد اتسمت تلك المباني بالبساطة والتقشف من الناحية الفنية .

3 ـ مقارنة بالمساجد والأضرحة ، فقد بنيت عدة زوايا ومدارس في إقليم الزاب غير أنها قليلة ولا تكاد تتعدى أصابع اليد وهي لم تخرج عن نطاق البساطة الفنية والهندسية المعروفة في إقليم الزاب خلال هذه الفترة .

قائمة إحصائية للمواقع والمعالم الأثرية الدينية الإسلامية لمنطقة الزاب (بسكرة)

التسلسل	اسم الموقع أو المعلم	الموقع الجغرافي	الإحداثيات (س، ع)	وظيفته وطبيعته
01	مسجد عقبة بن نافع	سيدي عقبة	165.8 ـ 793.3	دينيـــة
02	المسجـد العتيـــق	طولقة القديمة	160.5 ـ 745.7	دينيـــة
03	مسجد سيدي مسعود	شتمـــــة	176.8 ـ 784.4	دينيـــة
04	مسجد سيدي موسى الخذري	بسكرة القديمة	174.5 ـ 776	دينيـــة
05	مسجد أبي الفضل	حي قاشة بسكرة القديمة	175 ـ 778.2	دينيـــة
06	مسجد خالد بن سنان	سيد خالد	124 ـ 711	دينيـــة
07	مسجد عبد الرحمان الأخضري	مليلي بينطيوس بلدية مخادمة	153.8 ـ 754	دينيـــة
08	مسجد سيدي مبارك	خنقة سيدي ناجي	385.6 ـ 290	دينيـــة
09	مسجد سيدي عبد المؤمن	بن سويك بلدية جمورة	388.7 ـ 761	دينيـــة
10	مسجد محمد الصالح	بسكرة القديمة	174.4 ـ 777	دينية آثار
11	ضريح سيدي عقبة	سيدي عقبة	165.8 ـ 793.3	مـــزارًا
12	ضريح سيدي مسعود	شتمـــــة	176.8 ـ 784.4	مـــزارًا
13	ضريح سيدي موسى الخذري	بسكرة القديمة	174.5 ـ 776	مـــزارًا
14	ضريح سيدي أبي الفضل	بسكرة القديمة(حي قداشة)	175 ـ 778.2	مـــزارًا
15	ضريح خالد بن سنان	سيدي خالد	124 ـ 711	مـــزارًا
16	ضريح العائلة المختارية	أولاد جلال القديمة	129 ـ 718	مـــزارًا
17	ضريح سيدي المبارك	خنقة سيدي ناجي	385.6 ـ 290	مـــزارًا
18	ضريح سيدي عبد المؤمن	بني سويك بلدية جمورة	388.7 ـ 761	مـــزارًا
19	ضريح سيدي علي	بلدية الدوسن	147 ـ 722	مـــزارًا
20	ضريح سيدي سليمان	بلدية الدوسن	147 ـ 721	مـــزارًا
21	ضريح سيدي عطية	بلدية الدوسن	147 ـ 719	مـــزارًا
22	زاوية الشيخ علي بن عمر	طولقة القديمة	160 ـ 743.90	تعليمية
23	المدرسة الناصـرية	خنقة سيدي ناجي	385.6 ـ 290	تعليمية
24	زاوية عبد الرحمان الأخضري	مليلي ـ بلدية مخادمة	153.8 ـ 754	تعليمية(آثار)
25	زاوية شيدي خالد	سيدي خـالد	124 ـ 711	تعليمية(آثار)
26	زاوية الشيخ المختار	أولاد جـلال	129 ـ 718	تعليمية

الفصل الثاني

جرد المعالم والمواقع الأثرية المدنية في العهد الإسلامي

أولا ـ القصـور والقصبـة .

ثانيا ـ المساكـن .

تمهيـــد :

سنتحدث في هذا الفصل عن عمران مدينة بسكرة التي كانت بمثابة واحة وبوابة للصحراء وحلقة وصل بين عواصم المغرب الإسلامي والعواصم السودانية إذ لعبت دورًا بارزًا وحيويًا لا يقل أهمية عن الحواضر في العالم الإسلامي[1].

أما القوافل الآتية من الجنوب وهي تتبع غدران مياه واد جدي، تجد نفسها حتمًا أمام واحة بسكرة الغنية بمياهها وأبارها وينابيعها الفوارة، وتجد نفسها تشرف من أعلى الهضاب على المنبسط الممتد بخضرة غابات النخيل . وكانت هذه الحركة الدؤوب من هنا وهناك عاملاً مثيرًا لسكانها كي ينشطوا في شتى مجالات الحياة، الاقتصادية، الثقافية، الاجتماعية، السياسية، والدينية. فظهر ذلك جليا على أهلها فبنوا القصور والمنازل، وشقوا الترع والسواقي ، كما استحدثوا أسواقًا لتجارتهم الرائجة ويدعم ما ذهبنا إليه قول ياقوت الحموي : ((... وهي مدينة مسورة ذات أسواق ...))[2] .

والواقع أن قلة الأحداث التاريخية التي مرت بها المدينة ابتداء من ظهورها على مسرح الأحداث إثر انضمامها تحت لواء الدولة الأغلبية إلى نهاية حكم العثمانيين بها، الأمر الذي أدى بنا إلى البحث في النصوص التي تطرقت إلى وصف المدينة عمرانيًا ، حيث نجد أن هناك عددًا من المصادر والرحلات التي تحدثت عن الازدهار العمراني الذي عرفته المدينة خلال العصر الإسلامي، وما وصف البكري لها في القرن الخامس الهجري لدليل قاطع على بلوغها المستوى السياسي أو الاقتصادي والاجتماعي آنذاك[3] . وسنتطرق فيما يلي إلى أهم المواقع والمعالم المدنية التي شيدت بها :

---

[1] - Henri Duveyrier, Sahara Algérien et Tunisien .PP.23-24.

[2] - الحموي ياقوت : المصدر السابق، ص 422.

[3] - البكري أبو عبد الله : المصدر السابق، ص 51.

*** أولا: القصور :**

أ ـ تعريف القصر :

القصر في اللغة : هو المنزل وقيل كل بيت من حجر قرشية فسمي بذلك لأنه تقصر فيه الحُرم، وجمعه قصور[1] .

أما القصر في المناطق الصحراوية والأطلس الصحراوي يقصد به تلك التكتلات السكنية المتلاحمة فيما بينها، مشكلة بذلك مدينة أو قرية، تشغل أحيانا مساحات كبيرة[2] ،تقطن فيها مجموعات بشرية قد تنتمي غالبا إلى أصول عريقة، تجمعهم مصالح وأهداف واحدة، من ناحية النظام الاقتصادي والاجتماعي، ومن ناحية الاتجاه المذهبي[3].

تكون هذه الوحدات السكنية غالبا في أماكن إستراتيجية " مرتفعة " يحيط بها سور سميك يحتوي على مزاغل وأبراج للمراقبة[4] ،ويوجد به مدخلين أو أكثر مثلما هو الحال في قصر تاغيب مدخلان، قصر بوكايس مدخلان، القنادسة أربعة مداخل، قصر بشار القديم أربعة مداخل، وأحيانا تعوض الأسوار بجدران البيوت الخارجية التي تكون صماء* لا يحيط بها سور وبالتالي تشكل ما يشبه السور يحيط بكافة أرجاء الوحدات السكنية، ويعد بمثابة السور الحقيقي للقصر، يدعم من الخارج بدعامات هرمية الشكل .

إن الاجتماع الإنساني ضروري ، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم " الإنسان مدني بالطبع " أي لابد له من الاجتماع ، مهما اختلفت البيئة والمنطقة ، وبالتالي ظهرت المدينة في إصلاحهم ، وهنا معنى العمران[5] ، وقبل الشروع في عملية البناء تبدأ عملية التخطيط.

لقد كانت عملية التخطيط في المدن الإسلامية تراعي جوانب مختلفة، هي التخطيط العمراني والاقتصادي، والاجتماعي والسياسي، والديني، وفق الهدف الذي أنشأت من أجله المدينة[6]، ويبدأ التخطيط باختيار الموقع، والذي لابد أن تتوفر فيه عدة شروط .

---

[1] ـ ابن منظور ، أبو الفضل محمد ، لسان العرب، ج6 ، المطبعة الميرية ، ببولاق، مصر 1300 هـ، مادة القصر، ص 411.

[2] ـ Nadir Marouf . Elément d'Analyse des Ksour. Espèces Maghrébin Pratiques et en jeux, Acte du Colloque de Taghit 23-26 Novembre 1987, ENAG.Edition. Algérie, 1989.p.85.

[3] ـ R.Capot Rey.Greniers domestiques et grenier fortifiés au Sahara, le cas de Gourara Travaux de l'institut de recherches Sahariennes , T14. 1956, p.151.

[4] ـ L.Lehuraux. Le Sahara. Ses Oasis, Iustration de Léon Carré, édition Baconier. Alger. 1934 p.47.

* ـ صماء، أي لا نوافذ ولا أبواب بها .

[5] ـ عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993، ص 41 ـ 42.

[6] ـ عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، سلسلة كتاب الثقافة، الكويت 1988م، ص 95.

وما يمكن ملاحظته حول القصور الصحراوية هو أن بنائها يستجيب وشروط تخطيط المدينة الإسلامية ، التي تكلم عنها كل من ابن الربيع والقزويني وابن خلدون .

لابد من القول أن البحث عن القصور ، يدفعنا إلى البحث عن المستوى الحضاري والاجتماعي والثقافي الذي من خلاله نتعرف على المستوى العمراني، فالمعلوم أن معرفة مستوى حضارة الإنسان يتوقف على معرفة عمرانه أو تطور مدينته لأن المدينة من نتاج الحضارة.

وهناك أهمية من خلالها نستطيع تتبع مراحل البناء للقصر ومكونات المدينة، ومنه التعرف على مدى قدرة الإنسان الصحراوي على التكيف والتأقلم في منطقة قاسية ومعزولة، وما هي العوامل والدوافع التي فرضت عليه الاستقرار فيها ؟ .

وبالإجابة عن هذا الإشكال، نكون قد أدركنا حقيقة وجود الإنسان في إقليم الزاب الذي كان منذ القدم سجلاً حافلاً لحضارة سادت ثم بدأت في التقلص التدريجي والانكماش كأنْحِسَارْ المياه عن الشاطئ ، الأمر الذي أدى بإنسان المنطقة إلى العودة إلى الأرض الموات لإحيائها[1] .

هذا دون أن نغفل العلاقات الاقتصادية التي كانت سائدة في إقليم الزاب والتي جددت نمط قيام الظاهرة بصفة دائمة أو مؤقتة، بحسب توفر الأوضاع المساعدة لذلك وأن هذه الحركة تفرض على الدارس أن يحدد وبشكل نسبي بأنها قد استقرت بهذه المنطقة ، بعد أن وجدت لنفسها الكائن الحي وهو المدينة ـ القصر ـ ، ونهدف من وراء دراستنا لهذه القصور إلى الوصول إلى الأسس التي قام عليها عمران القصر وتطوره ولن يتأتى ذلك إلاّ بالقيام بدراسة مستفيضة تبدأ بجرد أهم القصور بإقليم الزاب في العصر الإسلامي فيما يلي :

[1] - Berthlot (A.); L'Algérie saharienne soudanaise ce qui en ont connu les Anciens, paris, 1972.p241.

1 ـ قصر الدوسن :

يقع في بلدية الدوسن وفقا للإحداثيات (س،ع)= 721 ـ 148 ،الخريطة رقم (21) الصورة الجوية رقم (19) ، لقد تبين لي من خلال قيامي بالعمل الميداني لإنجاز موضوع هذا البحث، أن القصر وافق الشروط التي جاء بها ابن أبي زرع[1] وابن خلدون[2] ثم ابن القاضي[3] فيما بعد والتي لابد منها لإنشاء المدينة وهي قول الأول: ((... وقالت الحكماء أحسن مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء وهي النهر الجاري، والمحراث الطيب ، والمحطب القريب والسور الحصين، والسلطان ، إذ به صلاح حالها وأمن سبلها وكف جبابرتها ...))[4] . وقد جمع قصر الدوسن هذه الخصال التي هي كمال المدن وشرفها، وفضلاً عن ذلك أشار ابن خلدون إلى أنه : ((... وجب أن يراعي ... دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها، فأما الحماية من المضار فيراعي لها أن يدار على منازلها جميعا سياج الأسوار، وأن يكون وضع ذلك في ممتنع الأماكن إما على هضبة متوعرة من الجبل ... حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها ومما يراعي في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض، فإن الهواء إذا كان راكدًا خبيثًا، أو مجاورًا للمياه الفاسدة أو المنافع متعفنة أو لمروج خبيثة، أسرع إليها العفن من مجاورتها ... والمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الأمراض في الغالب ...))[5] .

فإذا كانت المدن لم تراع هده الشروط، أسرع إليها الخراب كما أورده ابن خلدون

من شروط المدينة اتضح لنا أن قصر الدوسن قد وافق تلك الشروط وهنا نلاحظ أنه كان بها ـ الدوسن ـ نهر جار لم ينفد إلا في السنوات الماضية، واللافت للانتباه أن بني ـ أي القصر ـ على هضبة وأحاط به سور كالسوار بالمعصم كما كان بالقرب من المحطب والمرعى هذا دون أن ننسى الهواء العليل الذي كان به، وقد أضاف ابن القاضي في جذوة الاقتباس ما يلي : ((حكي عن الحكماء أنها قالت : لا تستوطن إلا بلدًا فيه سلطان حاضر، وطبيب ماهر، ونهر جار، وقاض عدل، وعالم عامل، وأسواق قائمة، وقالت الحكماء أيضا : أحسن المدن هي التي تجمع خمسة أشياء : نهر جار، ومحرث طيب، وحطب قريب، وسور حصين، وسلطا قاهر، إذ به صلاح أهلها وتأمين سبلها))[6] . وعلى ضوء ما سبق فقد استجمع قصر

---

[1] ـ ابن أبي زرع علي ك الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط،1973، ص 33.

[2] ـ ابن خلدون: كتاب العبر، ج2، ص ص 617 ـ 621.

[3] ـ ابن القاضي أحمد: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، ج1، الرباط، 1973، ص 42.

[4] ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 33.

[5] ـ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ص 617 ـ 621.

[6] ـ ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص 42.

أنظر : عبد الأحد السبتي حليمة فرحات : المدينة في العصر الأوسط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1994، ص ص 15 ـ 17.

الدوسن جميع أشراط بناء المدينة في العصر الإسلامي من المصادر التاريخية التي استفسرناها بشأن قصر الدوسن خلال العصر الإسلامي شحيحة جدًّا إلا بعض النتف المقتضبة على سبيل المثال ما أشار ابن خلدون في كتاب العبر حيث قال : ((... هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد وحده من لدن قصر الدوسن بالغرب ...))[1] ،ولم يضف شيئًا يمكن أن يميط اللثام عن ما نصبوا إليه من معلومات، وهناك أخبار قليلة أوردها الوزان عن القصر مفادها : ((دوسن مدينة أزلية من بناء الرومان في النقطة التي تتاخم مملكة بجاية صحراء نوميديا، وقد خربت لما دخل جنود المسلمين إلى إفريقيا لأنه كان بداخلها كونت روماني ... وقد أضرمت النيران فيها فاحترقت المنازل... وتظهر قرب الدوسن أثار كأنها مقابر وعندما ينزل المطر يعثر فيها الصيادون على قطع غليظة من الذهب ... وقد هدم هذا القصر إثر زلزال أو طوفان ضرب المدينة ولم يبق منها سوى أسوار القصر...))[2] ، زيادة عن ذلك يقول مارمول كاربخال مضيفا معلومات شحيحة حول سكان القصر وجيرانه: ((... يطوف على منطقة الدوسن أعراب أولاد سالم ...))[3] ، مما يوحي لنا بأن القصر كان يعج بالحركة خلال بداية الحكم العثماني وربما يرجع ذلك إلى فترة سابقة أي منذ استقرار المسلمين بها خلال القرن السابع الهجري . كما اعتمدنا على آراء بعض المؤرخين الفرنسيين أمثال : CHERBONNEAU [4] و DELATTRE[5] و TOUSSAINT[6] بالرغم من أنها كانت متحيزة جدًّا للفكر الاستعماري الذي يذهب في معظمه إلى الحط من الأصول العربية الإسلامية لبلاد المغرب بإرجاع تاريخ هذه المنطقة إلى أصول رومانية، وهذا إجحاف واضح في حق منطقة الزاب عمومًا وقصر الدوسن خصوصًا .

أ- وصف القصر : [المخطط 21] [اللوحة 29]

نظرًا لعدم وجود دراسات حول هذا القصر، وبالتالي عدم التوصل إلى نتائج مرضية وهذا لا يتم إلا بإجراء حفرية علمية دقيقة لمعرفة نشأة وتطور القصر الأمر الذي جعلنا نعتمد على الوصف وإعطاء فرضيات وتأويلات نتيجة لتغير ملامح القصر إبان الاستعمار الفرنسي، وهنا ينبغي القول أنه بعد الكشف عن السور الأصلي الذي بلغ نحوًا من 350م على 300م وقاعدته مبنية بالحجارة المصقولة ولم يبق منها إلا بعض الحجارة والجص الممزوج بالملاط، يتراوح ارتفاع الأسوار المتبقية ما بين 1مو 50 سم وعرضها ما بين 1 م و 1,50م . والجدير بالذكر أن الأسوار في هيأتها الأولى وقبل أن يطرأ عليها الخراب كانت تتخللها في أركانها الأربعة أبراج. اللافت للانتباه أننا عثرنا خلال إجرائنا لهذا الوصف على قطعة خزفية [اللوحة 30]

---

[1] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج 12، ص 912.

[2] - الوزان: المصدر السابق، ص ص، 140 - 141.

[3] - مارمول كاربخال : المصدر السابق، ص 170.

[4] - CHERBONNEAU : Annuaire de Constantine, 1862,p.152.

[5] - DELATTRE;Recueil de constantine, Volume XXV, 1888-9-^274.

[6] - TOUSSAINT: Bulletin de comité, 1905.p.58.

نرجح أنها تعود إلى الفترة الحمادية ونستنتج من ذلك أن المسلمين لم يخربوا القصر كما ذهب إليه بعض المؤرخين المتحاملين على الإسلام، لكن أعيد ترميم القصر من الداخل في فترات لاحقة مما أذهبت عنه شكله الأصلي .

أما بخصوص المقبرة فإنها تقع في الزاوية الشمالية الشرقية لسور القصر، تقدر أبعادها بـ 150م طولاً و 100م عرضًا، وقد تعرضت هذه القبور للخراب الذي طالها من جراء فيضان الواد أغرق نصفها ، أما القبور الأخرى فلم يبق منها غير الحجارة المتراكمة بعضها على بعض وهياكل عظيمة نخرة. هذا وقد عثرنا على بقايا مطاحن داخل القصر الشيء الذي يؤكد أن مدينة الدوسن كانت نقطة إستراتيجية كونها إحدى مخازن المؤونة الرئيسية لمنطقة الزاب والمتمثلة أساسًا في القمح والشعير والتمر بشتى أنواعه[1] .

[1] - Charbonneau; op-cit.p.152

2 ـ قصر بنطيوس [1] :

يقع في بلدية بنطيوس بالقرب من ليوة وتبعد عن مدينة بسكرة بـ 45 كلم وفقا للإحداثيات (س،ع) = 725 ـ 3840 ، الخريطة رقم (22) الصورة الجوية رقم (20).

لقد أغفلت المصادر التاريخية ذكر تاريخ تأسيس القصر الأمر الذي نميل للاعتقاد أنه بني خلال القرن الحادي عشر على الأرجح ويشير البكري ضمن حديثه عن مدينة بسكرة قائلا : ((... ومدينة بنطيوس وهي من بنيان الأول ، وتشرب بسكرة من نهر كبير يجري في جوفها منحدر من جبل أوراس.... إلخ))[2]. ونستنتج من مقالة هذا الأخير أن هذا القصر بني بالقرب من المجرى المائي لواد جدي وهذه الخاصية إحدى أهم الشروط الأساسية في قيام المدينة الإسلامية وظاهرة نجدها في الكثير من المدن الإسلامية المبكرة وحتى في العصور التالية[3] .

ولعلنا لا نبالغ إذا اعتبرنا بنطيوس بنيت فوق مرتفع مثل قصر الدوسن يحيط بها سور فتحت فيه بوابات شأنها في ذلك شأن المدن الإسلامية الأولى على غرار مدينة بغداد المسورة التي شيدها أبو جعفر المنصور سنة 145هـ .

وقد أكد البكري ما ذهبنا إليه من أن: ((... بنطيوس وهي ثلاث مدن كلها عليها أسوار وخنادق، وحولها أنهار وهي كثيرة البساتين بالزيتون والأعناب والنخيل ... وجمع الثمار من بنطيوس إلى بسكرة ...))[4] .

وهذا دليل آخر على أنها كانت مركزًا تجاريًا مهمًا في إقليم الزاب لا يقل أهمية عن المراكز والحواضر الأخرى لاسيما في الجانب الاقتصادي كما قدمناه .كما ينبغي التذكير بأن هذا القصر بني على غرار القصور الصحراوية في إقليم الزاب وإقليم توات التي روعي فيها الوحدة المناخية أي أن الظروف فرضت على إنسان المنطقة التفكير في تفادي الحرارة وتلطيف الجو داخل القصر وتكسير الرياح، وهذا ما لاحظناه خلال زيارتنا المتعددة للقصور الصحراوية بهدف إيجاد وجوه الشبه فيما بينها قصد الخروج بنتيجة واضحة عنها.

---

[1] ـ بنطيوس :

[2] ـ البكري: المصدر السابق، ص 51.

[3] ـ ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص.

[4] ـ البكري: المصدر السابق ، 72.

أ ـ وصف القصر :

بما أن القصر اندثرت معالمه ولم يبق منها أي أثر إلا بعض الحجارة المصقولة المنتشرة هنا وهناك ارتأينا أنه من المفيد الرجوع إلى ما خلفه لنا ستيفان غزال (Gsell . S) في أطلسه الأثري الذي تطرق فيه إلى وصفه وقد جاء عنه ما يلي : ((هو مربع الشكل ، يبلغ طول ضلعه 80م في كل جهة، ومحاط بخندق وقد بني على الطراز العربي ومن المحتمل أن يكون أسس المستعمرين يشكك في قدرة الأهالي على الإتيان بمثل هذا المبنى وهو بذلك يضيف خطًا تاريخيًا لا أساس له من الصحة ، على الرغم من أننا لا نستطيع الاستغناء عن أقواله على ما فيها من تحامل . ويضيف هذا الأخير أنه كان بالقصر أساسيات منازل وحجارة مصقولة بقيت ربما من أثر الخراب الذي لحق بالقصر جراء العوامل الطبيعية التي أتت عليه وهدمته في مرحلة سابقة وأيا كان وضع القصر فإنه لا يختلف عما هو موجود في بلاد المغرب الأوسط على عهد السادة الإسلامية وهناك ملاحظة جديرة بالذكر مفادها أن القصور الصحراوية في هذه المنطقة تتشابه حدّ التطابق، ولا يشذ قصر بنطيوس عن هذه القاعدة .

3 ـ قصر تنومة : [المخطط 22]

يقع القصر في زريبة الواد شرق مدينة بسكرة ويبعد عنها بحوالي 115 كلم وذلك وفقًا للإحداثيات (س، ع) = 265 ـ 3825، الخريطة رقم (23) الصورة الجوية رقم (21) .

الحقيقة أننا عندما تصفحنا المصادر التاريخية بشأن هذا القصر، لم نجد إلا معلومات شحيحة جدًّا ، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها ومن ذلك مثلاً ما ذكره ابن خلدون ضمن حديثه عن الصراعات التي كانت تنشب بين القبائل في إقليم الزاب الشرقي لاسيما عندما أشار إلى قبائل رياح والدواودة حيث يقول : ((وغلبهم رياح والدواودة فنزلوا بلاد الزاب واتخذوا بها الآطام والمدن مثل الدوسن وغريبوا وتهودة وتنومة وهم لهذا العهد من جملة الرعايا الغارمة لأمير الزاب ولهم عنجهية منذ رياستهم القديمة ... وبينهم في قصورهم بالزاب فتن متصلة بين المتجاورين منهم وحروب وقتل وعامل الزاب يدرأ بعضًا ببعض ويستوفي في جبايته منهم جميعًا...))[1] . من خلال ما أشار إليه هذا المؤرخ يتضح جليًا أن قصر تنومة كان له شأن كبير في مسيرة الأحداث والصراعات التي كانت هناك بين القبائل، مما يدفعنا إلى الترجيح إلى أنه كان بها فعلاً قصر يضاهي القصور المعروفة بإقليم الزاب في تلك الفترة الزمنية، وعند معاينتنا المدينة لاحظنا أن السور المحيط بالقصر هدم عن آخره ولم يبق منه إلاّ حجارة ممتدة على طول تخطيط القصر، كما أن هناك فجوات تتخلل السور تبلغ مائة متر في معظمها ، وعلى ضوء هذه المعطيات فإننا لا يمكن أن نتحاشى الخوض في الحديث عن القصر، الأمر الذي جعلنا نعتمد كلية على التخمين وإعادة التصور حتى نعيد له المكانة اللائقة به في التاريخ والآثار.

[1] ـ ابن خلدون : المصدر السابق، ج6، ص 30.

*** قصبة أولاد جلال** : [المخطط 23] [اللوحة 31]

تقع هذه القصبة بأولاد جلال والتي تبعد عن مدينة بسكرة بـ 100 كلم، وذلك وفقا ل|لإحداثيات (س، ع) = 725 ـ 127 ، الخريطة رقم (24) الصورة الجوية رقم (22)ينبغي القول أن هذه القصبة كمثيلاتها في إقليم الزاب وإقليم توات، كانت تتكون من سور خارجي تتخلله أبراج في الأركان ومحاط بخندق ومدعم بوسائل دفاعية كالمزاغل لرمي الزيت والمقذوفات الحارقة، وقد فتحت بهذا السور باب خشبي صنع من جذوع النخيل وتلقى بعد هذا الباب مدخل منكسر يأخذنا لشوارع وأزقة متقاطعة، وفضلاً عن ذلك فإننا نجد المسجد وبجانبه بنيت مدرسة قرآنية وهنا يمكن القول أن هذه الوحدات نجدها متشابهة حدّ التطابق مع القصبات التي وجدت بالمملكة المغربية بجبال الأطلس . وهناك ملاحظة جديرة بالذكر مفادها أن شكل القصبة يكون مربع زيادة إلى احتوائها على تجمعات معمارية اتسمت في معظمها بضيق المساحة ، وهي ميزة للعمارة الصحراوية . وقد أشار (Gsell) إليها خلال حديثه عن منطقة بسكرة قائلاً ك ((القصبة عبارة عن آثار مخيم روماني تقع بحوالي 300م إلى جنوب واد جدي، وتبلغ مقاساتها 175م في الغرب ، أما من جهة الشرق فتبلغ 150م ، أما السور المحاط بها فيبلغ سمكه 2م يتخذ شكلاً دائريًا في الأركان ، وفي الوسط بناية يبلغ طول الضلع منها 30 قدم تتخللها ساحة داخلية وقاعة ذات انحناء ...))[1] . وعند المعاينة الميدانية لأطلال هذه القصبة تبين لنا الخطأ الكبير الذي وقع فيه هذا الأخير بحيث أن السور في وضعه الحالي يمتد على مسافة 600م . لقد تأكد لنا بما لا يدعو مجالاً للشك أن مواد البناء المستعملة كان أغلبها الحجارة أما الملاط فهو الطين وهذا ينطبق على ما كان مستعملاً في إقليم توات في نفس الفترة .

ويدعم ما ذهبنا إليه سابقا ما أكده العياشي في رحلته : ((... وقرية أولاد جلال من أكبر قرى الزاب وهي قرية جامعة ... وهم في قوة ومنعة من العرب لا يؤدون إليهم اتاوة ...))[2] . أما الدرعي[3] فلا يضيف شيئًا عن ما قاله هذا الأخير يمكن الاستفادة منه لرفع اللبس عن تاريخ وآثار هذه القصبة.

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أنه لم يبق من آثار هذه القصبة إلا بقايا السور الخارجي المتهدم في بعض أنحاءه، كما كان لفيضان واد جدي دور كبير في تخريب جوانب متعددة لهذا السور، هذا ما أثبتته الملاحظات والمشاهدة العينية التي قمنا بها كما قدمناه .

---

[1] ـ Gsell (SD), op.cit,

[2] ـ العياشي: المصدر السابق، د . ص.

[3] ـ الدرعي : المصدر السابق، ورقة 296 ـ 297.

ثانيا ـ المساكن :

يبدو أن المنازل الصحراوية يغلب عليها الطابع الديني والطبيعي مسايرة لما ذهب إليه أحد المؤرخين الغربيين[1] . كما أنها تتسم بالبساطة في بنائها مع التناسق التام، وكذا التراص والتلاصق وهذا ما يكسبها الطابع الدفاعي المنغلق التي تتميز بها المنطقة المعزولة[2] .

كما لم يكن المسكن وليد الصدفة، بل وليد تفكير عميق من أجل إيجاد مأوى لدرأ الأخطار الطبيعية، وعادة ما يخطط سكان المدن خاصة في البيئة الصحراوية المليئة بالمفاجآت الخطيرة منازلهم دون أن ينسوا السور الدفاعي كما قدمناه .

فمدينة بسكرة من المدن التي تعرضت للهجومات والغارات إلى حد{ تهديم المنازل وقلع الأشجار والنخيل ، وتغوير الآبار فكان ذلك دافعًا لساكنيها أن يعملوا الفكر جيّدًا لحماية العرض والنفس والمال فأول ما راعوا في تخطيط مدنهم هو إمكانية امتداد البناء، وحتى لا تبنى المنازل خارج الأسوار لجأوا إلى ترك فراغات كبيرة بين سور وآخر، وبهذا الشكل كانت المدن الصحراوية ومن بينها بسكرة تتحول إلى قلاع وحصون كما مرّ بنا[3] .

والجدير بالقول أن بناء المساكن كان رافدًا من روافد العمارة الإسلامية ظهرت بنمط متميز تاركة بصماتها الواضحة من خلال ما خلفته لنا من معالم لا تزال قائمة إلى اليوم تصارع الفناء ، وبسكرة كغيرها المدن الشبه الصحراوية تزخر بإرث عمراني غزير ينم عن قوة منطقة الزاب وتمسك سكانها بالنمط المعماري الذي يترجم أفكارهم النابعة عن الدين والمجتمع، وعلى ضوء ما سبق يمكننا القيام بدراسة ميدانية لبعض العمائر المتمثلة في المساكن التالية :

---

[1] ـ Duveyrier (H.), Sahara Algérien et Tunisien, Paris 1955 .pp .23 – 25.

[2] ـ Ibid .

[3] ـ سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي، ج1، ، بيروت 1998 ، ص 102 ـ 114.

1 ـ مسكن الشيخ عبد الحفيظ الحنقي[1] :

يقع هذا المسكن ببلدية خنقة سيدي ناجي شرق مدينة بسكرة كما سبق ذكرها وفقا للإحداثيات (س، ع) = 288 ـ 3855، الخريطة رقم (25) الصورة الجوية رقم (23) بني في حارة اللواتة[2] خلال القرن 18م .

لقد كانت شهرة الشيخ عبد الحفيظ الحنقي في ربوع الزيبان والأوراس ومنطقة الجريد التونسي وكانت كلمته مسموعة ومطاعة حيث كانت تربطه بأهل هذه المناطق صلات القرابة والنسب بحيث تزوج الشيخ بأربعة نساء واحدة من قبيلة سيد موسى والثانية من قبيلة سرحانية والثالثة نمشوسية والرابعة بسكرية ، وقد كان مسكنه هذا قبلة لكل طالب علمٍ ، ومأوى الغرباء وعابري السبيل.

* **الوصف العام** : [المخطط 24] [اللوحة 32]

من خلال المعاينة الميدانية اتضح لنا جليًا أن المنزل هدم عن آخره ولم يبق منه إلا آثار الأسوار الخربة وشكل مخططه الأرضي، المستطيل الشكل، تبلغ أطواله 17,50 × 13,5 ، نلج إليه عبر مدخل رئيسي يقع في الركن الجنوبي الغربي منه يبلغ 1م ، يؤدي إلى غرفة مستطيلة الشكل يحتمل أن تكون سقيفة لاستقبال الضيوف لما لعادات المنطقة من مكانة تصل حدّ التقديس، ثم نجد مدخل ثاني فتح من جهة الشرق يبلغ 1م ، يؤدي بدوره إلى غرفة مستطيلة هي الأخرى، توجد بها ركينة في أقصى الشرق منها وهي تابعة للغرفة المستطيلة ، والملاحظ هنا أن مدخل السقيفة الثانية يؤدي إلى الرحبة(الصحن)، وفضلا عن ذلك نجد في جهته الجنوبية بقايا سلالم يؤدي إلى الطابق العلوي، وعند دخولنا إلى الرحبة (الصحن) نجد قوسين نصف دائريين مهدمين يتوسطان الجهة الغربية والجنوبية من الصحن. وهناك ملاحظة مهمة مفادها أن عدد درجات السلم المتهدم تبلغ 12 درجة التي عن طريقها نصعد إلى الطابق العلوي، وهذه الأخيرة تشكل سلمًا منكسرًا.

كما نلاحظ أن جدران الصحن تعلوها شرفات على أغلب الظن وهي بطبيعة الحال استخدمت لتزيين المسكن ، زيادة على وجود زخارف هندسية متنوعة مختلفة الأشكال كان معظمها بسيط ومنتشرة في بقايا السقيفة الأولى والثانية . والجدير بالذكر أن المسكن تحيط به من جهاته الأربعة وحدات سكنية .

---

[1] ـ عبد الحفيظ الحنقي : هو عبد الحفيظ ابن محمد بن أحمد الهجرسي العامري وقيل هو عبد الحفيظ محمد الحنقي وقال عنه الزركلي أنه عبد الحفيظ ابن محمد بن محمد الحنقي الجزائري من كبار أساتذة الطريقة الخلوتية ينتهي نسبه إلى السلالة الشريفة وقد ولد في خنقة سيدي ناجي سنة 1789م وقد كان عالمًا ومفتيًا ، وقد توفي في 26 نوفمبر 1850م . أنظر ـ محمد الصغير سويسي : حركة الشيخ عبد الحفيظ الحنقي ودورها في المقاومة الشعبية بالزاب الشرقي 1849، أنظر" عاشور الحنقي : منار الإشراف ومواليهم من الأطراف ، الجزائر 1914. وأنظر : أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 101.

[2] ـ اللواتة : نسبة على قبيلة لواتة التي كانت مستقرة بخنقة سيدي ناجي والجدير بالذكر أنه في العهد العثماني نجد أن الخنقة قد قسمت إلى خمسة أحياء أو حارات وهي حارة اللواتة ، حارة صدراته، حارة الجبس وحارة السوق .

بما أن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي له أربعة نساء فإننا نرجح بأنه كان بالمسكن أربع غرف بالطابق العلوي لأزواجه ، أما الطابق الأرضي المكون من ثلاث غرف فكان يخصصها لاستقبال الزوار والضيوف وذلك بمكانته العلمية المرموقة آنذاك . وغني عن القول أن غرف المسكن مستطيلة الشكل ندخل إليها من الصحن المربع الذي يتوسط المسكن، ويمكننا أن نلاحظ شمال الغرفة الكبرى وجود مقصورة ندخل إليها بواسطة مدخل فتح في الركن الشمالي الشرقي من جدار هذه الغرفة، ومن المحتمل أن تكون هذه المقصورة خاصة بالشيخ عبد الحفيظ الخنقي يركن إليها للخلوة والصلاة وتلاوة القرآن حينما يتفرغ من مشاغله اليومية .

أما عن مقاسات الغرف فنلاحظ أن الغرفة الواقعة بالجهة الشرقية بلغت أطوالها 5 م×3 م. أما الغرفة الشبيهة بالرواق الواقعة في أقص شمال المسكن والتي ندخل إليها من الصحن خلال فتحة في الجهة الشمالية الشرقية للصحن فتبلغ 13م ْ 3م ، والراجح أنها غرفة مخصصة لاستقبال وإيواء الضيوف.

أما بالجهة الغربية فنلاحظ غرفة مستطيلة الشكل طولها 6م وعرضها 2م فتحت بها بوابة عرضها 1م، وهي تطل على الصحن أيضا .

يحسن بنا القول أن مواد البناء المستعملة هنا تكون دومًا متلائمة مع الظروف المناخية والمحيط البيئي . الأمر الذي يدفع البناء إلى البحث عن المواد التي تحافظ على تمركز الحرارة داخل الكتل الحائطية حيث يستعمل المادة الجصية نظرًا لقدرتها على التأقلم مع مختلف التغيرات المناخية ، كما يختار لتغطية الفضاءات الداخلية ما يناسب بيئته مع سقوف . وبخصوص مادة بناء الجدران فإنه يمكن القول أنها كانت تعتمد على التربة نظرًا لانتشارها الواسع في ربوع الزاب غير أن طريقة تحضيرها اختلفت من منطقة إلى أخرى . فمثلاً نجد طوب اللبن يستعمل في المدن الصحراوية بالناحية الجنوبية الغربية لبلاد المغرب الأوسط ، أما التربة الصلصالية فكانت تستعمل على نطاق واسع وبخاصة في بلاد القبائل وبعض مدن الجنوب. أما الطوب فيكثر استعمال في إقليم توات ، وه على خلاف الأتربة الأخرى نجده خال من أي مواد أخرى عدا الطين والماء ، يحضر الطوب في العادة بمقياس 30 سم إذا كان سمك الجدار بمقدار طوبة واحدة فقط ، أما إذا كان سمك الجدار أكثر من ذلك فإن عدد الطوب يزداد تبعًا لذلك، للإشارة فإن ذكر استعمالها وبسمك معتبر هو دورها كعازل حراري بالدرجة الأولى وهذا م لاحظناه في معظم المساكن التي قمنا بدراستها بالرغم من تهدمها ، فلم يشذ مسكن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي عن استعمال تلك المواد المألوفة في العمارة الصحراوية التي روعي فيها مقاومة الحرارة وتلطيف الجو في أيام الصيف كما هو معروف عند المعماريين جميعًا . والمواد المستعملة هنا امتازت بالبساطة التي لا تتعدى الحجارة والطين أو اللبن[1] .

[1] - Donnadieu (c et p). Habiter le dessert, Les maisons Mozabites, imprimé en Belgique, 1987, pp. 94 – 100 .

2 ـ مسكن الشيخ بن عزوز البرجي[1] :

يقع في بلدة برج بن عزوز التي تبعد عن مدينة طولقة بحوالي 4 كلم، وعن مدينة بسكرة بحوالي 44 كلم غربًا وهو محدد وفقا للإحداثيات (س، ع) = (742 ـ 158) الخريطة رقم (26) الصورة الجوية رقم (24) . لابد من القول أننا عندما رجعنا إلى المصادر وجدناها شحيحة جدًّا، لاسيما تاريخ المسكن وظروف بنائه . الأمر الذي جعلنا نعتمد على الروايات الشفوية المتعلقة بهذا الشأن .

*** الوصف العام :**

توجد بالمسكن ثلاثة مداخل ؛ اثنان منهما يطلان على الشارع الرئيسي، ويتضح أنهما مدخل الضيوف، وآخر خاص بالمواشي . نلاحظ أن المدخل الرئيسي به مصراع واحد، وهو من الخشب، يعلوه صفيحة حديدية على شكل حدوة الفرس ، لإبعاد عين المعيان كما هو شائع في بلاد المغرب الأوسط زيادة على وجود بعض الأشكال الأخرى التي وضعت على المداخل كالمثلث والكؤوس والصحون وهي تؤدي نفس الغرض مع حدوة الفرس .

أما من ناحية تخطيط المسكن فنلاحظ أن المدخل يؤدي مباشرة إلى السقيفة، والمدخل منكسر لحجب نظر الغرباء ، وهي ظاهرة عامة في مساكن المنطقة، وقد فتحت بجدار المسكن المطل على الشارع حتى تتمكن ربة البيت من معرفة الشخص الداخل ومراقبة الأولاد، كما لهذه الكوة دور في إدخال الضوء والهواء إلى السقيفة .

ويوجد بالسقيفة مقعد حجري للجلوس وعادة ما كان مسكن إقليم الزاب يحتوي على سقيفتين كما مرّ بنا، وفي السقيفة وعبر مدخل نمر إلى صحن الدار ، وعادة ما يكون مغطى بأقواس . أما بخصوص الصحن فهو المساحة المكشوفة بالبيت وهو مربع الشكل . أما الغرف فنجد واحدة للنوم وشكلها مستطيل، وتوجد بالغرف كوة نصف دائرية للإنارة ، وتقابلها في الجهة الأخرى فتحة مستطيلة الشكل مسقفة بقبة واحدة نصف برميلية ن وهي لصاحب المسكن، وتوجد داخلها مقصورة على يمين المدخل يتم الدخول إليها عبر مدخل معقود بعقد نصف دائري متجاوز، وتخصص لتخزين الأشياء ذات القيمة الغالية .

---

[1] ـ بن عزوز : ولد بالبلدة المسماة باسمه سنة 1170هـ/ 1756م ، وقد التفت إلى التعلم على والده الصالح سيدي أحمد بن يوسف وعمه الشيخ المدني بن عزوز وعلى غيرهما من علماء الزاب، وقد تضلع في المنقول والمعقول، وقد أمره الشيخ باشطارزي عبد الرحمن الذهاب إلى بلده وتعليمهم الطريقة العزوزية، توفي سنة (1233هـ/1818م). أنظر: مخطوط: تعريف الخلف وتعطير الأكران، وهو محفوظ بخزانة بعض علماء الجهة .

أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص ص ، 156 ـ 157.

أما غرفة الأولاد فهي بمحاذاة غرفة نوم رب البيت ، يعلوها قبة. وبجوار هذه الغرفة يوجد مخزن التمور، أما دورة المياه فتقع على يمين مدخل الصحن . وبالقرب منه يوجد مدخل يؤدي إلى إسطبل المواشي.

والجدير بالإشارة أن مسكن الشيخ بن عزوز يتكون من قسم أرضي فحسب، ورغم صغر هذا المسكن نسبيًا فإننا نجد غرفة خصصت لاستقبال وإيواء الضيوف كما كان هناك المطبخ الذي نجد به العديد من الكوات وهو بجانب دورة المياه أما سطح البيت فيخصص عادة لنشر التمور والحبوب.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن المجالات التي لها علاقة مع الخارج تكون مجتمعة في الجهة المقابلة للخارج كالمطحنة والإسطبل، أما الغرف التي لها حرمة فهي بعيدة عن المجالات الخارجية كغرف النوم ودورة المياه.

وقد تعذر علينا رفع المقاسات الخاصة بهذا المسكن ، وذلك راجع لتعنت وممانعة أحد ساكنيه لظروف لا نعلمها وهذا ما أنقص الوصف قيمته، فلقد سمح لنا فقط بمشاهدته من الداخل دون تصوير أو أخذ أي مقاسات .

3 ـ مسكن الشيخ العيد بن شنشونة[1] :

يقع في قرية- بني سويك التي تبعد عن مقر الولاية بـ 35 كلم شمالاً وذلك وفقا للإحداثيات (س، ع) = 782 ـ 201 ، الخريطة رقم (27) الصورة الجوية رقم (25) . من خلال استقرائنا لبعض المصادر التاريخية التي تناولت إقليم الزاب في العصر الإسلامي بما فيها تلك المتعلقة بالسير والتراجم تبين لنا أن شخصية الشيخ العي بن شنشونة لم تنل عناية أو اهتمام أو حتى ذكر يمكن الاعتماد عليه لتتبع تاريخ بناء مسكنه الذي نرجح أنه كان في حدود القرن15م .

* **الوصف العام** : [المخطط 25] [اللوحة 33]

ككل مساكن إقليم الزاب ، نجد الباب الذي يؤدي إلى رواق مستطيل يحتمل أنه كان مخصصًا لاستقبال الضيوف والزوار قبل ولوجهم إلى الداخل، وقد بلغ طول الرواق 5,5م وعرضه 2م ، ونجد في منتصف جدار الرواق بالجهة الشمالية بوابة عرضها 0,80 م تؤدي إلى الصحن الذي يتخذ شكلاً مستطيلاً . ويمكننا أن ندخل إلى غرفة مستطيلة عبر باب مفتوح على الصحن من الجهة الشمالية الشرقية يبلغ طولها 4م وعرضها 3م ، ونرجح أنها للشيخ العيد بن شنشونة وهذا استنادًا إلى وجود مقصورة بالغرفة المذكورة في ناحيتها الجنوبية الغربية ربما كان يخلو بها في أوقات الفراغ أو يتخذها منسكا لصلواته وتعبده ، يتم الدخول إليها عبر بوابة فتحت جنوب جدار هذه الغرفة .

أما الغرفة الثانية الواقعة في الركن الجنوبي الغربي فندخل إليها عبر بوابة تبلغ فتحتها 0,80 م من الصحن ومن المرجح أنها للأولاد أو للضيوف. يبلغ طولها 4م وعرضها 2,50 م ، كما هناك مخزن يقع شمال هذه الغرفة وهو بطبيعة الحال مخزن المؤن من حبوب ومال إلى ذلك . وبخصوص السلالم التي تؤدي إلى الطابق العلوي فهي مهدمة، أما السقوف فلا وجود لها وقد يرجع سبب ذلك إلى عوامل طبيعية بحتة.

لم يبق من المسكن إلا جدران خربة، أما طوله فيصل إلى 13م وعرضه 9,5 م وهو مستطيل الشكل . وقد لقينا صعوبة في تحديد الغرف لأن وضعية المبنى وجدناها مزرية جدًّا بحيث غمرته الأتربة كلية .

[1] ـ العيد بن شنشونة : ينحدر من سلالة أولاد زيان ذات الأصل العربي المغربي وبالضبط من قبيلة زناتة ثاني أكبر قبيلة بالدولة الزيانية بتلمسان وقد نزل وقبيلته في منتصف القرن 15م ، بقرية بني سويك بجمورة وقد كانت سمعته ذائعة في عصره . أنظر : محمد الطاهر التليلي القاري : مخطوط إتحاف القارئ ، ص 395، وأنظر : الناصري: المصدر السابق، ص 497.

4 ـ مسكن من أوماش[1] :

يقع المسكن ببلدية أوماش التي تبعد عن مقر مدينة بسكرة بحوالي 28 كلم جنوبا وذلك وفقًا للإحداثيات (س، ع) = 772 ـ 160 ، الخريطة رقم(28) الصورة الجوية رقم (26) .

بعد معالجتنا للنصوص التاريخية بشأن قرية أوماش وتاريخ نشأتها وتطورها اتضح لنا انعدام المعلومات حولها، كما أنها أغفلت من كتب الجغرافيا ومن الرحلات أيضا الأمر الذي ألزمنا الاعتماد على الترجيح. حتى أن ابن خلدون أشار إليها باقتضاب شديد يكاد يخلو من أي معلومة ما عدا ذكره للصراع الذي كان قائمًا بين أمير الدولة الحفصية وبني رمان في حدود سنة 678 هـ حيث يقول : ((... ملك أبو إسحاق تونس ... وخضع له بنو رمان ظاهرًا وحالفوا أولاد جريْ وأغروهم بقتل فضل ابن علي وتناول الأمر من يده وهو يومئذ بقرية ماشاش قرية بسكرة ...))[2] . ومن خلال ما ذهب إليه ابن خلدون ن قرية أوماش كانت عامرة وبها مساكن وسنتطرق فيما يلي بالدراسة على أحد منها .

*** الوصف العام** : [المخطط 26] [اللوحة 34]

لقد لفت نظرنا ونحن نقوم بمعاينة هذا المسكن أن له ملاحق خارجية من المحتمل أنها كانت تستعمل لإيواء الحيوانات الأليفة فضلا عن المخازن التي كانت تضم المؤن من حبوب وتمور وأعلاف البهائم، وهي ظاهرة تبدو غريبة مقارنة مع ما رأيناه في مناطق عديدة بإقليم الزاب .

أن أول خطوة لنا كانت الدخول عبر بوابة عرضها 1م تؤدي إلى سقيفة ضيقة نمر من خلالها إلى صحن مربع تحيط به 6 غرف موزعة بشكل شبع تناظري ، فالغرفة الأولى تقع بالركن الجنوبي ، تصادفنا على يسار رواق المدخل تبلغ 3 م × 3 م وهي بسيطة ن أما الغرفة الثانية فندخل إليها من الصحن عبر بوابة في ركن الحائط من الجهة الشمالية الشرقية وهي كسابقتها تخلو من أي عناصر معمارية ، ولما كان المسكن عبارة عن أطلال فإننا اكتفينا بأخذ المقاسات واعتمدنا على المشاهدة فقط مع إبداء ما نراه ذا بال في مجال الآثار فحسب .

أما الغرفة الثالثة فنجدها في الركن الشمالي الغربي للمسكن وهي مستطيلة الشكل مقارنة بمثيلاتها كما قدمناه ، تبلغ 3م في الطول و2 م في العرض ، أما طول غرفة فهي التي تقابلها نمر إليها رواق يبلغ

---

[1] ـ أوماش : كانت تعرف في عهد إمارة بني مزني على الزاب بماشاش وقد أشار ابن خلدون إليها قائلاً : ((... فدخلوا أولاد حريز من لطيف أحد بطون الأثابج كانوا نزلوا بقرية ماشاش ...)) . أنظر : العبر، ج6، ص ص ، 512 ـ 513.
أنظر: محمد عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس ، مطابع هيد لبراغ ، بيروت، 1984ن ص 400.

[2] ـ ابن خلدون ، العبر، ج6، ص ص 512 ـ 513.

عرضة 1 م وطوله 2م ونلج إليها عبر بوابة تقع في الحائط الشمالي الغربي، تبلغ 6 م طولاً و 2م عرضًا. أما الغرفتان المتبقيتان فلهما تقريبًا نفس مقاسات الغرفة الأولى والثانية . وهنا خامرت ذهننا عدة تساؤلات كيف تم استحداث هذا النوع من المساكن المتعددة الغرف والملاحق الخارجية في منطقة الزاب فهل كان البنَّاء ابن البلد ابتكر هذا النوع من المساكن أم جني بأحد البساتين من منطقة أخرى أبدع لنا شيئًا مخالفًا تمامًا لما هو كائن .

للأسف لم يبق من المسكن إلا أطلاله التي اعتمدناها لأخذ بعض المقاسات والملاحظات التي نتمنى أن تساهم في الحفاظ على هذا الإرث الذي يؤكد ما بلغته العمارة المدنية بإقليم الزاب في العصر الإسلامي من تطور بالرغم من بساطتها ومحليتها .

5 ـ مسكن من فرفار[1] :

يقع هذا المسكن على بعد أربع كيلومترات جنوب مدينة طولقة وحوالي 44 كلم غرب عاصمة الزيبان وذلك وفقًا للإحداثيات (س، ع)= 747ـ 161 ، الخريطة رقم (29) الصورة الجوية رقم (27).

ينبغي التنبيه إلى أن قرية فرفار قد تأسست أيام يعقوب بن علي أحد أمراء قبيلة رياح الهلالية سنة 790هـ/1338م مسايرة لابن خلدون الذي قال عنها خلال زيارته ومكوثه بها : ((... وكان يعقوب ابن علي أعظم أمراء رياح من سبقه منهم ومن لحقه له ولوع بالفلاحة والعمران اختط قرية فرفار قرب طولقة ...))[2] وسنتولى فيما يلي دراسة نموذج مسكن من فرفار:

* **الوصف العام** : [المخطط 27] [اللوحة 35]

اللافت للانتباه أن هذا المسكن هدم عن آخره ولم يبق منه إلا تخطيطه الأرضي، الذي مكننا من أخذ المقاسات ووصفه على هيئته المتدهورة التي وجدناه عليها.

فندخل إلى المسكن غبر بوابة عرضها 1م لنجد رواق طوله 4م وعرضه 1م وفي منتصفه فندخل إلى غرفة مربعة الشكل طولها 3 م وعرضها 3 م. وفي نهاية الممر ندخل إلى الصحن المربع الذي نجد به دورة المياه التي تتوسط المخزن الذي يقع في الركن الشمالي الشرقي والغرفة التي بالركن الشمالي الغربي التي تبلغ 5 م × 4م، كما يوجد رواق يفصل هذه الغرفة عن تلك الموجودة قبالتها بالجهة الجنوبية .

والجدير بالذكر أن المسكن يتخذ شكلاً مستطيلاً يبلغ 12 م × 10 م وهو لا يختلف عن مساكن إقليم الزاب للفترة المدروسة في شيء على الرغم من تدهوره.

[1] ـ فرفار : قرية من قرى طولقة نسبة إلى واد فرفار أنظر " الحميري: المصدر السابق، ص 402.

[2] ـ ابن خلدون : كتاب العبر، ج6، ص ص ، 510 ـ 511.

مميزات العمارة المدنية بإقليم الزاب :

على ضوء ما سبق، من دراسة بعض العمائر المدنية بإقليم الزاب لاسيما القصور الموجودة ببنطيوس والدوسن وتنومة ، فضلاً عن قصبة أولاد جلال وبعض المساكن المتناثرة هنا وهناك، فإن السمات الغالبة عليها جميعًا هي البساطة الهندسية التي تنم عن قلة المهارة وربما هذا راجع لحياة التقشف التي يعيشها سكان هذه المناطق وعزوفهم عن البذخ والترف وخاصة في هذا المجال، مقارنة بما هو موجود في الحواضر الأخرى كتلمسان مثلاً التي روعي فيها الجانب الفني والمعماري كوجود البلاطات الخزفية في أرضية العمائر وقنوات صرف المياه الموضوعة بطريقة هندسية رائعة بالإضافة إلى إدخال عناصر معمارية كالعقود والدعامات التي لم نجدها في إقليم الزاب وإن وجدت فهي بسيطة تخلو من كل زخرفة أو أثر فني كما قدمناه .

وعلاوة على ذلك فقد غلب استعمال المواد المحلية في عملية البناء على غرار ما هو موجود في المباني الصحراوية بإقليم توات وورقلة المتمثلة أساسًا في الحجارة المستخرجة محليًا وكذا الدبش والطين المستعمل كملاط في أغلب الأحوال ، وهذا ما أكده ماغلون Maguelonne في بحثه عن إقليم الزاب مثل ما مرّ بنا[1] .

ومهما يكن من شيء فإن المميزات التي اختصت بها العمارة المدنية لإقليم الزاب هي نفسها المنتشرة في الصحراء على عهد السيادة الإسلامية وسنخص بالذكر جملة منها في النقاط التالية :

1 ـ غلبت عليها جميعًا الوحدة العمرانية المتسمة بالاتساق والتناسب والتلاصق وهي ظاهرة عمت جميع القصور المدروسة فضلا عن المساكن.

2 ـ من ناحية الشكل وجدنا المساكن تتشابه حدّ التطابق مع بعض الاختلافات اليسيرة التي لا تكاد تبين لولا الملاحظة والمقارنة الدقيقة المتفحصة.

3 ـ احتوائها ـ المساكن ـ على الصحن المربع الذي تفتح عليه الغرف هذا دون أن ننسى الأروقة والمعابر التي تتخلل المداخل كما سبق وأن أشرنا إليه فلا نجد دارًا يفتح بابها على بهو أو غرفة .

4 ـ توجيه المبنى نحو الرياح الملطفة صيفًا والدافئة شتاء فإن كان الجو بارد أضمن المبنى حرارة داخلية هامة تصل إلى كل العناصر المكونة للمبنى بما فيها الأركان والتجويفات وإذا اشتدّ الحرّ لا يجد

[1] - Maguelonne (M.J.), op.cit. pp.213- 250.

الهواء المنعش عائقا في الوصول إلى عمق المبنى ويمكننا الوقوف على شيء من هذا التوجيه كما هو الحال في المساكن المدروسة .

5 ـ وما ينبغي الإشارة إليه أن الأسس تقوم بالنسبة للجدران بالدور الأساسي إذ أنه كلما عمق الأساس كلما زادت المقاومة اللازمة لتحمل ثقل السقف وتكفي بهذا الصدد إشارة القرآن الكريم إلى أهمية الأساس التي سماها بالقواعد في قوله عز وجل ((... فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ...)) [1].

[1] ـ الآية 26 من سورة النحل .

خلاصة الفصل :

على الرغم من ندرة المعلومات المقدمة من طرف المؤرخين القدماء والمحدثين على حدّ سواء وكذلك الرحالة والجغرافيين والدراسات والأبحاث الأثرية بصفة خاصة ، فإنه على الرغم من تطرقها في بعض الأحيان إلى الأحداث التاريخية التي مرت بها منطقة الزاب أو وصفها العمراني المقتضب فإنها لا تمدنا بأي شيء يمكن الاعتماد عليه ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نفي إلى ما نصبوا إليه ، ومن خلال دراستنا المستفيضة للعمارة المدنية بالمنطقة استنتجنا :

1 ـ تطور عمارة القصور على الرغم من أننا لم نعثر إلاّ على الأطلال وهذا لا يعني مطلقًا أنها كانت منعدمة وما قصر بنطيوس وآثاره إلاّ دليل قاطع على ما بلغته هذه المباني من ازدهار في حقبة قريبة من الفتح وما بعده .

2 ـ انتشار المساكن بشكل يدعو للانتباه وبخاصة بالواحات وقرب الأنهار والمجاري المائية والمراعي والأقاليم المعتدلة كما هو الحال في طولقة وبناء قصبة في أولاد جلال لدليل على ذلك .

وإن دلت هذه المعلومات على شيء فإنما تدل على نشاط عمراني كبير اتبع عملية نشر الدين الجديد وقد اكتملت هذه الدورة المعمارية بسيطرة الدولة الحفصية على إقليم الزاب وإرغام العاملين فيها على إنشاء القرى والمداشر لتنظيم الأهالي واحتوائهم لتعمر الصحراء ومن ذلك استقرار القبائل الهلالية كرياح والأثبج كما قدمناه .

قائمة إحصائية للمواقع والمعالم الأثرية المدنية الإسلامية لمنطقة الزاب (بسكرة)

التسلسل	اسم الموقع أو المعلم	الموقع الجغرافي	الاحداثيات (س ع)	وظيفته وطبيعته
01	قصر الدوسن	بلدية الدوسن	721 ـ 148	آثار
02	قصر بنطيوس	بلدة بنطيوس بلدية مخادمة	725 ـ 3840	آثار
03	قصر تنومة	زريبة الواد	265 ـ 3825	آثار
04	قصبة أولاد جلال	أولاد جلال	725 ـ 127	آثار
05	مسكن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي	خنقة سيدي ناجي	288 ـ 3855	آثار
06	مسكن الشيخ بن عزوز البرجي	برج بني عزوز	742 ـ 158	السكن
07	مسكن الشيخ عبد الحميد شنشونة	قرية بني سويك بلدية جمورة	782 ـ 201	آثار
08	مسكن من أوباش	بلدية أوماش	772 ـ 160	آثار
09	مسكن من فرفار	قرية فرفار بطولقة	747 ـ 161	آثار

الفصل الثالث

جرد المعالم والمواقع الأثرية العسكرية في العهد الإسلامي

* تمهيـد .

أولا : الأربطة .

ثانيا : الحصون

ثالثا : المرافق ذات الغرض الدفاعي

1 ـ الفنادق.

2 ـ السوار.

3 ـ الأبراج

* خاتمة الفصل.

تمهيـد :

يذهب جلّ من تطرق إلى تاريخ مدينة بسكرة في العصر الإسلامي إلى أنها كانت مدينة محصنة يحيط بها سور دفاعي تتخلله ثلاثة أبواب [1] كما قدمناه، علاوة على وجود قلاع وأطام وحصون منيعة كانت تستعمل أيام القلاقل والفتن، بالمكوث داخلها لاتقاء الهجمات المتعدد التي كانت تتعرض لها بين فترة وأخرى.

كما كان يحيط بها خندق لمنع الخيالة والمشاة من الاقتراب إليها وهذا الخندق في نظري كان شبيها إلى حدّ كبير بذلك الذي كان يحيط بمدينة بغداد على أيام أبي جعفر المنصور بداية من سنة 145هـ ، وهذا ما أكسبها مكانة عسكرية لا تقل أهمية عن مثيلتها في بعض الحواضر الأخرى بالمغرب الإسلامي في تلك الفترة من الزمن. وإلاّ كيف نفسر وجود مثل هذه المعالم العسكرية بها منذ العصر الروماني والبيزنطي وربما كان هذا دافعًا قويًا لاتخاذها كقاعدة بإقليم الزاب من قبل الأغالبية والفاطميين وباقي الدول التي تعاقبت على حكم إقليم الزاب من بعدهم، وهذا بعد ترميمها والإضافة إليها وإكسابها طابعًا إسلاميًا خالصًا يبرز النمط العمراني الإسلامي ذي الصبغة المحلية وخاصة أن المؤشرات والدلائل الإنشائية والجمالية بها تؤكد ما ذهبنا إليه من قول . وعلى الرغم من قلة المعلومات التاريخية التي استفسرناها بهذا الشأن فإننا سنحاول جاهدين بما يتوفر من معالم ومواقع أثرية لها صلة بموضوع البحث لإماطة اللثام عن الغموض الذي امتد إليها طيلة هذه السنين . وسنتناول هاهنا بجرد المواقع والمعالم العسكرية للمنطقة .

[1] ـ البكري (أبو عبد الله) : المصدر السابق: ص 51 ، أنظر : ابن خلدون: المصدر السابق، ج12، ص ص ، 912- 914

أولاً ـ الأربطة :

هي عبارة عن حصون حربية تقام في الثغور عادة لمواجهة العدو والذود عنها[1] ، ولعل هذه التسمية مقتبسة من القرآن الكريم : ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل))[2] . ((يأيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون))[3] . وتحتوى الأربطة على أبراج مراقبة وحصن صغير. والجدير بالذكر أن ولاة الثغور أقاموا كثيرًا من هذه الأربطة لحماية حدود الدولة الإسلامية، فقد كان في بلاد ما وراء النهر عشرة آلاف رباط وكذلك في ثغور الجزيرة الفراتية . وكانت سواحل المغرب المطلة على البحر الأبيض المتوسط عرضة لغارات البيزنطيين أكثر من غيرها فأقيمت فيها الأربطة وشحنت بالمجاهدين للدفاع عنها، حتى أن عقبة بن نافع عندما أراد بناء القيروان بلغت الحماسة برجاله فاقترحوا عليه إقامتها على الساحل للمرابطة فيها ، وقالوا لها: ((قربها من البحر ليكون أهلها مرابطين))[4].

لقد توسعت الأربطة في العهد العباسي، وبنى الوالي العباسي هرقمة بن أعين أول رباط في إفريقية عام 179هـ/ 795م، وبلغ التوسع ذروته في عهد بني الأغلب، وأقام زيادة الله رباط سوسة عام 206هـ/ 822م ، وكان الأغالبة يسمون هذه الأربطة بالقصور والمحاريس وقد انتشرت في الإسكندرية إلى المحيط الأطلسي وكان السكان يلجأون إليها إذا دهمهم العدو، وقد صمدت هذه الأربطة أمام أساطيل البيزنطيين وقد التزم المقيمون في هذه الأربطة بالتدريب على الفروسية خاصة بالإضافة إلى كافة التدريبات العسكرية التي تؤهلهم للقيام بمهماتهم على أكمل وجه .

وإلى جانب المهمة العسكرية، فقد اهتمت الأربطة بالناحية العلمية فمع انتشارها أخذت الثقافة العربية تنتشر مع انتشار الدين الإسلامي وقد عرف المغرب التيارات الفكرية والمذهبية التي عصفت بالمشرق ، الأمر الذي دفع بالمرابطين في تلك العمائر إلى التفقه في الدين لمواجهة تلك التيارات ، خاصة وقد شرع فقهاء المالكية يثبتون أقدامهم في إفريقيا . وأصبحت منذ ذلك الحين مدارس علمية تدرس الفقه والحديث .

أما عن الحياة الجماعية في الأربطة فكانت تقوم على أساس التعاون بين أفرادها لتحقيق حياة إسلامية مثالية . حيث كان الأفراد يجمعون المؤن بأنفسهم عن طريق الصيد البري والبحري حسب موقع

---

[1] ـ دائرة المعارف الإسلامية، أنظر مادة رباط ، ص 19.

[2] ـ الآية 62 من سورة الأنفال .

[3] ـ الآية 199 من سورة آل عمران .

[4] ـ دائرة المعارف الإسلامية ، ص 19.

الأربطة وكذلك كانوا يقومون بإعداد الطعام وكل ما تتطلبه عمليات التموين من زراعة وصناعة آلاتها فضلا عن صناعة الأسلحة[1] .

أما من ناحية العبادة ، فالجماعة التي التزمت بالرباط مؤمنة بربها وبرسالة الإسلام فكانت العبادة تقتصر على الصلوات الخمس، وقد وضعت عقوبات لمن يتأخر عنها. وفي أيام السلم كانوا يحفظون القرآن ويقومون بتفسيره[2] .

والجدير بالذكر أن الأربطة أدت خدمات جلى للإسلام وللمسلمين فقد دفعت عن أهل المغرب إلى حدّ كبير الفتن التي انتشرت في المشرق، وكذلك مثالاً للزهد والتقشف والتفاني في سبيل الله ، تعمل على نشر الإسلام، لا يبتغي أهلها من وراء ذلك جزاء ولا شكورً[3] . وكانت بلاد المغرب الإسلامي تزخر بمئات الأربطة وسنقوم بجرد هذه الأربطة فيما يلي:

[1] ـ كمال الدين سامح : العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982، ص ص 10 ـ 20.

[2] ـ نفسه .

[3] ـ نفسه ، ص ص، 14 – 18.

1 ـ رباط سعادة[1] :

يقع في قرية فرفار بأنحاء مدينة طولقة التي سبق ذكرها في الفصل المخصص للعمارة المدنية وذلك وفقا للإحداثيات (س، ع) = 748 ـ 162، الخريطة رقم (30) الصورة الجوية رقم (28) .

لم تشر المصادر التاريخية ولا الجغرافية وحتى الرحلات إلى هذا الرباط باستثناء إشارة ابن خلدون في كتابه العبر التي يقول فيها : ((... وأوعز إلى أهل طولقة بالقبض على سعادة فخرج منها وابتنى بأنحائها زاوية ونزل بها هو وأصحابه ثم جمع أصحابه المرابطين وكان يسميهم السنية ...))[2] . وعلى ضوء ما سبق يتضح لنا أن هذه الزاوية عبارة عن رباط استعمل في تلك الفترة بحيث كان عبارة عن قاعدة هجوم والدليل على ذلك أن سعادة خشي الإقامة في طولقة فابتنى بضواحيها زاوية انتقل إليها بمريديه حيث يقول ابن خلدون : ((... وأقام المرابط سعادة بزاويته بزاب طولقة وجمع من كان إليه من المرابطين المتخلفين عن الناجعة وغزا مليلي وحاصرها أيامًا ...))[3] .

*** وصف الرباط :**

لم يبق من هذا الرباط إلا أطلال دارسة، بحيث لاحظنا خلال القيام بتقصي المعلومات من الموقع، أكوام من الحجارة وطوب اللبن مرتمية على طول الرباط وعرضه .

كما أن هذا الأخير لم يشير إليه ستفان غزال (Gsell) في أطلسه كما عاهدناه في العمائر الأخرى بإقليم الزاب وقد يكون ذلك سهوًا منه وإجحاف في حق هذا المعلم الأثري الذي لعب دورًا لا يمكن إجحاده عبر التاريخ .

---

[1] ـ سعادة : من قبيلة رياح الهلالية، عابد وزاهد رحل إلى المغرب طلبًا للعلم حيث درس على فقيه تازة أبا إسحاق التولي ولزمه حتى تمكن من الفقه ثم رحل إلى طولقة وأخذ بنفسه مثل المهدي بن تومرت في تغيير المنكر حتى اشتهر بذلك ، ثم بدأ في جمع أصحابه المرابطين وكان يطلق عليهم السنية وعندما اشتد ساعدهم زحفوا على بسكرة وحاصروا ابن مزني سنة 730هـ ثم القضاء عليه وتشتيت أتباعه سنة 705هـ ، أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص 82.

[2] ـ ابن خلدون ، كتاب العبر، ج6، ص ص 46 ـ 47.

[3] ـ نفسه ، ص 47.

2 ـ رباط بن عزوز[1] :

يقع في بلدة برج بن عزوز وهو محاذي للطريق البلدي رقم 13 الذي يصل بين البرج وليوة والذي يبعد عن مقر الولاية بحوالي 45 كلم جنوب غرب، وبالتحديد في نقطة تقاطع خطي الطول والعرض (س، ع)= 744 ـ 158، الخريطة رقم (31) الصورة الجوية رقم (29) .

لقد أغفلت المصادر التاريخية والجغرافية الحديث عن هذا الرباط . إلاّ ما تركه لنا (ج. ماكولون) J.Magouelonne حيث يقول: ((... برج بن عزوز نسبة على الرباط الذي استغله بن عزوز في مقاومة الأتراك ، والتعبد والتصوف ...))[2] .

ومن هنا نستنتج أن هذا الرباط كان يستعمل لصد هجمات الأتراك على المنطقة من جهة، وللتعبد من جهة أخرى ، والجدير بالذكر أن هذا الأخير قد تعرض إلى العديد من الترميمات، مما أفقدته صبغه الدفاعية وحول إلى مسجد وهذا ما تشير إليه اللوحة الجصية التي توجد فوق باب المدخل نقشت عليها كتابة تأسيسية بخط مغربي رديء . تقع في أحد عشر سطرًا وتحتوي على ما يلي : [اللوحة 36].

1 ـ بسم الله الرحمن الرحيم/.

2 ـ قال تعال وتعاونوا على البر والتقوى[3] /.

3 ـ وقال صلّى الله عليه وسلّم من بنا مسجدًا/.

4 ـ لله بنا الله له قصرًا في الجنة / .

5 ـ [الصحيح .....]/.

6 ـ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله /.

7 ـ قد تم بناء المسجد على يد السيد / .

8 ـ محمد العيد بن محمد السوفي[4] /.

9 ـ القماري في شهر رجب الفرد / .

10 ـ عام 1239 من الهجرة النبوية / .

11 ـ على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم /.

---

[1] ـ بن عزوز : هو عالم متصوف عاش خلال الحكم العثماني بمنطقة الزاب، وقد خلف ابنه محمد بن عزوز مؤسس زاوية البرج، أنظر: أحمد بن داود : العقد الجوهري، د . ت . د . ص .

[2] ـ RECUEIL. Des Notices et mémoires de la société Archéologique du département de Constantine 1er Volume de la cinquième série, Année 1910, pp. 213 – 220.

[3] ـ الآية 02 من سورة المائدة .

[4] ـ محمد السوفي: هم اسم البناء الذي غير شكل الرباط من هيئته الدفاعية إلى مسجد، وهو محمد العبيد بن محمد السوفي وهم من أصل مدينة قمار بوادي سوف .

أ ـ الوصف العام : [المخطط 28] [اللوحة 37]

يأخذ رباط بن عزوز شكلاً منحرفًا . طول ضلع الجدار الشمالي 12,55 م، أما طول الجدار الجنوبي فيبلغ 14,20 م ، كما نجد أن الجدار الشرقي يصل إلى 12,15 م أما عرض جداره الغربي فيقدر بـ : 12,55 م .

ندخل الرباط بواسطة مدخل رئيسي يقع في منتصف الجدار الشمالي، أما المدخل الثاني الذي يقع في الركن الأيمن للجدار الشرقي والمقدر بـ 1,40 م فإنه قد بني ، للإشارة فإن تعدد الأبواب يرجع إلى أهمية الرباط ودوره من مدخلين إلى أربعة على غرار الأربطة الموجودة في العالم الإسلامي لأهميتها في الاتصال بين داخل المدينة وخارجها، وتكلم عن أهميتها عدد كبير من المؤرخين والجغرافيين من بينهم القزويني الذي جعل من تعدد الأبواب في ضرورة لتسهيل عملية ضبط نظام الدخول والخروج[1] .

أما عن زخرفة الرباط فإنها منعدمة في الداخل، ما عدا التي توجد في الواجهة الشمالية للقبة المركزية ((اللوحة) .

هذا ونجد تعدد الفتحات وهي مصممة على هيئة مزاغل في كل جدار ، وهذا يعود إلى طبيعة المبنى ووظيفته العسكرية[2]

يعتبر هذا الرباط من طرز الأربطة العثمانية التي ظهرت وانتشرت في الجزائر خلال مدة وجودهم.

[1] ـ زكريا بن محمد بن محمود القزويني : أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر بيروت ، 1380هـ، ص 08.

[2] ـ عثمان (كعاك) المرجع السابق، ص ص 74، 75.

ثانيا ـ الحصون :

مفرد حصن وهو كل مكان منيع لا يوصل إلى ما في جوفه[1]، وفقا لتقوية موقع ما وحمايته من الهجمات المعادية وهناك نوعان من الحصون:

أولاً: حصن دائم أو ثابت وغالبًا ما بين في وقت السلم، ويحتوي على الأسوار والمداخل والأبراج والمزاغل والممرات الخارجية والخنادق.

ثانيًا: الحصون الميدانية، وتقام حين يكون هناك اشتباك مع القوات المعادية أو حين يكون توقع وجود اشتباك[2].

وهناك سببان رئيسيين لإقامة الحصون:

1 ـ الاستفادة من قوة الوحدة المتمركزة في الموقع المحصن إلى أقصى حد ممكن.

2 ـ منع العدو من الاستفادة من إمكاناته لإحراز أي توقف وقد اهتم أهالي منطقة الزاب بجانب الحماية والدفاع عن أنفسهم وممتلكاتهم نتيجة الأحداث السياسية المضطربة ويتجلى هذا الاهتمام في وجود مجموعة من الحصون الدفاعية وهنا سنقوم بجرد هذه الحصون:

[1] ـ علي نصير دكار، المعاني اللغوية لبدة حصن وأحواضها، مجلة الأنباء، العدد 11، 1991، ص17.

[2] ـ الأيوبي مقدم الهيثم، موضوع التحصينات العسكرية، الطبعة الأولى، مطبعة التوسط، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت 1977، ج1، ص ص 256، 257.

1 ـ حصن ليشانة[1]:

يقع هذا الحصن على بعد حوالي 36 كلم غرب مدينة بسكرة وذلك وفقا للإحداثيات التالية (س،ع) = 749 ـ 161 ، الخريطة رقم (32) الصورة الجوية رقم (30) .

لم تشر إليه كتب الرحالة والجغرافيين لكن ورد ذكره عند الباحث كاميزا حيث يقول: ((... يوجد حصن في قرية لشانة حيث عثر على بقايا أحجار كانت مستعملة في هذا الحصن...)[2].

وهذا ما يدعمه البكر في وصفه لمدينة طولقة حيث يقول: ((... طولقة من بلاد الجريد ... وهي ثلاث مدن (البرج ، مليلي ، بنطيوس) .كلها عليها أسوار وخنادق ...))[3] .

أما عن تاريخ بنائه فلا يمكننا تحديده، لكن من المرجح أنه بني خلال حكم بني رومان في منطقة الزاب، أي خلال القرن الثالث هجري، حيث شهدت المنطقة صراعات بين القبائل من جهة وبين الفاطميين من جهة أخرى .

*** الوصف العام :**

لم يبق من هذا الحصن أي أثر يذكر أو يدرس .

---

[1] ـ ليشانة: قرية من قرى مدينة طولقة، وقد سميت بهذا الاسم إبان الاحتلال الفرنسي نسبة إلى حاكم المنطقة آنذاك.

[2] ـ P.L. CHMBUZAT. Op.cit.p 380.

[3] ـ البكري (أبو عبد الله) : المصدر السابق، ص ص، 52 ـ 53.

2 ـ حصن أوماش[1]:

يقع جنوب غرب ولاية بسكرة على مسافة 22 كلم وذلك وفقا للإحداثيات (س، ع) = 774 ـ 160 ، الخريطة رقم (33) الصورة الجوية رقم (31) .

وقد ورد ذكره عند ابن خلدون وهذا عند ذكره الخبر عن بني مزني أمراء بسكرة بقوله: ((...ورحل بن أحمد من بسكرة وصار مع ابن مزني إلى الاتفاق والمهادنة أعوام الأربعين من المائة الثامنة ...ثم ارتحل إلى الزاب في جنوده ومعه العرب من سُليم فأجفل بالزاب ونزل أوماش من قراه وكان بها حصن ن وفرت العرب من الذواودة وسائر رياح أمامه ودافعه يوسف بن مزني بهديته، دفعها إليه وهو بمكانه من أماش ...))[2] .

يتضح مما سبق ذكره أن هذا الحصن بني خلال أواخر حكم بني مزني لمنطقة الزاب حيث عمت الفوضى والانحطاط . وكثر الملوك وتزاحمهم وتحاربهم ووجدت الرعايا سبيلاً إلى الفوضى والولاة سبيلاً إلى الجور[3] .

*** الوصف العام :**

لم يبق من هذا الحصن أي أثر يذكر، حيث طمست معالمه بالمرة، وذلك راجع ربما إلى الفيضان الذي ضرب المنطقة[4] .

---

[1] ـ أوماش : قرية من قرى مدينة بسكرة وقد سكنتها قبائل العرب من الذواودة ، أنظر : ابن خلدون ، العبر، ج6، ص 516.

[2] ـ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6، ص ص 516 ـ 517.

[3] ـ M.G. de Vulpillieres, Monographie de BISKRA de du SAHARA. Constantinois. P.22

[4] ـ Sell (ST) .op.cit .F: 48 N° 56.

3 ـ الحصن العثماني[1]:

يقع في بسكرة القديمة غربًا وذلك وفقا للإحداثيات التالية (س،ع) = 777 ـ 176، الخريطة رقم (34) الصورة الجوية رقم (32) .

لقد ورد ذكره عند العياشي في رحلته بقوله : ((... إلاّ أنها ابتليت بالأتراك عليها وعساكر الأعراب، يتولى عليها هؤلاء ثارة وهؤلاء تارة إلى بنى الترك عليها حصنًا حصينًا على رأس الماء الذي يأتي إليها فتملكوا البلاد وضروا بأهلها وأجحفوا بهم في الخراج ...))[2] .

أما الورتلاني فيشير إلى وجود حصنين أحدهما داخل المدينة والثاني خارجها حيث يقول: ((... وفيها حصنان للترك (بسكرة القديمة)، عامران أحدهما في البلد والآخر خارجها...))[3] .

أما ستفان قزال فأشار إليه في أطلسه بقوله : ((... في بسكرة القديمة يوجد حصن عثماني، إذ توجد جدران بحجارة مصقولة وأعمدة ...))[4].

من خلال ما سبق ذكره نرجح أن هذا الحصن بني خلال القرن العاشر هجري وبالضبط في أيام صالح راسي حيث نجد أن المدينة خضعت لنظام الجزائر سنة 1552 [5].

ونتيجة للحروب والصراعات التي كانت قائمة بين الأعراب من جهة وأهالي المنطقة من جهة أخرى. اهتدى الأتراك إلى بناء الحصن المنيع وذلك عند منبع المياه التي تزود أهالي المنطقة آنذاك ، فملكوا البلاد وأجحفوا بهم في الخراج ولم يقدروا على الخروج عليهم لتمكنهم من الماء .

*** الوصف العام :**

لم يبق من هذا الحصن سوى بعض الحجارة وأعمدة منتشرة هنا وهناك . ويرجع سبب تهديم هذا الحصن إلى الحقبة الاستعمارية الفرنسية في 04 مارس 1844 حيث شيدوا حصنًا في ذلك المكان واتخذوا منها مركزًا عسكريًا دفاعيًا وأخضعوها للحكم العسكري المباشر[6] .

---

[1] ـ نسبة على الدولة العثمانية التي حكمت منطقة الزاب ابتداء من سنة 1541م إلى 1844م، أي مدة ثلاثة قرون .

[2] ـ العياشي (أبي سالم) المصدر السابق، د.ص.

[3] ـ الورتلاني (حسن بن محمد)، المصدر السابق، ص 87.

[4] ـ GSell (ST) .op.cit .F: 48 N° 10

[5] ـ J. Maguelonne. Monographie Géographique et Historique de la Tribu des Ziban R.C.01er.v 1910 . pp.240 J 242.

[6] ـ J. Maguelonne op.cit .pp. 262 – 263.

4 ـ حصن شتمة :

يقع شرق ولاية بسكرة بحوالي 8 كلم وذلك وفقا للإحداثيات (س،ع) = 784 ـ 177. الخريطة رقم (35) ،الصورة الجوية رقم (33).

لم تشر كتب الرحالة والجغرافيين لهذا الحصن إلاّ ذكره لبعض الباحثين . بحيث ذكروا أن هذا الحصن قد شيد فوق هضبة كان محاط بأسوار عالية تتخلله فتحات[1] . وقد ساعدتها تحصيناتها على إبعاد التدخل العثماني[2] .

أما عن تاريخ تأسيسه فمن المرجح أن بني خلال القرن العاشر هجري أي أثناء الحكم العثماني بمنطقة الزيبان .

*** الوصف العام :**

لم يبق من هذا الحصن أي أثر يستوجب دراسته وقد طمست معالمه بالمرة .

[1] ـ Alronne (Clement); L'Algérie Frnande Wathan Edition paris . (S D). Pp. 220 – 221.

[2] ـ سجلات الأرشيف الوطني الجزائري ، مجموعات البايليك وبيت المال والوثائق الشرعية رقم 12 . قسنطينة .د.ص.

5 ـ حصن أولاد جلال :

يقع هذا الحصن في مدينة أولاد جلال والتي تبعد بحوالي 100 كلم جنوب غرب مدينة بسكرة ، وبالتحديد في نقطة تقاطع خطي الطور والعرض (س، ع)= 718 ـ 128 الخريطة رقم (36) الصورة الجوية رقم (34) .

لم يرد ذكر هذا الحصن في المصادر التاريخية والجغرافية بالرغم من أن المنطقة[1] ، كانت مركز عبور القوافل التجارية من جهة ، وبصفتها معبرا للحجاج من جهة أخرى، وقد ورد ذكره عند بعض المؤلفين في الحديث عن الغزوات والأساليب التي كانت القبائل تتبعها في تحصين المداشر والقرى، فالباحث (Le Tbilleu) يقول : ((... في الجزء الشرقي من المدينة القديمة لأولاد جلال كان يوجد حصن منيع به أربعة أبراج ... وذلك من أجل حماية المدينة من أي تدخل ...))[2] .

وهذا ما يدعمه العياشي في رحلته بقوله : ((... وقرية أولاد جلال من أكبر قرى الزاب وهي قرية جامعة ... وهم في قوة ومنعة من العرب ...))[3] .

أما (ستيفان قزال) (Gsell) في أطلسه فإنه أشار إليه بقوله : ((... يوجد بأولاد جلال بقايا لحصن ربما يكون من المخلفات الرومانية للمنطقة ، بحيث كان يحتوي على أربعة أبراج مربعة الشكل بالإضافة إلى وجود أربعة أبواب في منتصف كل سور من أسوار الحصن ...))[4] .

من خلال ما سبق ذكره يتضح لنا أن هذا الحصن كان قد استعمله أهالي المنطقة من أجل حمايتهم والدفاع عن أنفسهم وممتلكاتهم نتيجة للأحداث السياسية المضطربة التي مست منطقة الزاب خاصة خلال القرن العاشر هجري[5] .

*** الوصف العام :**

لم يبق من هذا الحصن أي أثر ما عدا بعض الحجارة التي كانت مستعملة في البناء، لكن عند رجوعنا إلى (ستفان قزال) (Gsell) في أطلسه[6] يمكن أن نصف هذا الحصن بالشكل الافتراضي، فهو يأخذ شكلاً مستطيلاً ، تمتد على أجزاء الأسوار أربعة أبراج مربعة، والتي تعتبر من الأجزاء الأساسية المكونة للسور تغطيه شكلا مسننا تكثر فيه الزوايا والانكسارات، وقد احتوى الحصن على أربعة مداخل موزعة في منتصف كل سور. أما الأسوار والتي تعد من العناصر الأساسية التي تشكل الهيكل المادي العام للحصن فنجد سورين وذلك من أجل تدعيم الأمن له.

---

[1] ـ أنظر رحلة العياشي : ماء الموائد : المصدر السابق، ورقة 416.

[2] ـ Le Thilleux (J.) Owargla . cité Saharienne libiraire Quentaliste. Paul G .euthne, 1983, p.115.

[3] ـ العياشي (أبي سالم)، المصدر السابق، ورقة 416.

[4] ـ Gsell (S.T), op.cit. F° 48. n° 65.

[5] ـ J. Maguelonne R.C . op.cit .. p. 263.

[6] ـ Gsell (S.T), op.cit. F° 48. n° 65.

6 ـ حصن السطحة[1] :

يقع هذا الحصن في خنقة سيدي ناجي والتي تبعد بحوالي 102 كلم شرق مدينة بسكرة وذلك وفقا للإحداثيات (س،ع) = 292 ـ 3849 ، الخريطة رقم (37) الصورة الجوية رقم (35) .

لقد قام أحمد بن ناصر بن محمد بن محمد الطيب خلال سنة 1175هـ [2] ببناء حصن عسكري وهو قريب من الخنقة لحمايتها من أي اعتداء أجنبي[3] .

*** الوصف العام :**

لقد هدم هذا الحصن أثناء قيام باي قسنطينة أحمد بن علي المسمى (القبلي) بمهاجمة الخنقة حيث الحق بها خسائر فادحة وكان ذلك سنة 1794م / 1210 هـ[4] .

وقد بني برجًا مكانه إبان الاحتلال الفرنسي للمنطقة سنة 1854 ، وقد هدم هذا الأخير لأسباب نجهلها .

[1] ـ السطحة نسبة على علو المكان المقام الحصن وهو حي من أحياء الخنقة .

[2] ـ محمد الموهوب بن عبد المجيد الموهوب، تعريف إنشاء عمارة الخنقة، مخطوط عائلي، 1982.

[3] ـ خاصة وأن حروبًا طويلة كانت قائمة بين الخنقة وسكان ليانة وكذلك بينهما وبين قبيلة الشابية .

[4] ـ محمد الموهوب بن عبد المجيد الموهوب ، المصدر السابق، ص 20.

ثالثا ـ التحصينات الدفاعية (المرافق ذات الغرض الدفاعي) :

اهتمت الأمم والمجتمعات البشرية منذ القديم على أن توفر لنفسها جانبا هامًا في حياتها، المتمثلة في الأمن والاستقرار والذي بدورهما لا يمكن لأي مجتمع أن ينمو أو يتطور أو ينعم بحياة الهدوء، وبعدما أدرك الإنسان ما لهذا الجانب من أهمية زود مجتمعاته من مدينة وقرية بوسائل تضمن له حدًّا أدنى من الأمن والاستقرار. وقد ذكر ابن خلدون أنه لما كانت المدينة للقرار والمأوى : ((... وجب أن يراعي فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها ـ وجلب المنافع ـ وتسهيل المرافق لها، فأما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدرأ على منازلها جميعًا سياج الأسوار وأن يكون وضع ذلك في مجتمع من الأمكنة إما على هضبة متوعرة من الجبل وإما باستدارة بحر أو نهر بها ...))[1] .

وفي منطقة الزاب كانت مدنها محاطة بالأسوار المدعمة بأبراج المراقبة والدفاع والخنادق[2] .

بعد أن يختار لها موقفًا استراتيجيًا يسهل من عملية الرد على أي هجوم خارجي وتتمثل هذه التحصينات فيما يلي :

[1] ـ ابن خلدون (عبد الرحمان) ، المصدر السابق، ج1 (المقدمة) ص، 617.

[2] ـ اليسيف (نيكيتا) المدينة الإسلامية ، التخطيط المادي ، ترجمة أحمد تغلب . السيكومور ، فجر اليونسكو، 1983، ص 97.

1 ـ الخنـدق : [المخطط 29]

هو أحد أساليب تحكيم الأرض ويكون محفورًا في الأرض بأعماق متفاوتة ، ولتأمين حماية المقاتلين من أنظار العدو وتأمين ظروف أفضل للرمي ورصد الحركة[1] ، كما يعد الخندق من الوسائل الدفاعية القديمة وهو شكل من أشكال الدفاع السلبي[2] . استخدم منذ القديم لحماية الحصون والمدن والمعسكرات ثم تطورت فكرة الخندق وأصبحت جزءًا من الفن العسكري[3] .

وقد عرفت هذه الوسيلة في منطقة الزاب خاصة التي توجد مواقع منبسطة مثل :

أ ـ مدينة بسكرة القديمة :

نجد أن معالم الخندق لم تبق واضحة واندثرت بالمرة ، ومما يدعم وجوده نذكر البكري الذي وصفه في القرن 5هـ/ 11م بقوله : ((... وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة ... وهي مدينة كبيرة عليها خندق ...)) [4] .

أما العياشي فيصف تحصينها خلال القرن 10 هـ، بقوله : ((... وبالجملة ما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقًا وغربًا أحسن منها ولا أحصن من أسوار وخنادق ...))[5] .

ب ـ مدينة طولقة :

لقد كانت الخنادق تحيط بكل المدينة كما ذكرها البكري بقوله : ((... طولقة من بلاد الجريد وهي ثلاث مدن ... كلها عليها أسوار وخنادق ...)) .

جـ ـ مدينة أولاد جلال القديمة :

لقد كانت قصبة أولاد جلال محاطة بخندق حفر حول المدينة من أجل حمايتها من غارات القبائل المعادية لها وهذا ما يوضحه لنا ستيفان قزال في أطلسه بقوله : ((... ويحي بالقصبة خندق كبير لحمايتها من تدخل الأعراب ...))[6] .

من خلال ما سبق ذكره يتضح لنا جليًا أن منطقة الزاب كانت قد استعملت هذا الحاجز الدفاعي بكثرة، لكن للأسف الشديد لم يبق منه أي أثر يستوجب دراسته في مجال بحثنا هذا .

---

[1] ـ رعد سعيد محمد ، الموسوعة العسكرية ، مقال الخندق ، ج 2. دمشق ، 1985، ص، 137.

[2] ـ عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة سلسلة كتاب الثقافة، الكويت ، 1988، ص 141.

[3] ـ رعد سعيد محمد ، مقال الخندق، المرجع السابق، ص 172.

[4] ـ البكري (أبو عبد الله) المصدر السابق، ص 52.

[5] ـ العياشي (أبي سالم)، المصدر السابق، د . ص .

[6] ـ Gsell (S.T), op.cit. F° 48. n° 65.

2 ـ الأســـــوار :

السور هو نوع من التحصينات الدافعية يلي الخندق يأخذ شكل حاجز ترابي أو خشبي أو حجري يحيط بالمدينة أو الحصن[1] . وقد استخدم السور للتحكم في عملية الدخول إلى الموقع أو المدينة، ولقد عرف السور منذ القدم بشكله الميداني والثابت أو الدائم وكان السور الميداني يقام على عجل في زمن الحرب ، أما الأسوار الثابتة فكانت تقام في زمن السلم وهي أقوى من الأسوار الميدانية[2] .

وقد أخذت الأسوار عبر التاريخ أشكالاً مختلفة منها المستطيلة ، والبيضوية، كما أن هناك أسوار مزدوجة، وأسوار عضوية تشكل جزء من بنية القصر أو القرية المحصنة.

ونظرًا لأهميتها الحربية التي يتمتع بها السور فقد قام المهندسون والبناؤون بتطويرها وزيادة ارتفاعها وسماكتها، وتحسين أشكال فتحات الرماية ،كما ابتكر المسلمون نظامًا جديدًا في بنائها حيث أكثروا من الزوايا الداخلية والخارجية وكأنه عبارة عن خطوط منعرجة منكسرة وتكمن ميزة هذا النظام في أنه يسمح للمسلمين لفتك أعدائهم من أعلى الأسوار عندما يتقدمون داخل إحدى الزوايا[3] .

لقد كانت الأسوار من العناصر التي تشكل الهيكل المادي العام لمدينة الزاب وعليه من الأولويات التي روعيت في تخطيط منطقة الزاب عمومًا ومدينة بسكرة خصوصًا . لما توفره من أمن لسكانها، ومما يدعم هذا الكلام. ابن حوقل حيث يقول: ((... ومن بسكرة إلى تهودة... وهي مدينة مسورة عليها خنادق...))[4] .

أما ياقوت الحموي فيقول: ((... بسكرة بكسر الكاف وراء بلدة بالمغرب من نواحي الزاب... وهي مدينة مسورة...))[5].

ويجدر بنا القول أنه رغم إسهاب الرحالة والجغرافيين في وصف مدينة بسكرة ومنطقة الزاب عمومًا، خاصة المرافق ذات الغرض الدفاعي، إلاّ أن المعطيات الأثرية واليت تعود إلى الحقبة الإسلامية ضئيلة جدًا وتكاد تكون منعدمة ، مما أنقص الجانب العلمي لهذا الموضوع. مما يتطلب التدخل من أجل برمجة حفرية علمية، تمدنا بنتائج جديدة. تكون نواة للباحث الأثري، وإعادة تصور هذه الأسوار وبناءها من جديد.

---

[1] ـ الأيوبي مقدم هيثم ، مقال الأسوار ، الموسوعة العسكرية، الطبعة 02، دار الفارس للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية ، بيروت، 1990، ج4، ص 458.

[2] ـ الأيوبي مقدم هيثم ، نفس المرجع، ص 459.

[3] ـ سالم السيد عبد العزيز : بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار،ج2،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1979، ص 22.

[4] ـ ابن حوقل ، المصدر السابق، ص 98.

[5] ـ ياقوت الحموي المصدر السابق، ص 625.

د ـ الأبراج : [المخطط 30]

تعتبر الأبراج جزء قوي من التحصينات المعدّة للدفاع، ولتنفيذ الرمايات، لقد وجدت الأبراج على مقدمة من مجنبات التحصينات والأسوار، منذ العصور القديمة وهي تعد من الأبنية الدفاعية التدعيمية التي أقامها المسلمون منذ العصور الأولى التي تلت الفتح حرصًا منهم على صيانة أرواح المسلمين وممتلكاتهم[1].

وتعتبر الأبراج من الأجزاء الأساسية المكونة للسور تعطيه شكلاً مسننًا تكثر فيه الزوايا والانكسارات .

ينقسم البرج إلى قسمين ، طابق سفلي وعلوي، وقد تعددت أشكال الأبراج منها : المربعة والمستطيلة أو الدائرية أو شبه دائرية، ومتعددة الأضلاع[2] .

نتيجة لتعرض أبراج منطقة الزيبان للزوال وذلك راجع للمادة البنائية المستعملة أو التخريب والتهديم، فإننا لا يمكن أن نقوم بعملية الفحص المعماري لها ودراستها أثريًا .

[1] ـ الأيوبي (مقدم هيثم)، مقال البرج، المرجع السابق، ج1 ، ص 176.
[2] نـ فسه ، ص 177.

خلاصة الفصل :

من خلال قيامنا بجرد المعالم والمواقع الأثرية للعمارة العسكرية الإسلامية، توصلت لعدة نتائج أهمها :

1 ـ بناء الحصون والأربطة لم يكن عفويًا فكان مستمدًا من شروط أملتها الطبيعة وظروف الحياة، حيث كانت الأوضاع السياسية التي أعقبت الفتح الإسلامي لمنطقة الزاب ... من تعاقب الحكومات المختلفة وتناحر القبائل على السلطة، واجتياح قبائل بن هلال، وثورة ابن غانية والفتن التي أنهكت أهال المنطقة، كل ذلك كان دافعًا لاختيار أماكن دفاعية .

2 ـ وجود الأربطة دلالة على انتشار المذاهب والتيارات الفكرية بمنطقة الزاب، فهي تجمع بين العبادة والحرب . مثل رباط عزوز ورباط سعادة.

3 ـ قلة الشواهد الأثرية وانعدامها خاصة المرافق ذات الغرض الدفاعي والمتمثلة في (الخندق ، الأسوار، الأبراج) مما جعل موضوع بحثنا هذا مبتور .

4 ـ استعمال مواد البناء والتقنيات المعروفة في أغلب الأقطار الإسلامية من طين وحجارة وجذوع النخيل . فجاء البناء المعماري يعبر عن تقاليد وعادات اتسمت بها منطقة الزاب مطبولة بطابع إسلامي .

قائمة إحصائية للمرافق والمعالم الأثرية العسكرية الإسلامية لمنطقة الزاب (بسكرة)

التسلسل	اسم الموقع أو المعلم	الموقع الجغرافي	الاحداثيات (س ع)	وظيفته وطبيعته
01	رباط سعادة	قرية فرفار بطولقة	748 ـ 162	دينية عسكرية (آثار)
02	رباط عزوز	برج بن عزوز	744 ـ 158	دينية عسكرية (آثار
03	حصن ليشانة	بلدية ليشانة	749 ـ 163	دينية عسكرية (آثار
04	حصن أوماش	بلدية أوماش	774 ـ 160	دينية عسكرية (آثار
05	الحصن العثماني	بسكرة القديمة	777 ـ 176	دينية عسكرية (آثار
06	حصن شتمة	شتمة	784 ـ 177	دينية عسكرية (آثار
07	حصن أولاد جلال	أولاد جلال	718 ـ 128	دينية عسكرية (آثار
08	حصن السطحة	خنقة سيدي ناجي	292 ـ 3849	دينية عسكرية (آثار

الفصل الرابع

جرد المرافق العامة في العهد الإسلامي

* تمهيـد .

أولا :شبكة المواصلات .

ثانيا : الأسواق .

ثالثا : الوكالات التجارية .

رابعا : الحمامات .

خامسا : دار الضرب .

خلاصة الفصل.

تمهيـد :

سبق لنا أن أشرنا إلى أن بسكرة كانت همزة وصل بين بلاد المغرب والسودان الغربي لاسيما طريق إقليم توات المحملة بأنواع السلع التي كانت تحط الرحال في الوكالات التجارية وأسواق وحوانيت المدينة التي ساهمت بشكل كبير في ازدهار اقتصاد المنطقة ، الأمر الذي جعلها أيضًا قطبًا اقتصاديا نشط الحركة التجارية في الحواضر المغربية ، وقد أدى هذا كله إلى إحداث تطور عمراني من إنشاء الخانات والفنادق والحمامات العامة التي أصبحت أكثر من ضرورة أملتها الظروف المختلفة التي عرفتها المنطقة خلال العصر الإسلامي وفقا لما ذكره المؤرخون وبعض الجغرافيين والرحالة كما قدمناه .

ويلاحظ أن شبكة المواصلات بمنطقة الزاب تشكل إحدى الدلالات الاقتصادية والاجتماعية التي لا يمكن الإلمام بأوضاعها الداخلية دون التعرف عليها فهي التي تحدد طبيعة التنظيمات الاقتصادية والإدارية وتتحكم في التبادل التجاري والاتصال بين الشمال والجنوب، إن الاعتبارات الأمنية والضرورة الاقتصادية والمتطلبات الإدارية هي التي فرضت على حكام المنطقة المحافظة على شبكة المواصلات في العهد الإسلامي والعمل على تطويرها لتتماشى والأوضاع الاقتصادية والنشاط البشري للمنطقة.

وسنتطرق في هذا إلى جرد المعالم السالفة الذكر .

أولا : شبكة المواصلات[1] : [خريطة 38]

لقد كانت الطرق التجارية الكبرى تتحاشى العروق الرملية الكبرى مثل العرق الغربي الكبير أو العرق الشرقي الكبير، تتحاشى المتهات الكبرى مثل سطوح هضبة تادميت في تتابع أماكن وجود الأودية وتجمع المياه وتجعل من الواحات الكبرى والصغيرة أماكن للراحة وتبادل السلع، وكانت منطقة الزاب واحة تجمع هذه الخصائص الكبرى وكانت القوافل الآتية من الجنوب وهي تتبع غدران مياه نهو جدي تجد نفسها حتمًا أمام واحات بسكرة الغنية بمياهها وأبارها وينابيعها الفوارة ونستدل بقول البكري حيث وصفها في القرن الرابع هجري بقوله : ((... وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة ... وداخل المدينة جنان يدخل إليه الماء من النهر ...))[2].

وكانت هذه الحركة الدؤوب من هنا وهناك عاملاً مثيرًا لسكانها كي ينشطوا في شتى مجالات الاقتصاد خاصة التجارة فظهر ذلك جليًا على أهلها فبنوا ... القصور وشقوا التراع والسواقي واستحدثوا أسواقًا لتجارتهم الدائمة . مثل التمور والزيتون والملح ، وشتى أنواع الحبوب والكتان .

قبل الحديث على الطرقات التي شكلتها القوافل التجارية لابد أن نتكلم عن مختلف المواد المتجر فيها وللعلم أن منطقة الزاب كانت تشتمل على جميع هذه المواد، التي كانت تمثل أهم صادرات منطقة الزاب خلال العهد الإسلامي .

1 ـ الحبوب : وكانت القوافل تشحنها من سهول الفيض الواقعة عند مصب وادي العرب[3] وهي من أكبر المناطق المنتجة للقمح والشعير والفول والحمص [4] ،وهو ما نستدله من رحلة العياشي خلال القرن العاشر هجري عند وصفه للمدينة حيث يقول : ((... قد جمعت بين التل والصحراء ذات نخيل كثير وزرع كثيف ... وأرجاء متعددة تطحن بالماء ...))[5] .

2 ـ الزيتون : وكان أجودها في نواحي بسكرة : الخنقة . زريبة حامد، الدوسن ، ونظرًا لبعد المسافة وما يترتب عن ذلك من مصاريف فإن زيت الزيتون يباع في إفريقية بأثمان لا تطاق[6] .

---

[1] ـ هي مجموعة من الطرق التجارية التي تصل المدن الداخلية والخارجية وبفضلها يمكن التحكم في الأوضاع الاقتصادية وتنظيمها أنظر : بوعزيز يحي : طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون ن خلال القرن التاسع عشر ، مجلة الثقافة، الجزائر عدد 59/ 1980 ، ص ص 13 ـ 30.

[2] ـ البكري ، المصدر السابق، ص 51.

[3] ـ ينبع في جبال الأوراس من قمم شلية (الخنقة)، يسقي بساتين خنقة سيدي ناجي ، وزريبة الوادي ثم ينظم إلى وادي جدي في سهول الفيض .

[4] ـ Carette (E) La caravane vere la mecqué in annaire de voyage . année 1854. p.49.

[5] ـ العياشي ،المصدر السابق، ص 416.

[6] ـ DAUMASE (E), La grande désert ou interaire d'une Caravane , du Sahara ou paye des Negerés Paris . 1849 . p 211

.

وقد تكلم العياشي في رحلته ماء الموائد عن هذه الثروة في قوله : ((...وزيتون ناعم... وبالجملة ما رأيت في البلاد سلعتها شرقًا وغربًا أحسن منها ...))[1] .

جـ ـ التمور : لقد كانت منطقة الزاب تزخر بأجود أنواع التمور ، بحيث تحمل كميات كبيرة إلى بلاد السودان . ولقد جنس من التمور اسمه اللبياري ، بيض أملس . كان عبد الله الشيعي يأمر عماله بالمنع من بيعه والتحظير عليه ويعيش ما هنالك منه ن وقد كانت منطقة الزاب تعرف بسكرة النخيل[2] . وقد ذكره البكري بقوله : ((... وهي مدينة كبيرة كثيرة النخيل ... وهي في غابة كبيرة مقدارها ستة أميال فيها أجناس التمور منها جنس يعرفونه بالكبياري وهو الصيحافي يضرب به المثل لفضله على غيره...))[3] .

د ـ الأقمشة الصوفية والكتان : وهي من أهم مصادر الثورة في منطقة الزاب، تصنع منها البرانس والقنادر والحنابل وغيرها من الألبسة والأغطية التي تبعا بكثرة في سائر أسواق السودان[4] . ويقول العياشي في هذا الصدد: ((... وبها كتان جيد ...))[5] .

هـ ـ الملح : لقد كان بمنطقة الزيبان جبل من الملح وقد كانت تجارته رائجة في العهود القديمة والوسطى لكونه ضروري ، وقد كان يستبدل بالذهب ، من السودان نظرا لندرته هناك[6] .

ونظرًا لأهميته فقد ذكره الرحالة والجغرافيين فهذا البكري يقول: ((... وبها جب يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ، ومنه عبيه الله الشيعي وبنوه يستعلمون في طعامهم ...))[7].

أما ياقوت الحموي فيقول: ((... بسكرة بفتح أوله وكافه ... بهما جبل ملح يقطع منه الصخر ...)).

من خلال ما سبق ذكره يتضح لنا جليا أن إقليم الزاب كان همزة وصل بين العواصم الإسلامية ورافدًا تجاريًا مهمًا لا يقل أهمية عن الحواضر الأخرى، فهو يربط أغلب الجهات ، وتضمن الانتقال للأشخاص والقوافل وتساهم في تصريف المنتوجات الفلاحية وإيصال الحاجات المعاشة للسكان .. ومهما يكن فإننا سنكتفي في هذا العرض بتحديد شبكة المواصلات أثناء العهد العثماني ، وضبط اتجاهاتها. والجدير بالذكر أنه يمكن القول بأن طرق المواصلات التجارية بالمنطقة طيلة العهد العثماني ظلت على ما كانت عليه في أواخر العصر الإسلامي من حيث الوسائل المستخدمة أو المسالك المستعملة، وقد اعتمدنا

---

[1] ـ العياشي ،المصدر السابق، ص 411.

[2] ـ البكري ، المصدر السابق، ص 52.

[3] ـ نفسه ، ص 52.

[4] ـ Prax : M. Commerce de l'Algérie Avec ma Mecque et le Soudan, Rouvier. Paris . 1849. p .27

[5] ـ العياشي، المصدر السابق، ص 416.

[6] ـ بوعزيز، المرجع السابق، عدد 1980/59، ص 29.

[7] ـ البكري ، المصدر السابق، ص 53.

ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 422.

على المعلومات التي توفرها لنا الكتب الأجنبية، وبعض أوصاف الرحالة المسلمين التي هي عبارة عن إشارات مقتضبة لا تساعد الباحث على الانتفاع بها إلا بعد اخضاعها لدراسة مركزة مقارنة ولعل أهمها ما سجله الشيخ الحسين الورتلاني في القرن السابع عشر الميلادي على مشاهدته في رحلته إلى الحج من موطنه بن ورتيلان – 1765 ـ 1767) وما قيده العياشي بتاريخ (1681م) في رحلته (ماء الوائد) وفي دليله المختصر الذي وصفه للحاج المغربي والذي قدمه لقاضي فاس الجديد سيدي أبي العياش أحمد بن سعيد ، هذا دون أن نهمل ما أوراده كل من حسن الوزان (1537م) وأبو رايس الناصري1823م . من إشارات تتصل بالمواصلات ومحاطات الطرق من خلال المعلومات التي تضمنتها هذه المصادر يمكن تصنيف الطرق على ما يلي :

*** الطرق الرئيسية الواصلة بين مناطق الشمال " التل " وجهات الجنوب " الصحراء" :**

يمكن التعرف على الخطوط العامة لهذه الطرق الرأسية بتحديد خط السير من مراكز الشمال إلى محطات الجنوب عبر ثلاثة محاور : المحور الشرقي بين قسنطينة وزمورة وبين بسكرة، والمحور الأوسط بين الجزائر والمدية وبين الأغواط ووادي ميزاب، والمحور الغربي بين وهران ومعسكر وبين كل من عين ماضي وبشار .

*** المحور الأول** : [الخريطة 39]

1 ـ طريق قسنطينة ـ بسكرة : أهم محطاته بئر البقرات، سقان ، المشيرة ، مول الضباب، الزمول، باتنة، سهل القصور، الغنية، القنطرة، قلعة الحمام، الوطاية، بسكرة ومنها إلى توقرت وورقلة وسوف .

2 ـ طريق زمورة ـ بسكرة : يسلكه المسافرون من بلاد القبائل نحو جهات الزيبان والجريد ويمر على مواطن أولاد يحي ومحطات قصر الطير وأولاد موسى ووطن ريفة والولجة وجو طالب وبريكة وأولاد دراج ومدوكال .

*** المحور الثاني :**

1 ـ طريق الجزائر ـ المسيلة ـ بسكرة : يربط مناطق الزيبان والحضنة بالإقليم المركزي للجزائر، المعروف بدار السلطان .

من المسيلة يتوجه الطريق نحو بسكرة ويتفرع كذلك إلى مسلكين أحدهما ينحرف نحو الشرق فيمر عبر محطات : عين الكلبة ومدوكال وقلتة الحمام والوطاية، والثاني : يتوغل نحو الجنوب قبل أن يصل إلى بسكرة فيقطع وادي اللحم ويمر على بوسعادة والوادي المالح والهامل والهربة والدوسن وطولقة وللمزيد من الاطلاع أنظر :

ـ سعيدوني (ناصر الدين)، المسالك والدروب في الهضاب العليا القسنطينية ودورها الحضاري في الفترة الإسلامية وأثناء العهد العثماني، دراسة نشرت في كتاب دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، الجزائر 1988م، ص ص 67 ـ 98.

ـ بوعزيز (يحي) ، طريق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة الجزائر، عدد 1980/59، ص ص 13 ـ 30.

ـ أبو راس الناصري (محمد بن أحمد)، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوطة المكتبة الوطنية، الجزائر (رقم 1962) .

ثانيا : الأســـواق :

يجدر بنا قبل الخوض في سرد أسواق منطقة الزاب لابد من تعريف السوق وأنواعه ووظيفته .

فالسوق هو المجال الذي تجري فيه العملية التجارية وربما جاء كم كلمة " ساق " يسوق الحيوانات التي يريد بيعها ويقترب في اللفظ من الكلمة السامية الأكادية " سوقو " والتي تعني ضيق المساحة[1] وفي اللغة تعني مكانًا يتجمع فيه الناس في موسم معين لتبادل البضائع[2] وهو بهذا التفسير يعبر في نفس الوقت عن التبادل التجاري للبضائع والخدمات والمكان الذي تجري في هذه العملية[3] .

فأي مسار اجتمع فيه الناس، أصبح سوقًا وبالتالي مكان التجارة، ومن هنا نشأت السوق من فكرة التجمع التي تتيح الفرصة لعلمية البيع وأصبحت الأسواق تقام بصفة عادية ومستمرة للتبادل التجاري حيث يجدون الماء وحيث تقع على الطرق الرئيسية الرابطة بين القرى والمدن[4] .

ويعرفها ابن خلدون بأنها تشمل على حاجات الناس . فمنها الضروري وهي الأقوات من الحنطة وما في معناها كالباقلا والبصل وأشباهه ومنها الحاجي والكمالي مثل الفواكه والملابس والمراكب وسائر المصالح والمباني[5] .

ومع تحضر المدينة الإسلامية أصبح السوق يعني ذلك الحيز الذي تشغله عمليات التجارة في المدينة بكل أصنافها وأنواعها كما تدل أيضا على مجمل الأسواق في المدينة وفي أن من هذه الأسواق المختلفة وفقًا للسلع التي تتم تجارتها فيها[6]. وهذا يعني انه أصبح هيئة اقتصادية مفتوحة على صفين من الحوانيت والورشات على طور الشارع وكافية لتشكل سوقًا وتختص في بيع السلع المحلية وذات الاستهلاك الواسع كالمواد الغذائية والمواد الأولية التي تدخل في حيز الصناعات الموجودة بالمدينة[7].

---

[1] - NIZAMI K,A, Le « Suk » in £..I.T.1X.Nelle éd Brill. 1998. p.820.

[2] جرجي (زيدان)، تاريخ التمدن الإسلامي، المجلد 2، ك3، بيروت، 1967، ض 37.

[3] - NIZAMI . op.cit. p .821.

[4] ـ الخربوطي علي حسن، الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة، 1970، ص 184.

[5] ـ ابن خلدون، المقدمة، الجزء الأول، القسم الثاني، ص 239.

[6] ـ الرباط ناصر، مقدمة لتطور السوق بمدينة دمشق من القرن 7م حتى القرن 9م. الحوليات السورية، ص ص 75 ـ 76.

[7] ـ نقادي التصميم العمراني لمدينة تلمسان ودلالته الاجتماعية ، رسالة ماجستير، 1991، ص ص 44 ـ 45.

أما عن أنواعه فنجد :

1 ـ السوق الريفي : وتقد دائما خارج الأسوار ، لأن كثافة العمران تجعل من أقامتها داخل المدينة أمر صعب بالإضافة إلى النزعة الفطرية لدى أهل الريف إلى تشكيل أنماط حياتهم المألوفة مرة بعد مرة[1] .

2 ـ السوق الحضري : هو جهاز خاص للتجار والمصرفيين، وإطار مناسب لتجارة التجزئة، نجده عبارة عن شارع عادي تتفتح به الحوانيت على الجانبين ، وكل شارع يختص بنوع واحد من السلع أو مجموعة متجانسة من البضائع[2] فهو إذًا سوق ثابت ومستقر يبيع فيه أهل المدن وتخضع لصاحب السوق[3] .

وبما أن السوق هو مجموعة حوانيت لابد لنا أن نعرف هذه الهيئة الصغيرة التي يتكون منها :

ـ الحانوت : هو الخلية القاعدية للنشاط الاقتصادي. بما أنه موقوف للصناعة الجزئية الصغيرة ولتجارة التجزئة وله مصطلح آخر هو الدكان ولا يختلفان إلا في الحجم والوظيفة[4] .

ومن هذا المفهوم، يصبح السوق هو الشريان الرئيسي والحيوي لمنطقة الزاب خاصة والمدن الإسلامية عامة، يجلب إليها تقريبا كل النشاطات المربحة كالتجارة والحرفة بما أنه يجمع المعنيين . وها هنا سنتطرق إلى أهم الأسواق التي كانت في منطقة الزاب .

رغم إسهاب الرحالة والجغرافيين في وصف منطقة الزاب وما تحويه من زراعة وأصناف الثمار. وما كانت تقوم بتصديره إلى منطقة السودان إلاّ أنهم لم يذكروا أسواقها. إلاّ خلال القرن 12م عندما وصفها الإدريسي بقول: ((... ومن مدينة نقاوس إلى حصن بسكرة مرحلتان... وبه سوق وعمارة وفيه أيضا من التمر كل غريبة وطريفة ...))[5] .

أما في القرن 13م فنجد ياقوت الحموي في معجمه يؤكد وجود الأسواق بها وتعددها حيث يقول: ((... وهي مدينة مسورة ذات أسواق))[6] .

والجدير بالذكر أن أسواق منطقة الزاب لم تحدد معالمها إلا خلال القرن 15م أي بعدما احتلها الأتراك ، بحيث أدخل الجيش الإنكشاري فرق الحامية (النوبة)[7] والمؤلفة من 64 رجلاً موزعين حسبما

---

[1] ـ تغلب (أحمد محمد)، المدنية الإسلامية، اليونسكو، 1983، ص 112.

[2] ـ MAZEHARY (A). La Vie quotidienne des Musulmans ou Moyen age.X^e.XIII^e. 1951.p193

[3] ـ تغلب (أحمد محمد)، المرجع السابق، ص 113.

[4] ـ RAYMOND (A) Artisane et Commerçant du Caire au XVII^eme Siècle.2 Vols. Damas.1973. p.268.

[5] ـ الإدريسي(أبي عبد الله الشريف) ، المصدر السابق، ص 63.

[6] ـ ياقوت الحموي (شهاب الدين) ، المصدر السابق، ص 422.

[7] ـ A.M.G.H.227 .p.5.

جاء في دفتر التشريعات على أربع سفرات تضم على التوالي : 15 و 16 و17و16 رجلاً[1]. بحيث حرصوا على فرض الضرائب والتحكم في المراعي وتطوير المبادلات التجارية ، وتنظيم الأسواق في المنطقة[2] . ومن خلال المعلومات التي استقيناها سواء من المصادر العربية أو الأوروبية[3] . سنتطرق إلى أسواق وحوانيت المنطقة .

وتجدر الإشارة إلى أن تخطيط هذه الأسواق كان شبيها بالأسواق الإسلامية المبكرة عبارة عن فضاء لا بناء فيه ولا سقوف سوى ضلال جواري من الحصير كان يضعها الباعة لتظللهم في الأماكن الحارة وكانت تقوم على سنة المساجد ، كسوق المدينة الذي بناه الرسول صلّى الله عليم وسلّم ، على شكل ساحة أو فراغ من الأرض خالية من أي بناء ، ثم تطور في العصر الوسيط وأصبح يسمى الخان وهو ساحة مركزية يتجمع حولها عدد من الحوانيت تستند إلى الجدار الخارجي وتنفتح أبوابها على رواق ذي أعمدة مغطى وهو طراز الأقورا التقليدي[4].

[1] - As , Sahara Algérienne. Paris 1845 .pp. 134-135

[2] - الورتلاني، 1681م ، العياشي، 1767 ، حسن الوزان،1573، أبو راس الناصري، 1823.

[3] - TOLLOT (1723) – E CANETTE(1844) – PIESSE (1874).

[4] - تغلب (أحمد محمد) المرجع السابق، ص ص 115 ـ 116.

1 ـ سوق بسكرة القديمة :

ويقع في مدينة بسكرة القديمة أي العاصمة . وذلك وفقا للإحداثيات التالية (س،ع) = 775 ـ 178، (الخريطة رقم (40) الصورة الجوية رقم (36) .

لقد ذكره العياشي في رحلته بقوله : ((... وببسكرة سوق فيه شتى أنواع الفواكه والخضر والبقول وكثرة اللحوم والسمن فيه ...))[1].

وقد تكلم عنه رابح بونار عند نشره مخطوط " سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة " لمؤلفه ـ العنتري محمد الصالح ـ حيث يقول : ((... رغم ما تحويه منطقة الزاب في سوقها من حبوب وثمار وحرف... وتجار الجملة إلا أن المنطقة أصيبت بمجاعة...))[2] .

أ ـ الوصف العام للسوق:

لم يبق من هذا السوق أي صبغة أثرية بحيث حول لبناءات واستحدث سوق آخر خلال الفترة الاستعمارية، لكن عند عودتنا للمقال الموجود في (R.C) تحت عنوان منوغرافية بسكرة وصحراء قسنطينة[3] . نجد أن هذا السوق مغطى يقوم حول مبنى مربع ذو صحن مكشوف وهي منا يعبر عنها في المصادر العربية بالأسواق القائمة[4] ، وهي محلات كبيرة لتجارة الجملة، أي عبارة عن ساحات واسعة مربعة تحيطها أروقة مقببة، وبها عدد من المخازن والدكاكين وبما أنها مغطاة فهذا يعني استمرار نشاطها طول العام. إذ لا يعيق حر الشمس صيفًا ولا البرد شتاءًا حرك النشاط التجاري فيها .

[1] ـ العياشي (أبي سالم) المصدر السابق، ص 411.

[2] ـ رابح (بونار) مجاعة قسنطينة، الشركة الوطنية للنشر 1974، ص 76.

[3] ـ R.C. Monographie de BISKRA. Op.cit. pp. 27- 29.

[4] ـ زكي (محمد حسن) فنون الإسلام ، دار الرائد العربي، بيروت ، 1981، ص 28.

2 ـ رحبة أولاد جلال القديمة :

وهي تقد في مدينة أولاد جلال القديمة وذلك وفقا للإحداثيات (س،ع) = 718 ـ 128 ، الخريطة رقم (41) الصورة الجوية رقم (37) .

لقد كانت قرية أولاد جلال من أكبر قرى الزاب كما ذكره العياشي[1]. كما أنها كانت ضمن طرق القوافل التجارية التي تمر بالمنطقة ، مما سيؤدي حتما إلى وجود تبادل السلع هناك .

أ ـ الوصف العام :

لقد حولت هذه الرحبة إبان الاستقلال إلى بنايات وبالتالي حذفت من الوجود . لكن عند رجوعنا إلى المقال الموجود في منشورات قسنطينة والذي تحت عنوان " مونوغرافيا والجغرافيا والتاريخ لمنطقة الزيبان، حيث يصف هذه الرحبة خلال الحكم العثماني بالمنطقة بقوله : ((... وهي عبارة عن فراغات غير مبنية والتي كثيرًا ما أخذت اسم الرحبة في المدينة الإسلامية وتعددت وظائفها وتنوعت حسب الفصول وحسب أوقات اليوم وحسب المناسبات ، وتشكل جزءًا هامًا من المدينة لأنها المجال الملائم للقاءات والتبادلات الاقتصادية ، وهي الموضع الوحيد الذي تباع في الحبوب بكل أنواعها ومنها : القمح والشعير... وكانت تقام كل يوم ما عدا أيام العيد...))[2] .

[1] ـ العياشي (أبي سالم) ، المصدر السابق، ص 416.

[2] ـ R.C. Op.cit. pp. 281- 283.

3 ـ أسواق خنقة سيدي ناجي :

وكان يقع في المدينة القديمة للخنقة والتي سبق التعريف بها وهذا وفقا للإحداثيات (س، ع) = 292 ـ 3866 الخريطة رقم (42) الصورة الجوية رقم (38).

لقد كان حكم حسين الذي خلف والده أحمد بن ناصر سنة 1210هـ/ 1794م[1]، والذي عرفت باسمه الأسرة بعد ذلك ، حيث اتبع أعمال سلفه في ميدان العمران، بحيث أصبحت خلال نهاية العهد العثماني مركزًا عمرانيًا[2] واقتصاديًا مزدهرًا فقد اهتم بتخطيط وتشييد المباني وقسم المدينة إلى خمس حارات[3] سميت نسبة إلى بعض القبائل مثل حارة كرزدة . حارة لواتة ، حارة صدراته، بكل حارة مسجد وسوق ومحلات . تطورت بها مختلف الصناعات الصغيرة كصناعة المجوهرات ، الفضة، النحاس والعطور كما اختصت كل عائلة بنوع مميز من الحرف كالحدادة، صناعة الأجر، صناعة الأواني . وقد كانت كلها تعرض في أسواقها التي كانت تعج بالتجار .

أ ـ الوصف العام :

نظرًا للتغير الجذري التي عرفته المنطقة من تهيئة عمرانية فإننا لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نقوم بوصف هذه الأسواق رغم ازدهارها وتطورها في تلك الحقبة .

---

[1] ـ محمد الموهوب (بن عبد المجيد)، المصدر السابق، ورقة 19.

[2] ـ Abbas (S) L'oasis. de(Le.S.N) entre Mobilité spatiale et Conservation Architecturale- départ de Sociologie . universeli . de BISKRA) p.120.

[3] ـ محمد الموهوب ، المرجع السابق، ورقة 25.

4 ـ سوق رحبة القمح[1] في طولقة القديمة :

يقع في مدينة طولقة القديمة. وذلك وفقًا للإحداثيات (س،ع) = 746 ـ 161، الخريطة رقم (43) الصورة الجوية رقم (39) .

هو عبارة عن سوق ريفي خصصه السكان للتبادل التجاري لكنها منتظم على البنية المعمارية المعروفة وهي الشارع على هيئة رواق واحد اصطفت على جانبيه الحوانيت ذات حرفة واحدة وهي بيع القمح[2] .

*** الوصف العام :**

رغم بقاء هذا السوق على مر السنين إلاّ أنه تغير نهائيًا وأصبح عبارة عن رحبة ، في الهواء الطلق، حيث يأتي إليه الفلاحين لبيع منتوجاتهم الفلاحية، وهذا ابتداءًا من الصباح إلى المساء . ثم يأخذون بضاعتهم، لكون هذه الرحبة لا تحتوي حوانيت كما كانت عليه خلال أواخر الحكمخ العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

[1] ـ نسبة على بيع القمح وشرائه نقدًا أو مقايضة بسلع أخرى .

[2] ـ Victor Piquet (La Civilisations . de l'Afrique du Nord ; R.A. N° 02. Année 1857. p 276.

ثالثا ـ الوكالات التجارية :

الوكالة اسم الخان عند المصريين وسميت كذلك لأنها موضع التوكيل والوكلاء غالباً. ومن الشكل المعماري فالوكالة مثل الخانات والفنادق ، وهي المكان الذي كانت تجلب إليه البضائع المستوردة من خارج البلاد واليت يجلها الوكلاء بناءًا على توكيلات. ومنها توزع على باقي الأسواق[1] .

أما في اللغة الفارسية فهي الخان جمع خانات يقابلها بالعربية الحانوت أو الدكان، ثم توسع المفهوم وأطلق اسم الوكالة على مكان مبيت المسافرين[2] .

أما في الوقت الحالي فقد جمعت هذه المصطلحات " خان " " فندق " " وكالة" تحت مع واحد وذلك لتشابهم من حيث الوظيفة والمعنى[3] .

وحسب ثروت عكاشة في كتابه " القيم الجمالية في العمارة الإسلامية " أن الوكالات القائمة وسط المدن كانت تقدم خدماتها بأجر، معنى ذلك أنها ذات طابع تجاري خالص، أم الوكالات المبنية في طرق الصحراء أو بين المدن كانت محطات لتوقف القوافل تقدم خدماتها بلا مقابل وتختلف الوكالات والخانات في تصميم البناء والزخرفة[4] .

لقد كانت منطقة الزاب بفضل موقعها الاستراتيجي ، والمتمثل في كثرة الطرق التجارية، وكثرة السلع المعروضة داخل أسواق منطقة الزاب، كما سبق ذكره وطرق الحج الذي كان ممرًا بها خاصة الآتية من مدينة ورقلة[5] وبلاد السودان بالإضافة إلى الظروف الصعبة والتضاريس الطبيعية الوعرة كان يستلزم على هؤلاء التجار والحجاج الوقوف بأماكن للراحة خارج القصور. لذلك أنشأت القباب وكالات الأرياف لضمان حاجاتهم خلال الرحلة، ويجدر بنا القول أن جميع الوكالات التجارية التي أقيمت في منطقة الزاب خاصة وفي المدن الصحراوية عامة كانت خالية من النقوش الكتابية والتواريخ، إلا نادرًا يوضع اسم المنشئ، وقد استعملت من أجل إيواء التجار وبضائعهم حتى يكونوا في مأمن على أنفسهم وبضائعهم، وهنا سنقوم بسرد الوكالات التجارية في منطقة الزيبان.

---

[1] ـ محمد (محمد أمين) ليلى (علي إبراهيم) ، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكة، دار النشر بالجامعية الأمريدية بالقاهرة، جنيف 1990، ص 121.

[2] ـ مصطفى (عبد الكريم الخطيب)، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 1996، ص 64.

[3] ـ عبد الرحيم (غالب)،موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، بيروت ، 1988، ص 156.

[4] ـ ثروت (عكاشة)، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف بمصر، 1919، ص 80.

[5] ـ العياشي ، المصدر السابق، ص 410.

1 ـ وكالة أولاد جلال القديمة :

وهي تقع على مسافة 4 كلم جنوب أولاد جلال المدينة، وبالضبط على حواف وادي جدي وذلك وفقًا للإحداثيات (س،ع) = 719 ـ 123، الخريطة رقم (41) الصورة الجوية رقم (37) .

لم تذكر في كتب الرحالة والجغرافيين خاصة الذين زاروا المنطقة خلال القرن العاشر هجري. مثل: العياشي والورتلاني . لكن عند تصفحنا للمذكرات القسنطينية وجدنا أن هذه الوكالة كانت موجودة خاصة خلال تواجد الأتراك بالمنطقة[1].

أ ـ الوصف العام :

لم يبق من هذه الوكالة أي أثر يذكر، لكن حسب المقال الذي تصفحناه ، نجد أن هذه الوكالة قد بنيت على طريق المسافرين خارج المدن، يقدم إليها التجار والرحالة كافة ويوفر لهم الراحة ويجنبهم مشقة السفر ليلا ومخاطره ، وكان يضم إلى جانب تلك المرافق هناك حوض في وسط الساحة ومشرب البهائم المصلى ، أما من حيث التنظيم فهو مربع المسقط يتكون من طابق أرضي وتحتل أركانه أبراج للمراقبة والدفاع، خاصة وأن المنطقة كانت تحف باللصوص والفتن كأنه حصن صغير.

[1] ـ M.G.H. Monographie de BISKRA. Op.cit . pp.32 – 38 .

2 ـ وكالة بسكرة القديمة:

وهي تقع في بسكرة القديمة وذلك وفقا للإحداثيات (س،ع) = 775 ـ 178، الخريطة رقم (40) الصورة الجوية رقم (36) .

لقد لعبت دروًا كبيرًا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة[1] إذ كانت ملتقى التجار من شتى البلدان وبالتالي استقبالهم وكان المكان لم يعد لإيواء المسافرين بل استقبالهم ريثما يتمون تجارتهم.

أ ـ الوصف العام :

بما أنه لا يوجد أي أثر لهذه الوكالة ، إلا أنها لا تخرج عن تصميم الوكالات الموجودة في إقليم توات وورقلة، بحيث كانت تحتوي على المرافق العامة ، كالساحة المركزية والمسجد والوحدات السكنية الخاصة بالتجار .

[1] - Daumas. Sahara. Algérien . op.cit. pp . 136 – 138.

رابعا ـ الحمامات:

لقد أسهب الرحالة والجغرافيين الذين وصفوا منطقة الزاب على أنها تحوي الكثير من الحمامات ، وذلك راجع بطبيعة الحال لكون المنطقة تزْخَرُ بالعديد من المياه المعدنية الساخنة ، فهذا البكري يقول : ((... وهي مدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات ...))[1] .

أما ياقوت الحموي فيذكر خلال القرن 12 م : ((... وهي ذات أسواق وحمامات مدنية...))[2].

وهنا سنقوم بجرد هذه الحمامات للمنطقة .

1 ـ حمام الصالحين[3] :

يقع شمال غرب مدينة بسكرة على بعد 0,5 كلم ، وذلك وفقا للإحداثيات (س، ع) = 775 ـ 177 ، الخريطة رقم (44) الصورة الجوية رقم (40) .

لقد ذكره ستيفان قزال في أطلسه بقوله : ((... ويكون هذا الحمام الموجود ببسكرة من المخلفات الرومانية ، وذلك راجع إلى طبيعة بنائه .. وتسع غرفه الثلاث ، وقد عرف باسم ادبسيام ...))[4] .

أما الباحث كامبيزا فيقول: ((... أما الحمام الموجود في بسكرة فهو يعود إلى الفترة الرومانية...))[5].

لكن ما يمكن أن نسلم به هو أن هذا الحمام إسلامي وكون وفق القيم الإسلامية.

أ ـ الوصف العام :

نظرًا للتغيير الجذري الذي عرفه هذا الحمام من إصلاحات وإضافات مما أفقده صبغته الأثرية، لكنه لا يختلف عن الحمامات التي كانت موجودة في العهد الإسلامي بحيث يشتمل الحمام على مدخل صغير به ممر منكسر يؤدي إلى الحجرة الأولى ن التي يتم خلع الملابس بها، ويتصل هذا الممر بحجرة صغيرة ثانية وهي الحجرة الباردة بها أحواض ماء ن ثم ندخل إلى الحجرة الثالثة وهي الحجرة الساخنة، وبها أقصى درجة للحرارة وبها يتم الاستحمام. أما أرضية الحمام فهي من الرخام لتسهيل تنظيفها ويحيط بها مقعد .

---

[1] ـ البكري ، المصدر السابق، ص 52.

[2] ـ ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ص 422.

[3] ـ اسم حديث نسبة إلى ضمان الصحة للمرضى الذين يعالجون به .

[4] ـ Gsell (ST), op.cit. F° 48. N° 09.

[5] ـ P.L.C Cambuzat. Op.cit. p 38

2 ـ حمام طولقة القديمة :

يقع في مدينة طولقة القديمة وذلك وفقًا للإحداثيات (س،ع) = 746 ـ 161، الخريطة رقم (45) الصورة الجوية رقم (41) .

هناك من يرجع أصل المدينة إلى النومديين الذين أنشؤوها على مجرى مائي ساخن أسموها بـ " تيولا شلة"[1] .

ولقد ورد ذكره عند ستيفان قزال في أطلسه بقول: ((... توجد بقايا حمام روماني بطولقة القديمة، من حجارة وقنوات تصريف المياه ، ومواقد ...))[2].

والجدير بالذكر أن هذا الحمام قد استعمله المسلمون أثناء فتوحاتهم وأدخلوا عليه تعديلات . تتوافق والقيم الإسلامية[3] .

أ ـ الوصف العام :

لم يبق من هذا الحمام أي أثر شاهد للعيان ما عدا بعض الحجارة هنا وهناك .كانت مستعملة في جدران غرفه بالإضافة إلى المقعد الحجري.

---

1 - Gsell (ST), op.cit. F° 48. N° 0 27

2 - Op.cit F° 48. N° 0 27

3 - Gorges (Rozev) Les mremieres Oasis et Les mzab (SD). P .36.

1 ـ دار الضرب[1] :

تقع دار الضرب في مدينة بسكرة القديمة، التي تبعد بحوالي 3 كيلو متر جنوب مدينة بسكرة الجديدة . وعلى الطريق الرابط بين الولاية وحي المسيد الذي يوجد فيه باب الضرب . وذلك وفقًا للإحداثيات التالية :

(س . ع) = 777 ـ 175، الخريطة رقم (46) الصورة الجوية رقم (42) .

رغم إسهاب الرحالة والجغرافيين في وصف المدينة وذكر تاريخها إلا أنهم لم يشيروا إلى المدينة على دار السكة، إلا أننا نجد واردة على مسكوكات الحفصيين سيما منها الدنانير الذهبية[2] حيث يبدوا على الظاهر أن هذه المدينة قد عرفت أهمية تجارية واقتصادية معتبرة حيث نجد من جملة هذه المسكوكات القطع التالية:

النموذج الأول[3] **:** (اللوحة 38).

يرجع على الأمير أبو يحيى المتكل على الله (718هـ، 747هـ):

رقم التسجيل: 483

القطر: 26.5 م م

الوزن: 4.718 غ

التاريخ: 718هـ/ 747هـ

[1] ـ لفظ أطلقه العرب المسلمون في مصادرهم التاريخية على المكان الذي كانت تصك فيه السبيكة المعدنية التي كانت تصنع منها النقود، وهي إما من الذهب أو الفضة أو النحاس أو البرونز، وقد عرف هذا الاسم بهذا اللفظ والمعنى طيلة العصر الإسلامي. أنظر: مصطفى (عبد الكريم الخطيب)، المرجع السابق: ص172.

[2] ـ Hazard (H,W) : The Numismatic history of the late Medeival of the north Afriquain, the north Afriquain , the American numistic society ,New York , N° 08.1952.p175.

[3] ـ حامد (العجاجي) : جامع المسكوكات المغربية بإفريقية، المعهد القومي للآثار والفنون، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ص317.

الوجه

الوسط: الواحد الله

محمد رسول الله

المهدي خليفة الله

الهامش: .....

صلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله و

سلم تسليما

الظهر:

الوسط: أبو يحيى أبو بكر

ابن الأمرا

الراشدين

بسكرة

الهامش

.....

المتوكل على اله

المؤيد

بنصر الله

النموذج الثاني[1]: (اللوحة 39)

رقم التسجيل: 500

الوزن: 4.612 غ

المركز: 25 م م

التاريخ: 796هـ/837هـ.

الوجه:

الوسط: الواحد الله

محمد رسول الله

المهدي خليفة الله

الهامش .....

.....

الظهـر

الوسط: أبو فراس عبد العزيز

ابن أمير المؤمنين

أبي العباس أحمد

بسكـرة

الهامش : المتوكل على الله .

المجاهد في سبيل الله

[1] ـ حامد (العجاجي)، المرجع السابق، ص327.

خاتمة الفصل:

نظرًا لكون موقع مدينة بسكرة الإستراتيجي الهام فهي تجمع بين التل والصحراء . فهي بوابة الصحراء وحلقة وصل بين العواصم الإسلامية شمالا وجنوبًا شرقًا وغربًا إذ لعبت دورًا بارزًا وحيويًا خاصة في ميدان التجارة مما تحتم على أهاليها استحداث أسواق لترويج منتجاتهم المحلية ، من تمر وزيتون وقمح وكتان إضافة إلى مادة الملح . بحيث كانت المدينة تحوي جبل كما ذكره الرحالة والجغرافيين أمثال: البكري ، ياقوت الحموي، وهذا ما جعل المنطقة تعج بالحركة التجارية والحرفية . وقد كانت شبكة المواصلات التي تربط المنطقة بالمدن الإسلامية الأخرى دورًا بارزًا في ضمان انتقال الأشخاص والقوافل التجارية ، مما ساهم في تصريف منتجات المنطقة ، خاصة في الفترة العثمانية والذين أولوا اهتمامًا كبيرًا لشبكة المواصلات وتشجيهم للتجارة ، وهذا ما أدى إلى بناء وكالات تجارية داخل إقليم الزاب من أجل إيواء التجار والرحالة المسافرين كافة وتوفير الراحة وتجنبيهم مشقة السفر ليلا ومخاطره .

ومن بين النتائج المتحصل عليها في هذا الفصل هو كثرة الحمامات خاصة وأن المنطقة تزخر بمياه جوفية ساخنة وذلك منذ العصور القديمة، وقد أنشئت هذه الحمامات من أجل الاستجمام والتداوي.

كما توصلنا إلى احتواء المدينة لدار السكة وهذا خلال حكم الحفصيين للمنطقة ، مما يدل على أن منطقة الزاب حافظت على استقلالها فترة من الزمن حتى استيلاء الأتراك عليها .

قائمة إحصائية للمرافق العامة الإسلامية لمنطقة الزاب (بسكرة)

التسلسل	اسم الموقع أو المعلم	الموقع الجغرافي	الاحداثيات (س ع)	وظيفته وطبيعته
01	سوق بسكرة القديمة	بسكرة القديمة	775 ـ 178	التجارة (آثار)
02	رحبة أولاد جلال	أولاد جلال	718 ـ 128	التجارة (آثار)
03	أسواق خنقة سيدي ناجي	خنقة سيدي ناجي	292 ـ 3866	التجارة (آثار)
04	سوق رحبة القمح	طولقة القديمة	746 ـ 161	التجارة (آثار)
05	وكالة أولاد جلال	أولاد جلال القدمية	719 ـ 123	التجارة (آثار)
06	وكالة بسكرة	بسكرة القديمة	775 ـ 178	محطة للقوافل التجارية (آثار)
07	حمام الصالحين	مدينة بسكرة	775 ـ 177	للاستجمام والتداوي
08	حمام طولقة	طولقة القديمة	745 ـ 161	للاستجمام
09	دار الضرب	بسكرة القديمة	777 ـ 175	سك نقود الدولة الحفصية 718ه/1317م(آثار)

الخاتمة :

بعد أن أنهيت بحثي هذا والذي يعتبر مقدمة لأبحاث مستقبلية . والمتمثل في محاولة جعل أطلس أثري لإقليم الزاب في العهد الإسلامي . وقد خصص لمنطقة بسكرة باعتبارها عاصمة الزيبان ، وفقا لما ذهب إليه ابن خلدون ، بحيث حاولت جرد المعالم والمواقع الأثرية للمنطقة خلال الفترة الإسلامية وهذا منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية الفترة العثمانية، وقد توصلت في الختام إلى نتائج وضحت تساؤلاتي ولو بشكل جزئي والسبب راجع إلى قلة المصادر والمراجع التي تكلمت عن هذه المنطقة من جهة وانعدام المعالم الأثرية من جهة أخرى، وأهم هذه النتائج :

1 ـ التركيز على إنشاء وانتشار العمارة في إقليم الزاب لاسيما المساجد والتي بنيت منذ الفتح الإسلامي بالرغم من احتدام الصراعات الدائرة في المنطقة . وبما أن المسجد رمز من رموز المدنية الإسلامية ونواتها المهمة . فهو مكان عبادة ومركز من مراكز الإدارة والقضاء الإسلامي. لهذه الاعتبارات حرص حكام المنطقة وعلمائها، على بناء هاته المساجد في كل مناطق إقليم بسكرة . والجدير بالذكر أنها تميزت بالبساطة، وخلوها من الزخرفة في بعض الأحيان . أما من حيث المواد المستخدمة في بنائها فنجد استعمال المواد المحلية المحضة والمتمثلة في الطوب، الحجارة ، وجذوع النخيل. فجاء بناؤها المعماري يعبر عن تقاليد وعادات اتسمت بها المناطق الصحراوية مطبوعة بطابع إسلامي محض .

2 ـ الانتشار الواسع للأضرحة التي بنيت على قبور الصالحين من العلماء والأولياء تخليدًا لذاكرتهم مثل : عقبة بن نافع الفهري ، سيدي موسى الخذري، وسيدي مبارك ، إلاّ أن أغلب هذه الأضرحة لا يعرف تاريخ تأسيسها ، كما يجمل بنا القول أن الطرق الصوفية في العهد العثماني عرفت انتشارًا واسعًا فضلا عن كثرة المباني المخصصة لها .

والجدير بالملاحظة أن تقسيم هذه الأضرحة اتخذت الشكل التقليدي المعروف وهو مربع فوقه قبة ن وقد عمم استعمال هذا النمط بشكل كبير في جنوب المغرب الأوسط ، هذا بالإضافة إلى اتسام هذه المباني بالبساطة والتقشف من الناحية الفنية.

3 ـ رغم الانتشار الواسع للزوايا والمدارس القرآنية في منطقة الزاب، إلاّ أننا لم نعثر إلاّ على القليل منها وهي لا تكاد تتعدى أصابع اليد ، وهي لم تخرج عن نطاق البساطة الفنية والهندسة المعروفة في هذه المنطقة .

والجدير بالذكر أن هذه الزوايا وجدت على ثلاثة أنواع :

ـ زوايا المشايخ : هي ملكية خاصة وصاحبها في أغلب الأحيان هو صاحب الطريقة مثل: زاوية سعادة .

ـ زاوية المرابطين : وهي ملكية جماعية تحبس مواردها على طلبة العلم ، مثل الزاوية المختارية.

ـ زوايا الطلبة : وهي التي يتمتع طلبتها فيها بالاستقلال في التسيير ومثال ذلك زاوية سيدي خالد.

ـ من خلال دراستنا المستفيضة ومعاينتنا الميدانية للعمارة المدنية بالمنطقة وما وصفه الرحالة والجغرافيين لهو دليل قاطع على تطور عمارة القصور والقصبات بالرغم من أننا لم نعثر إلاّ على الأطلال وبقايا أثرية ، وهذا لا يعني مطلقا أنها منعدمة وما قصر بنطيوس والدوسن وآثارهم إلاّ شاهد على ما بلغته هذه المباني من ازدهار وأن بنائها لم يكن عفويًا بل كان مستمدًا من شروط أملتها الطبيعة وظروف الحياة . وهذا ما يؤكد على أن حكام المنطقة وأهاليها على دراية كبيرة بشروط المدنية الإسلامية، على الرغم من تحيز بعض الباحثين مثل (ستيفان قزال) الذين ذهبوا إلى الحط من الأصول العربية الإسلامية لمنطقة الزاب بإرجاع تاريخ هذه المنطقة إلى أصول رومانية . وهذا إجحاف ما بعده إجحاف في حق منطقة الزاب عمومًا .

5 ـ انتشار المساكن بشكل يدعوا للانتباه وخاصة الواحات وقرب المجاري المائية والمراعي، كما هو الحال في مساكن طولقة وبني سويك والخنقة . والجدير بالقول أن بناء هذه المساكن في منطقة الزاب ، ظهرت بنمط متغير تاركة بصماتها الواضحة من خلال ما خلفته لنا من إرث معماري غزير يترجم أفكار سكان المنطقة النابغة من الدين والمجتمع الإسلامي.

6 ـ كثرة الأربطة والحصون الدفاعية دلالة قاطعة، على أن المدينة كانت ظروف مضطربة وفتن قبائلية وتناحر من أجل السلطة .

7 ـ وجود الأربطة في منطقة الزاب دلالة على انتشار المذاهب والتيارات الفكرية، فهي تجمع بين العبادة والحرب . وما رباط عزوز وسعادة إلاّ خير دليل على ذلك .

8 ـ قلة الشواهد الأثرية وانعدامها خاصة المرافق ذات الغرض الدفاعي والمتمثلة في: (الخنادق ، الأسوار، الأبراج) ، مما جعل موضوع بحثنا هذا مبتور.

9 ـ اتخاذ بعض المعالم العسكرية التي ترجع إلى العصر الروماني والبيزنطي كقاعدة عسكرية بإقليم الزاب من قبل الدول الإسلامية التي تعاقبت على حكم هذا الإقليم ، وهذا بعد ترميمها وإكسابها طابعًا إسلاميًا خالصًا ، يبرز النمط العمراني الإسلامي ذي الصبغة المحلية.

10 ـ انتشار شبكة المواصلات التي تربط المنطقة بالمدن الإسلامية الأخرى كان له دورًا بارزًا وحيويًا خاصة في ميدان التجارة ، خاصة خلال التواجد العثماني بالمنطقة.

11 ـ كثرة الأسواق في المنطقة لهو دليل قاطع على النشاط التجاري الخارجي والداخلي، خاصة وأن مدينة بسكرة تزخر بمواد طبيعية وزراعية جعلتها من اهتمام الدول الإسلامية التي قامت بالمغرب الأوسط .

12 ـ تعدد الوكالات التجارية بالمنطقة ، على الرغم من اندثارها يؤكد لنا الحيوية التجارية التي كانت تتمتع بها .

13 ـ وجود الحمامات وتعددها راجع إلى كون منطقة الزاب تزخر بمياه جوفية ساخنة وهذا منذ العصور القديمة، والتي أنشئت من أجل التداوي .

14 ـ اشتمال مدينة بسكرة على دار للسكة خاصة مسكوكات الحفصيين سيما منها الدنانير الذهبية التي تعبر عن الأحداث الحضرية البارزة على الدولة الحفصية ببلاد المغرب ـ الأوسط ، والتي تستحق التحليل العميق لأنها كانت بمثابة الجريدة الرسمية لها تحمل كل طموحات الدولة ومخططاتها السياسية والمذهبية والمتمثلة في فكرة الجهاد عندهم ـ وتوسيع سلطانهم ليشتمل على مناطق جغرافية في المغرب الأوسط ، ومن هنا نطرح عدة تساؤلات وهي :

ـ ما هو الدافع الرئيسي لاختيار مدينة بسكرة كدار لسك نقود الحفصيين ؟ .

ـ ماذا تمثل المدنية للدولة الحفصية ؟ .

وفي الأخير أحمد الله تعالى على توفيقي لإتمام هذا ، والذي يعتبر مقدمة لأبحاث مستقبلية من أجل كشف اللبس عن هذه المنطقة ولا يتحقق هذا إلاّ بالقيام بحفريات علمية مبرمجة.

وما توفيقي إلاّ بالله

ملحق الخرائط والصور الجوية

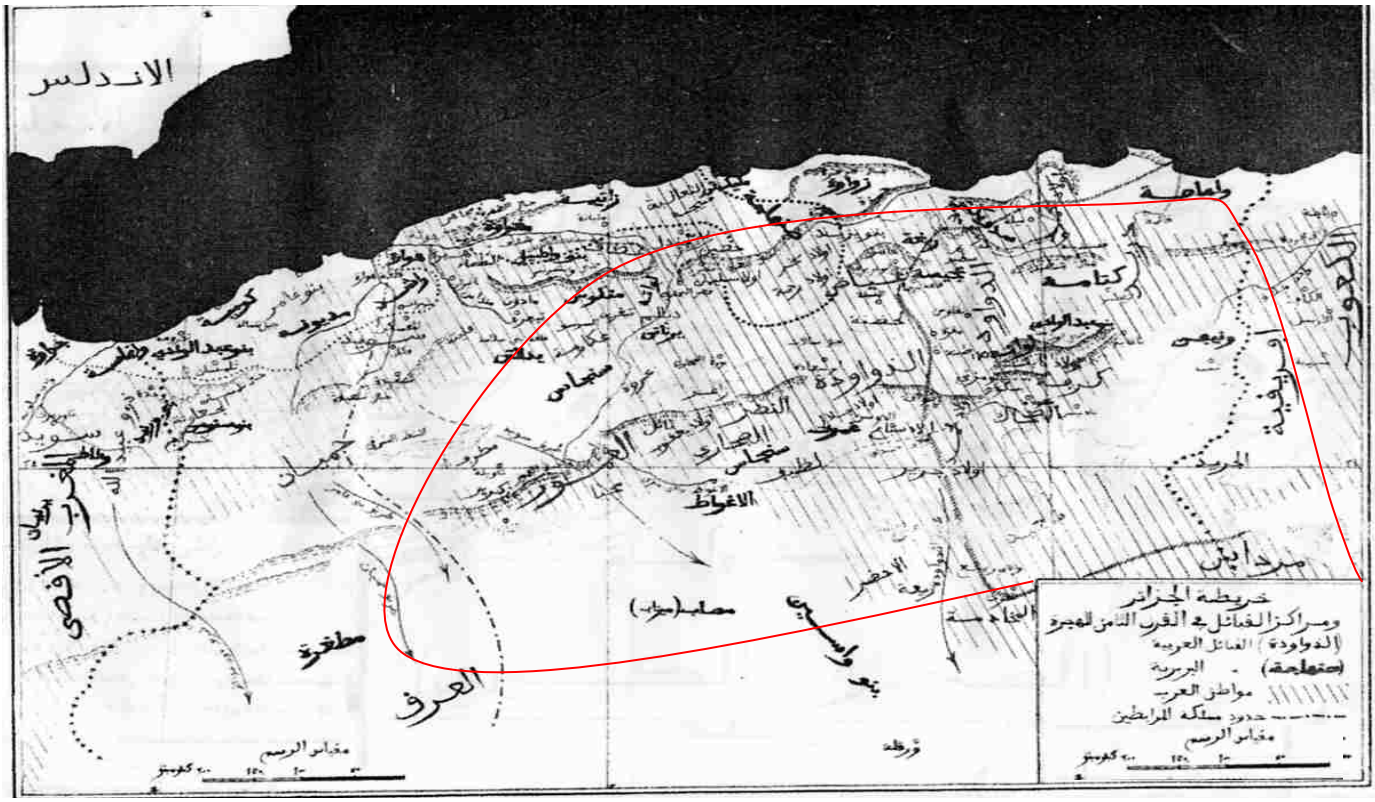

الخريطة رقم 01 : حدود إقليم الزاب حسب النصوص التاريخية والأوصاف الجغرافية
عن كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث لمبارك الميلي (بتصرف الطالب)

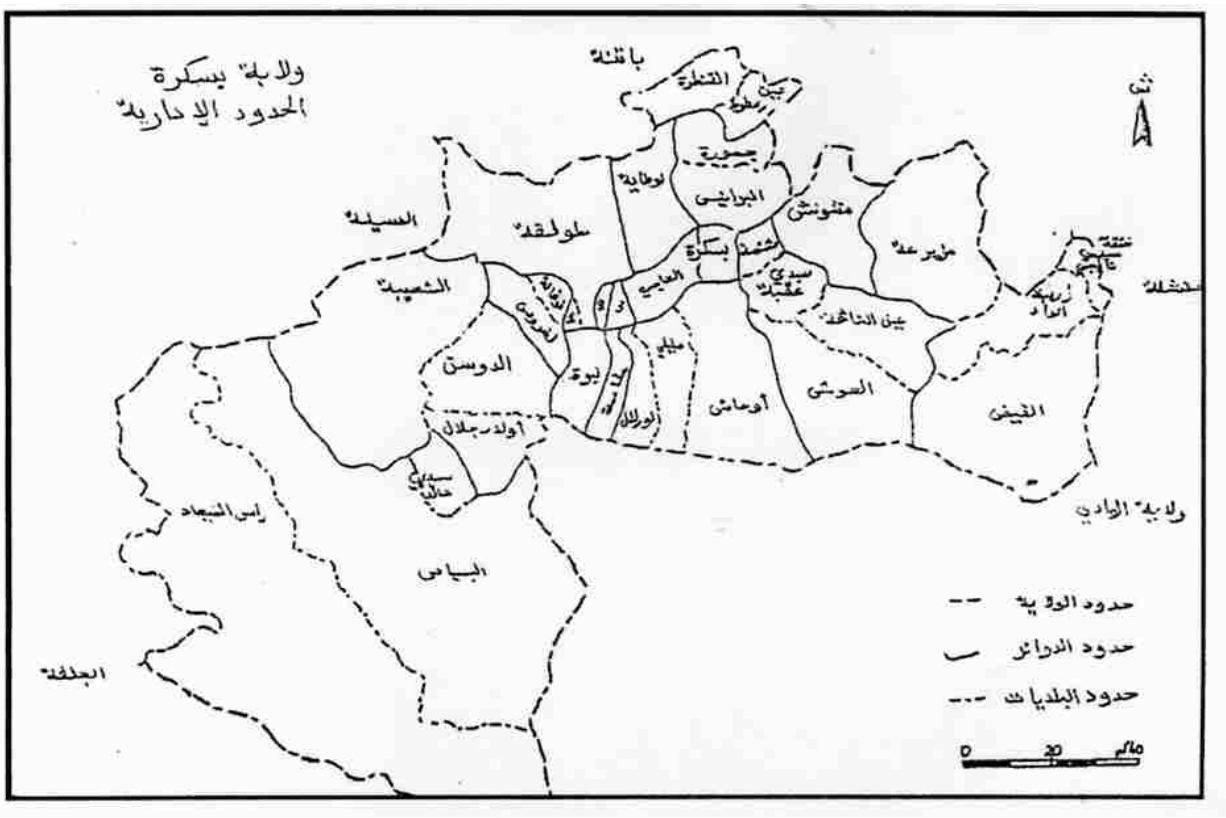

الخريطة رقم 02 : الحدود الجغرافية لولاية بسكرة
عن أرشيف الولاية

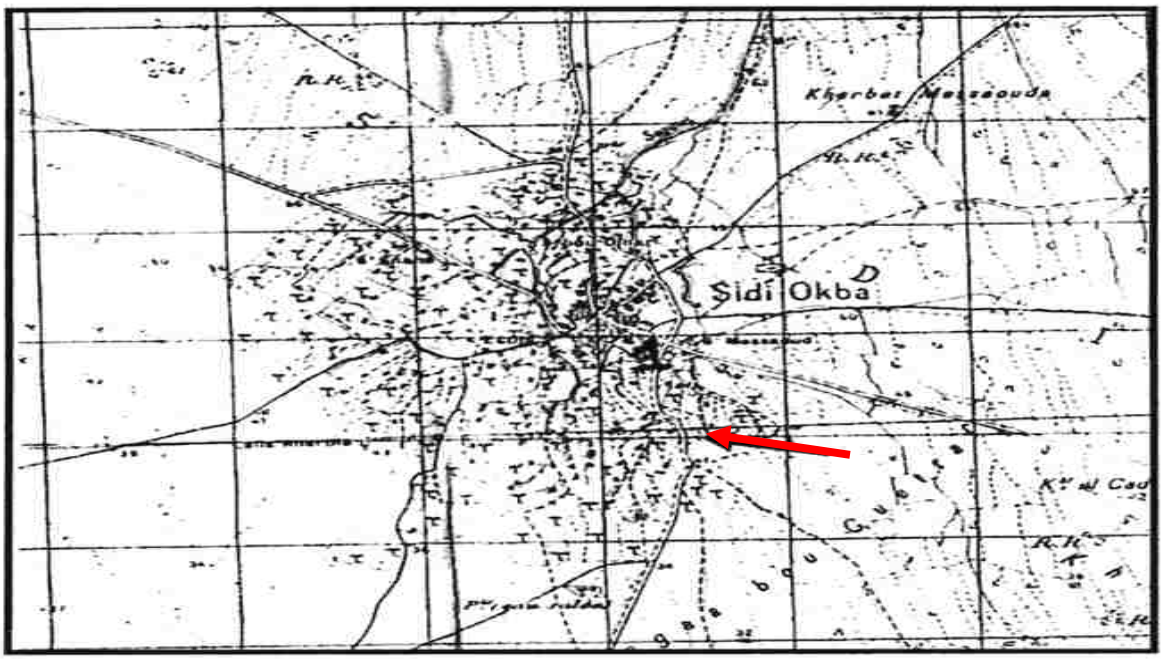

الخريطة رقم 03 : موقع مسجد سيدي عقبة وضريحه

المصدر : خريطة سيدي عقبة رقم 321 على سلم 50000/1

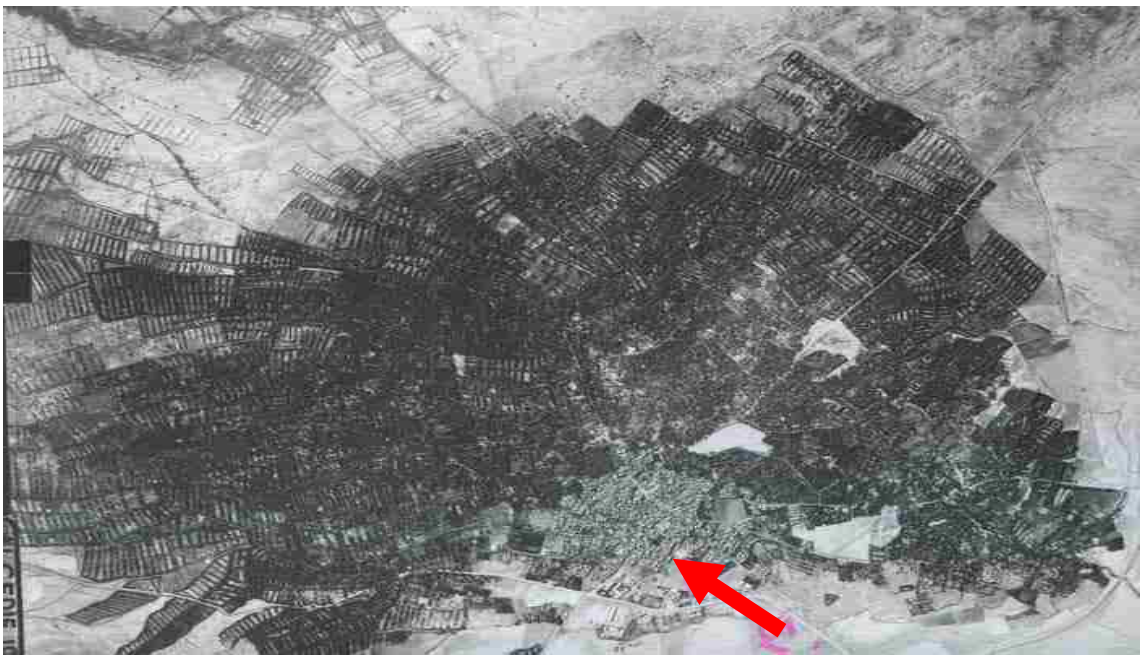

صورة رقم 01 : وضعية موقع مسجد سيدي عقبة وضريحه

المصدر : صورة جوية رقم 319 مهمة 1963 (INC)

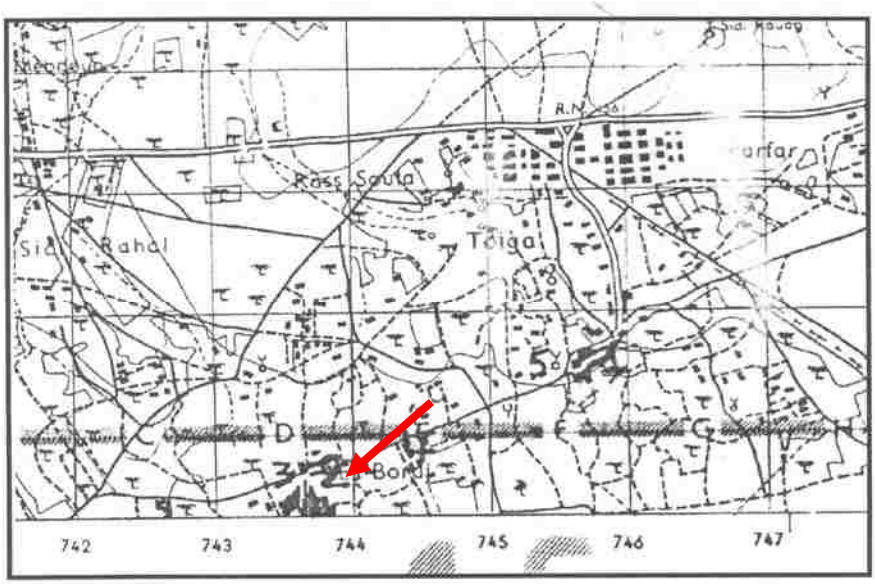

خريطة رقم 04 : المسجد العتيق بطولقة

المصدر: خريطة طولقة رقم 319 على سلم 50000/1

صورة رقم 02 : وضعية موقع المسجد العتيق بطولقة

المصدر: Google Earth 2008

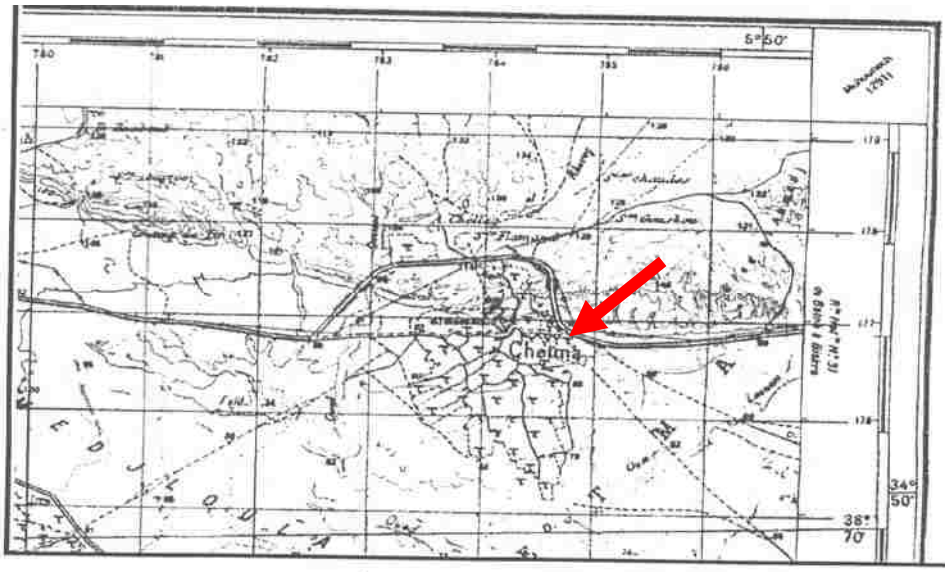

خريطة رقم 05: مسجد سيدي مسعود بشتمة

المصدر: خريطة بسكرة رقم 320 على سلم 50000/1

صورة رقم 03 : وضعية موقع مسجد سيدي مسعود وضريحه بشتمة

المصدر: Google Earth 2008

خريطة رقم 06 : موقع مسجد سيدي موسى الخدري وضريحه
الممصدر: خريطة بسكرة رقم 320 على سلم 50000/1

صورة رقم 04 : وضعية موقع مسجد سيدي موسى الخدري وضريحه
المصدر: Google Earth 2008

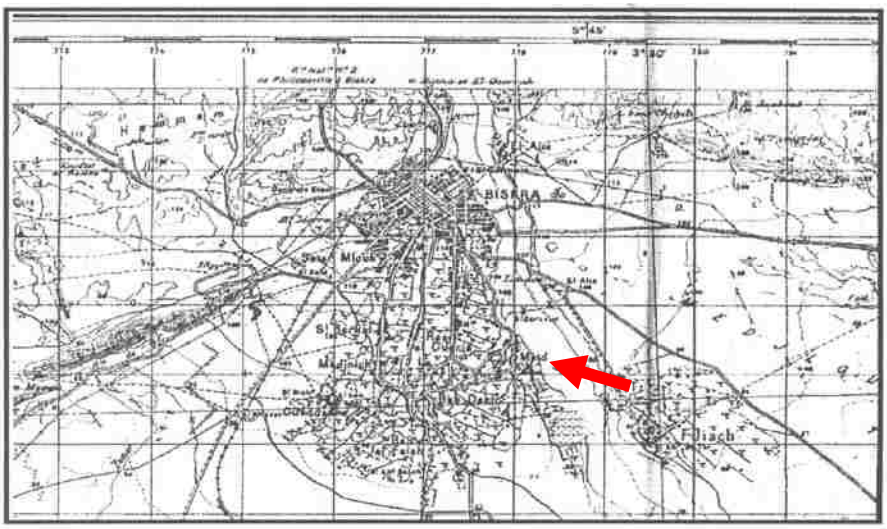

خريطة رقم 07 : موقع مسجد أبي الفضل وضريحه بمدينة بسكرة
المصدر: خريطة بسكرة رقم 320 على سلم 50000/1

صورة رقم 05 : وضعية موقع مسجد أبي الفضل وضريحه بمدينة بسكرة
المصدر: Google Earth 2008

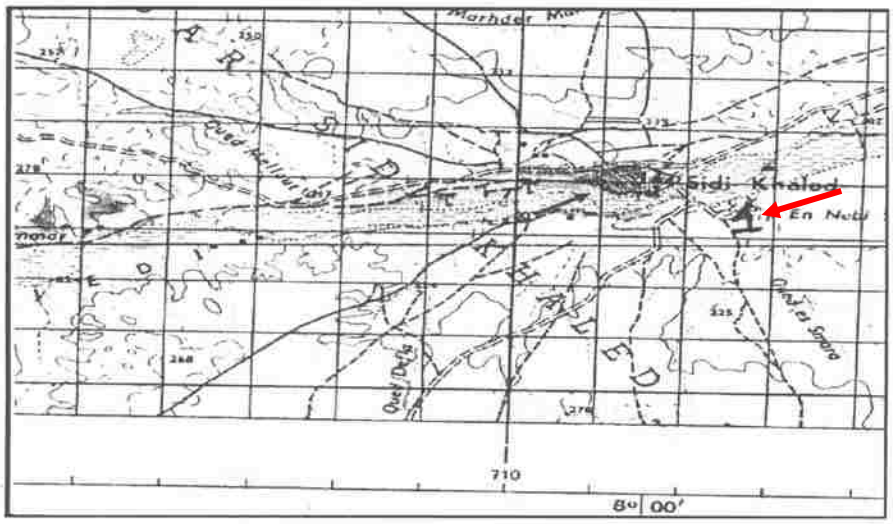

خريطة رقم 08 : موقع مسجد خالد بن سنان العبسي وضريحه بسيدي خالد
المصدر: خريطة أولاد جلال رقم 8 على سلم 100000/1

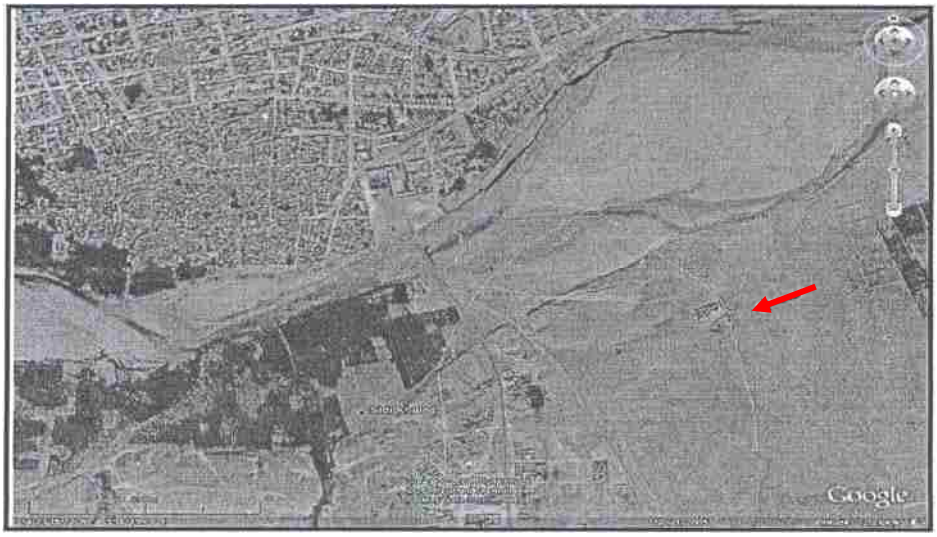

صورة رقم 06 : وضعية موقع مسجد خالد بن سنان العبسي وضريحه بسيدي خالد
المصدر: Google Earth 2008

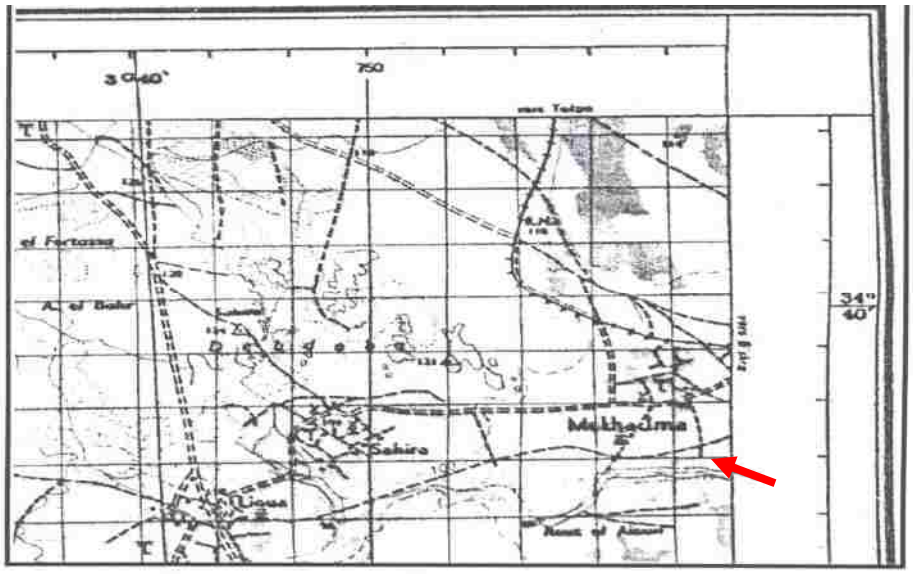

خريطة رقم 09 : موقع مسجد عبد الرحمان الأخضري بالقرب من مخادمة

المصدر: خريطة أولاد جلال رقم 8 على سلم 100000/1

صورة رقم 07 : وضعية موقع مسجد عبد الرحمان الأخضري بالقرب من مخادمة

المصدر: Google Earth 2008

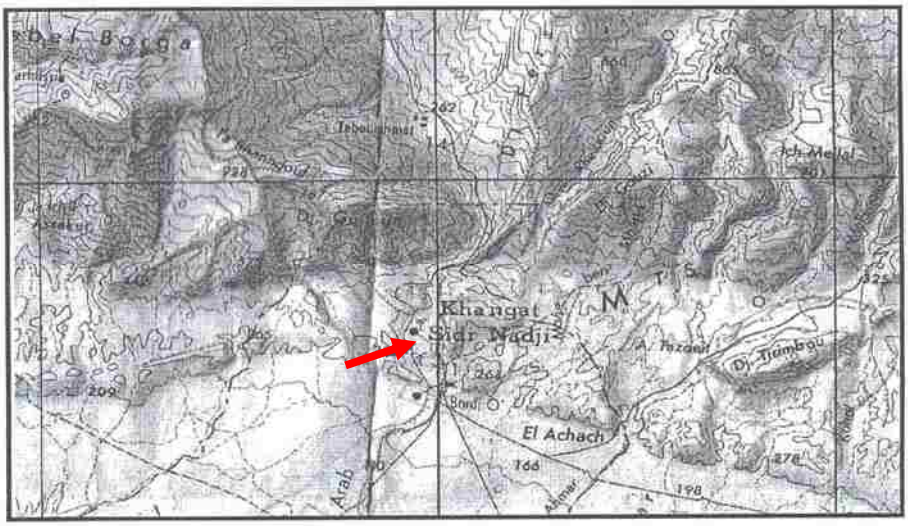

خريطة رقم 10 : موقع مسجد سيدي مبارك وضريحه
المصدر: خريطة زريبة الوادي رقم XIII ـ 32 NI على سلم 200000/1

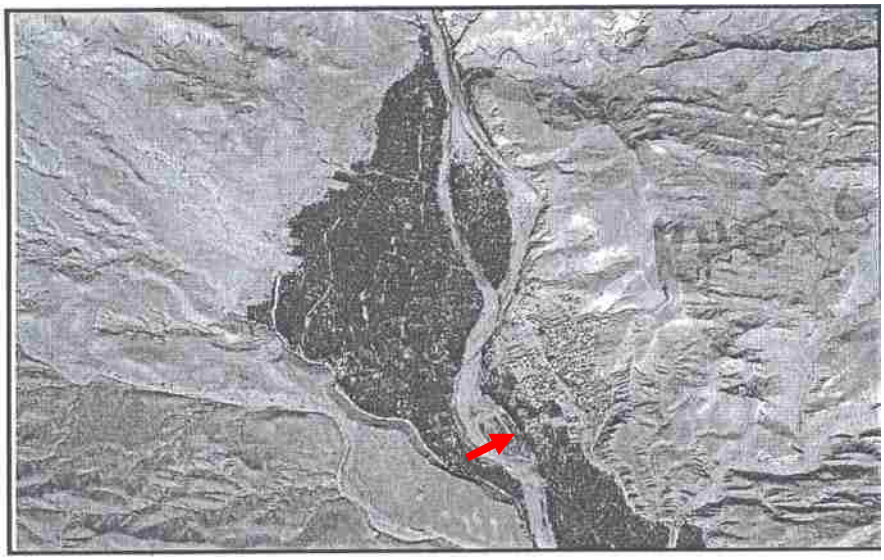

صورة رقم 08 : وضعية موقع مسجد سيدي مبارك وضريحه بخنقة سيدي ناجي
المصدر: صورة جوية رقم 052 مهمة 1963 (INC)

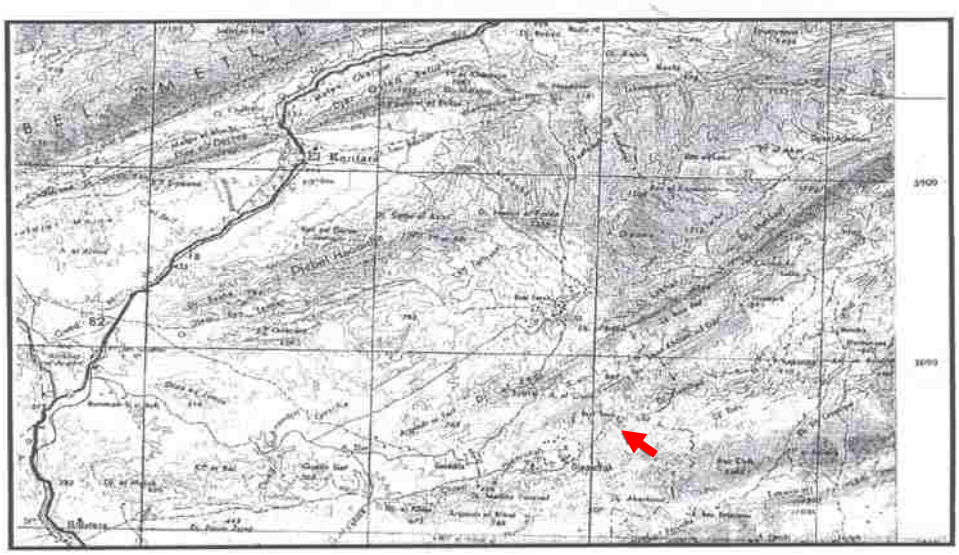

خريطة رقم 11 : موقع مسجد سيدي عبد المؤمن وضريحه ببني سويك
المصدر: خريطة بريكة رقم XXIV ـ 31 NI على سلم 200000/1

صورة رقم 09 : وضعية موقع مسجد سيدي عبد المؤمن وضريحة ببني سويك
المصدر: صورة جوية رقم 460 مهمة 1963 (INC)

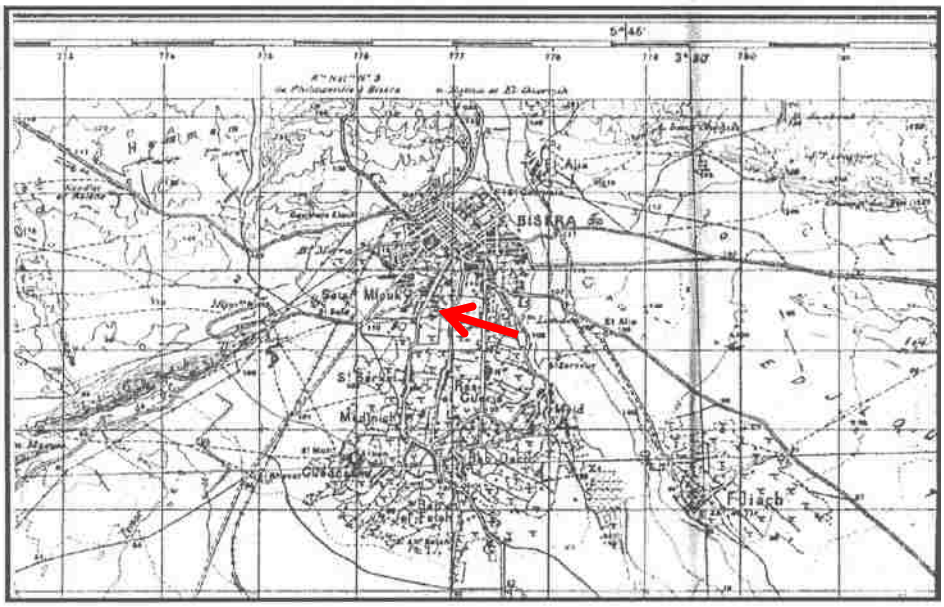

خريطة رقم 12 : موقع مسجد محمد الصالح ببسكرة

المصدر: خريطة بسكرة رقم 320 ـ على سلم 50000/1

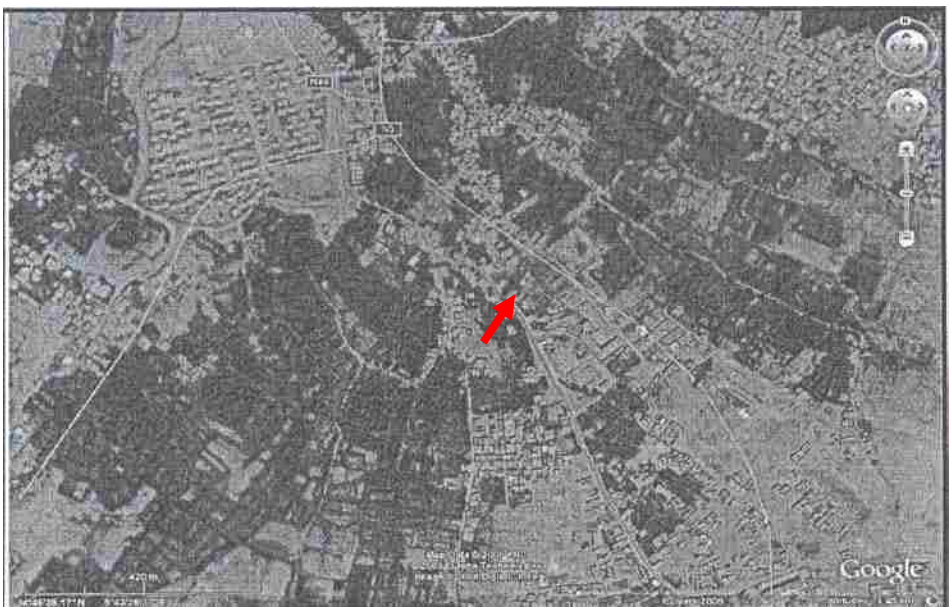

صورة رقم 10 : وضعية موقع مسجد محمد الصالح ببسكرة

المصدر: Google Earth 2008

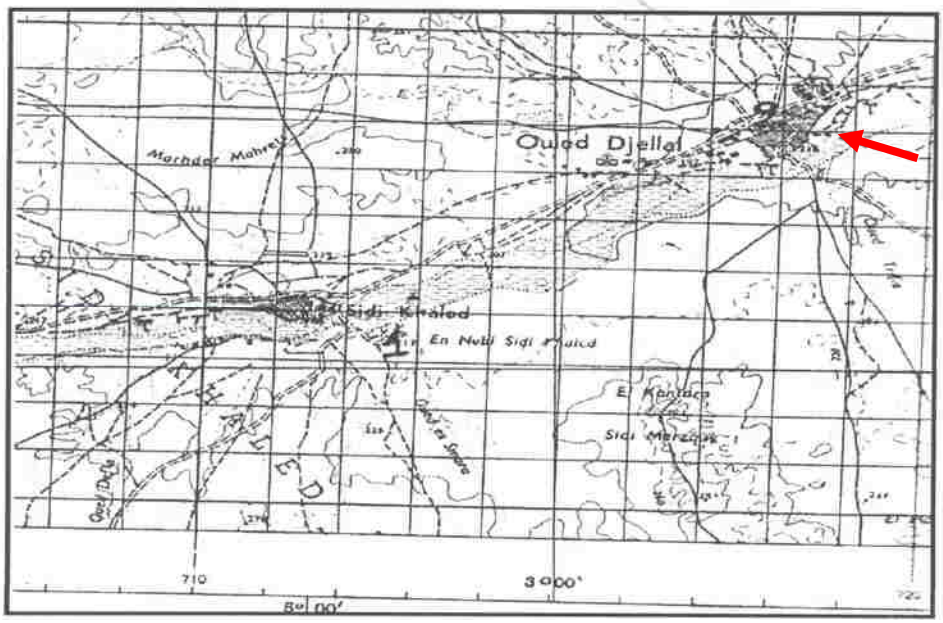

خريطة رقم 13 : موقع ضريح العائلة المختارية بأولاد جلال وزاويته

المصدر: خريطة أولاد جلال رقم 8ـ على سلم 100000/1

صورة رقم 11 : وضعية ضريح العائلة المختارية بأولاد جلال وزاويته

المصدر: Google Earth 2008

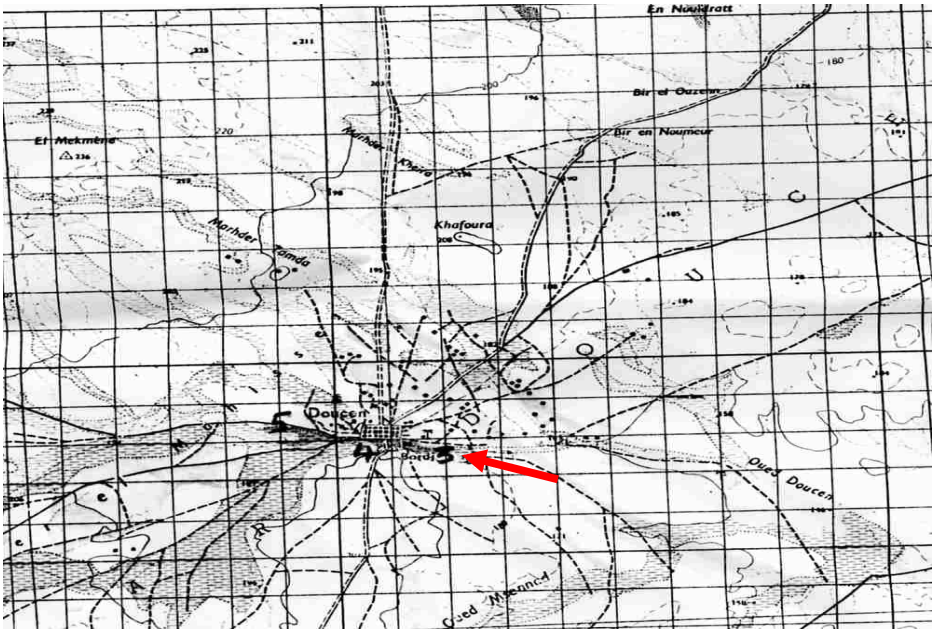

خريطة رقم 14 : موقع ضريح سيدي علي بن عثمان بالدوسن
المصدر: خريطة أولاد جلال رقم 8ـ على سلم 100000/1

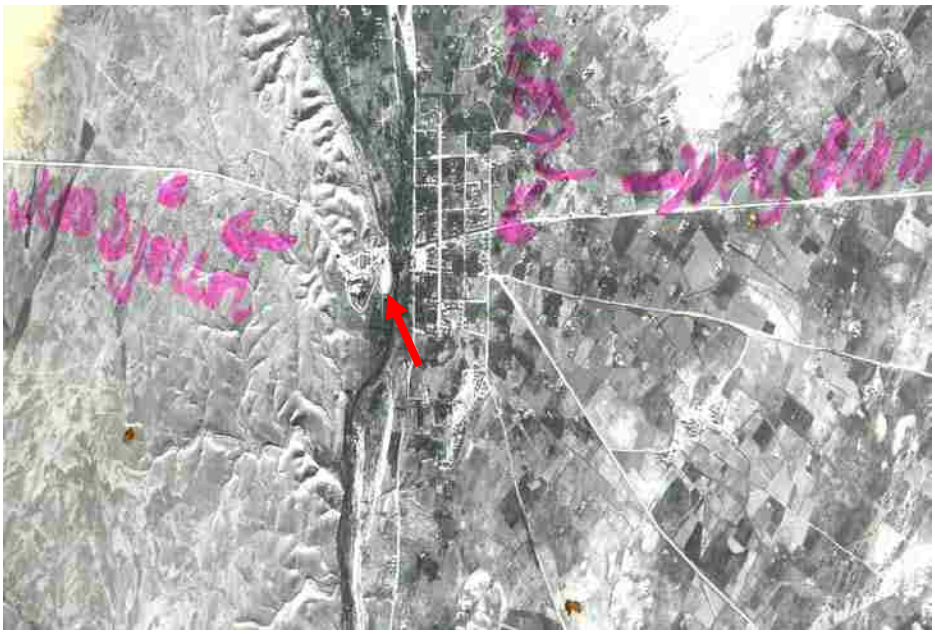

صورة رقم 12 : وضعية ضريح سيدي علي بن عثمان بالدوسن
المصدر: صورة جوية رقم 450 مهمة 1963 (INC)

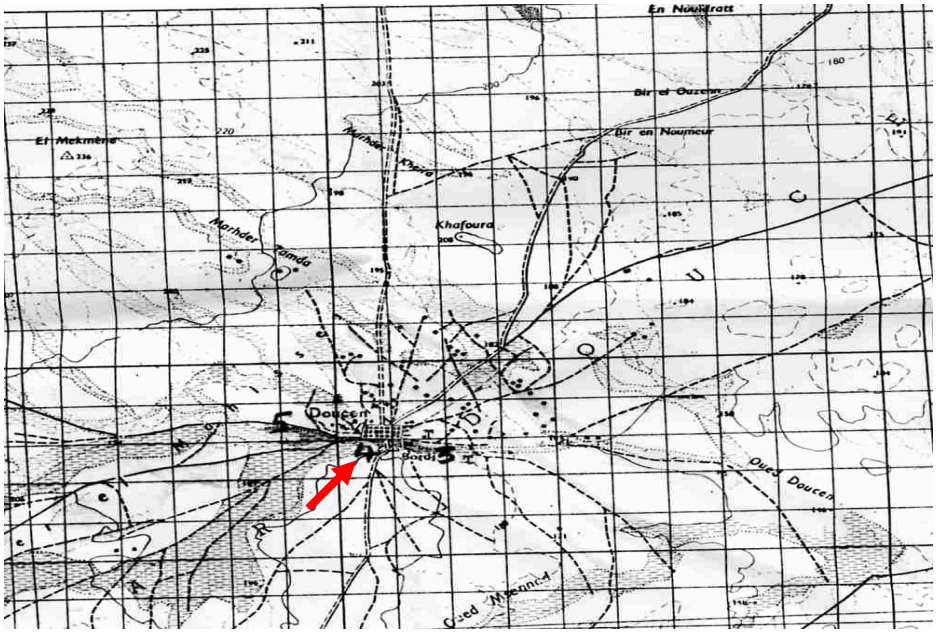

خريطة رقم 15 : موقع ضريح سيدي سليمان بالدوسن
المصدر: خريطة أولاد جلال رقم 8 على سلم 100000/1

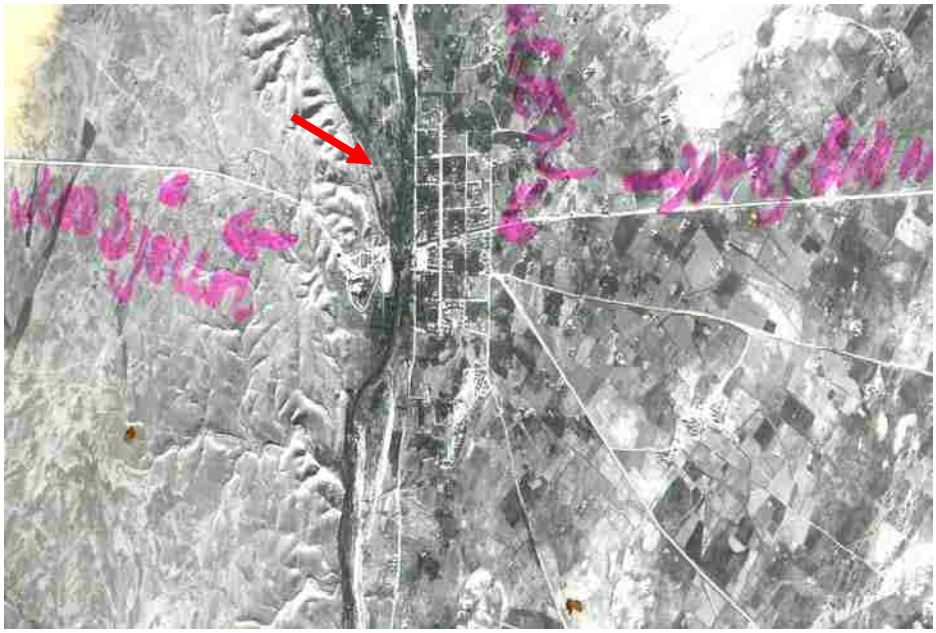

صورة رقم 13 : وضعية ضريح سيدي سليمان بالدوسن
المصدر: صورة جوية رقم 450 مهمة 1963 (INC)

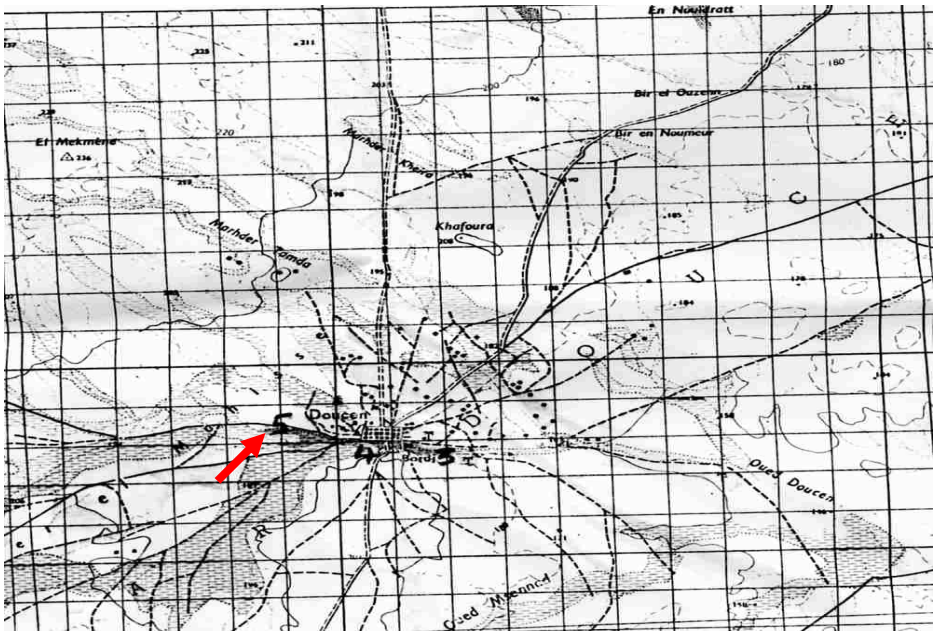

خريطة رقم 16 : موقع ضريح سيدي عطية بالدوسن
المصدر: خريطة أولاد جلال رقم 8ـ على سلم 100000/1

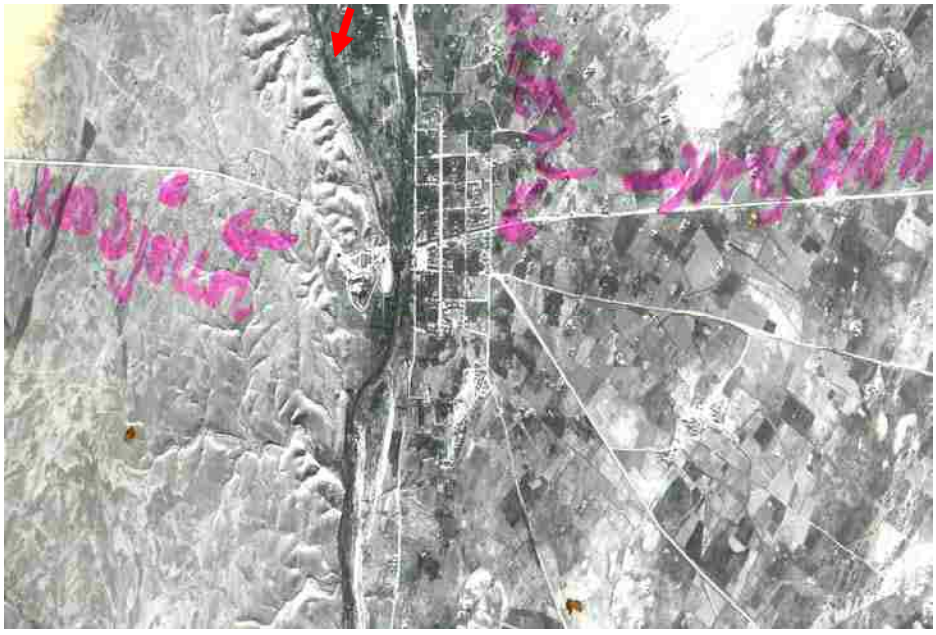

صورة رقم 14: وضعية ضريح سيدي عطية بالدوسن
المصدر: صورة جوية رقم 450 مهمة 1963 (INC)

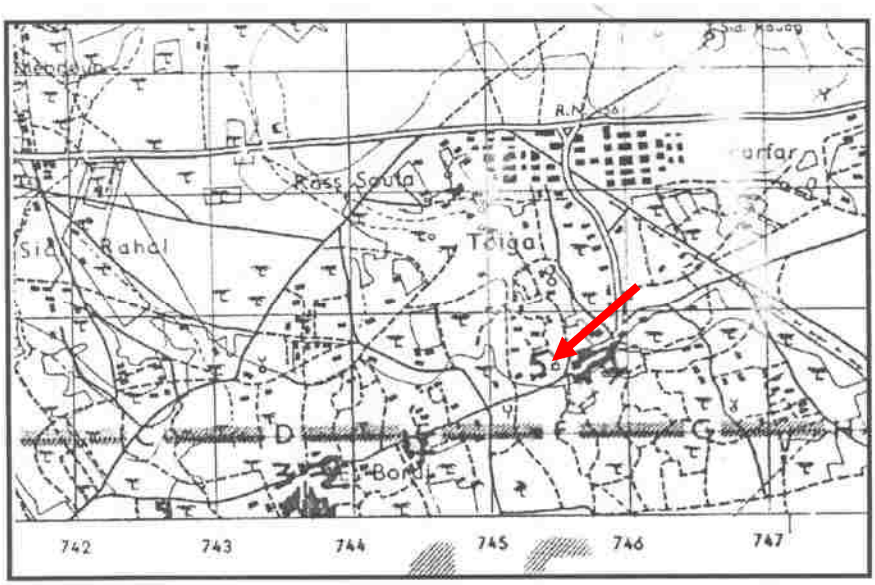

خريطة رقم 17 : موقع زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة
المصدر: خريطة طولقة رقم 319 على سلم 50000/1

صورة رقم 15 : وضعية موقع زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة
المصدر: Google Earth 2008

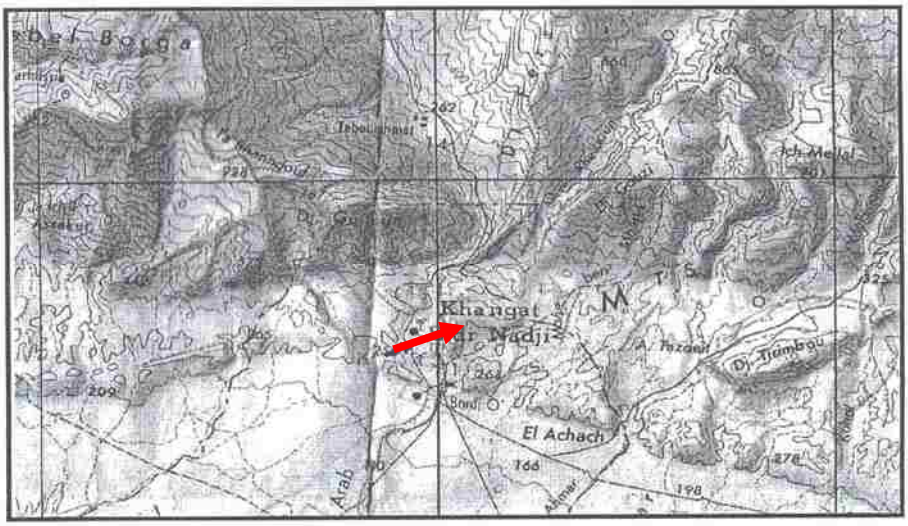

خريطة رقم 18 : موقع المدرسة الناصرية بخنقة سيدي ناجي
المصدر: خريطة زربية الوادي رقم XIII ـ 32 NI على سلم 200000/1

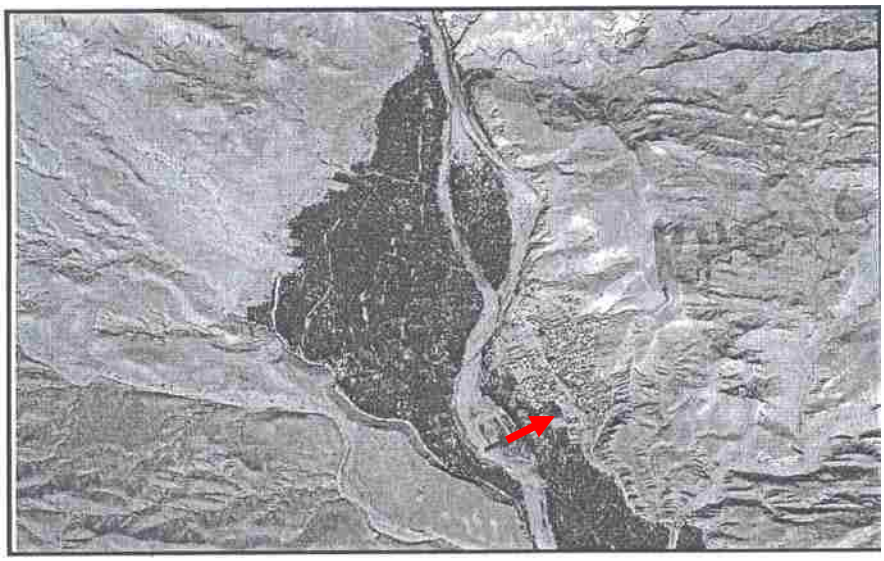

صورة رقم 16 : وضعية موقع المدرسة الناصرية بخنقة سيدي ناجي
المصدر: صورة جوية رقم 052 مهمة 1963 (INC)

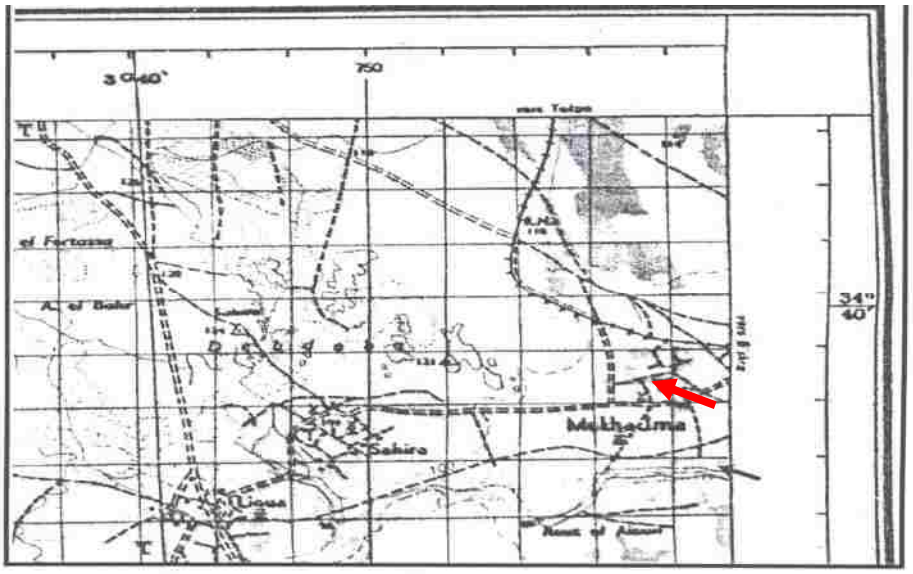

خريطة رقم 19 : موقع زاوية عبد الرحمان الأخضري بالقرب من مخادمة
المصدر: خريطة أولاد جلال رقم 8 على سلم 100000/1

صورة رقم 17 : وضعية موقع زاوية عبد الرحمان الأخضري بالقرب من مخادمة
المصدر: Google Earth 2008

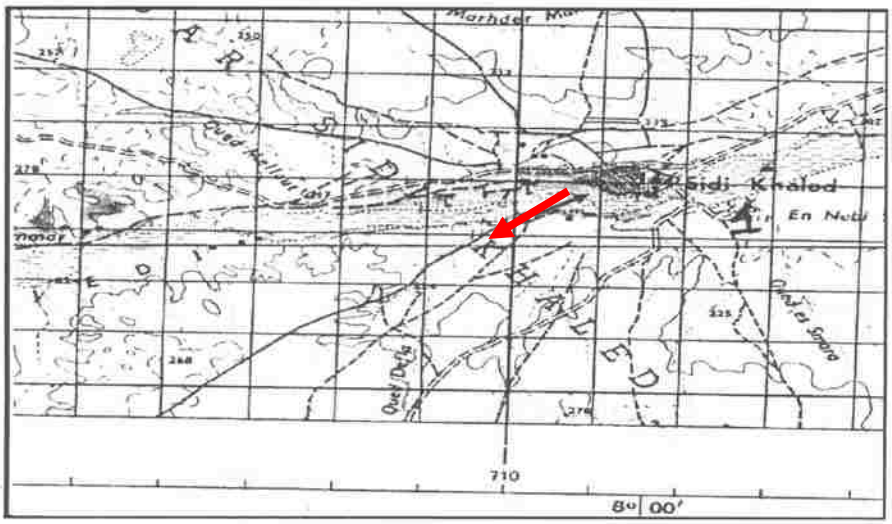

خريطة رقم 20 : موقع زاوية سيدي خالد

المصدر: خريطة أولاد جلال رقم 8 على سلم 100000/1

صورة رقم 18 : وضعية موقع زاوية سيدي خالد

المصدر: Google Earth 2008

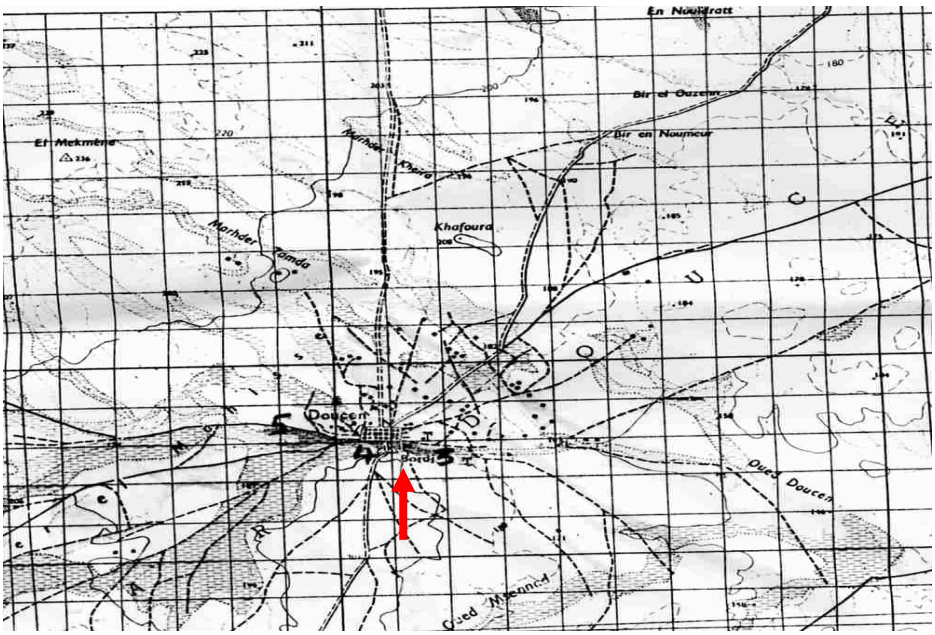

خريطة رقم 21 : موقع قصر الدوسن

المصدر: خريطة أولاد جلال رقم 8ـ على سلم 100000/1

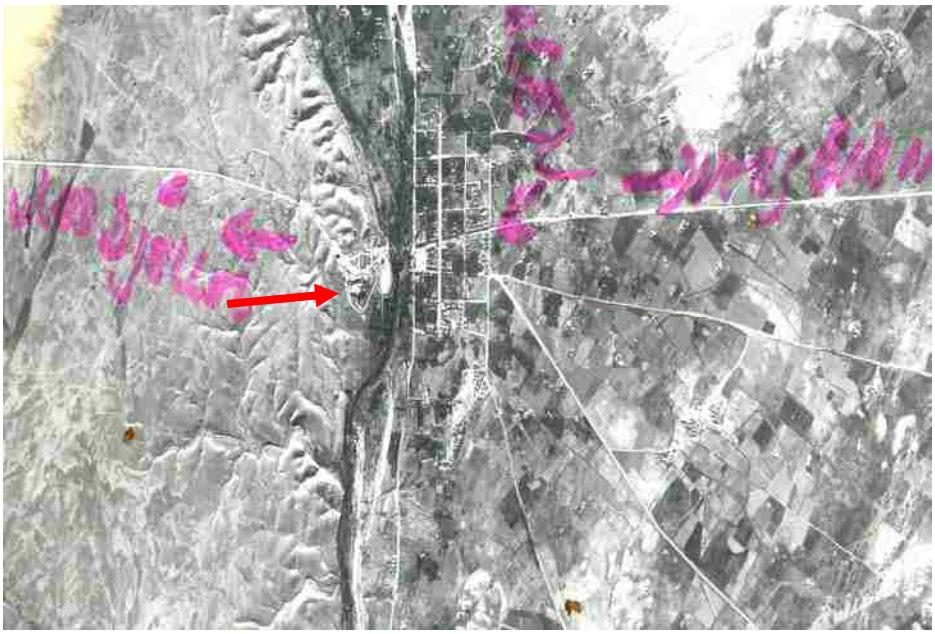

صورة رقم 19: وضعية قصر الدوسن

المصدر: صورة جوية رقم 450 مهمة 1963 (INC)

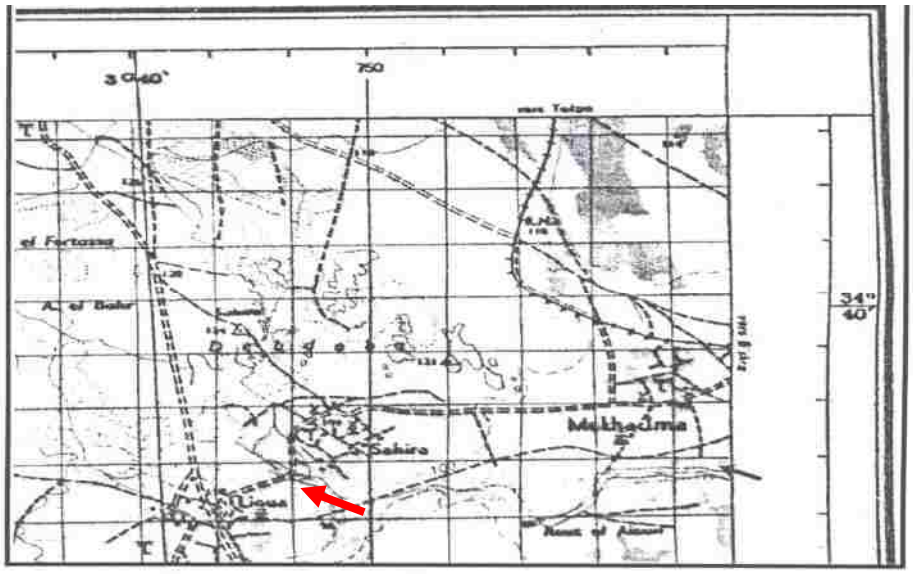

خريطة رقم 22 : موقع قصر بنطيوس بالقرب من مخادمة

المصدر: خريطة أولاد جلال رقم 8 على سلم 100000/1

صورة رقم 20 : وضعية موقع قصر بنطيوس بالقرب من مخادمة

المصدر: Google Earth 2008

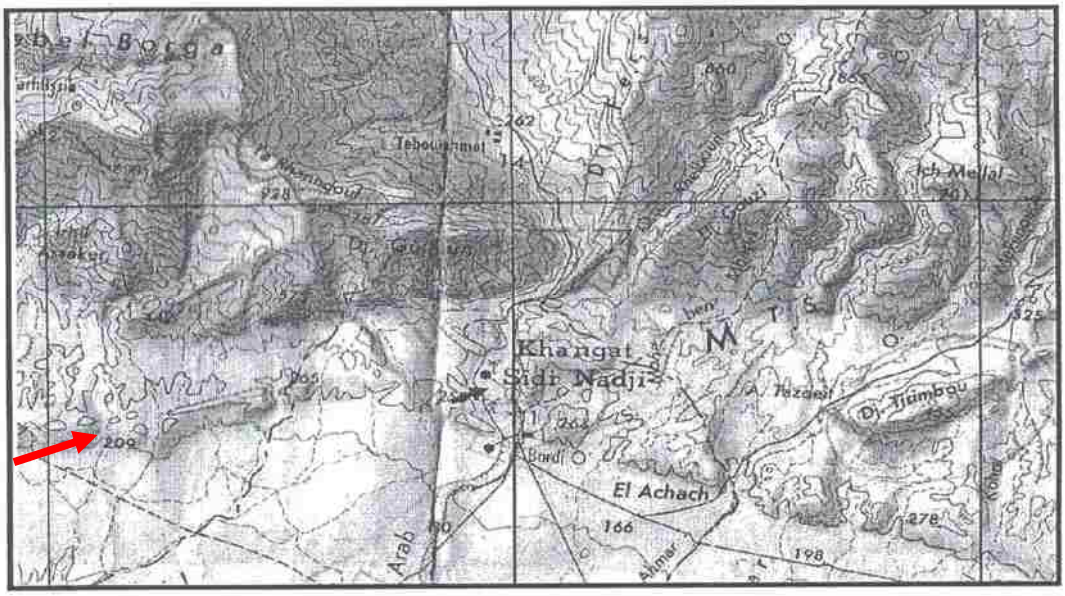

خريطة رقم 23 : موقع قصر تنومة بزريبة الوادي

المصدر: خريطة زريبة الوادي رقم XIII ـ 32 NI على سلم 200000/1

صورة رقم 21 : وضعية موقع قصر تنومة بزريبة الوادي

المصدر: صورة جوية رقم 64 مهمة 2000 (INC)

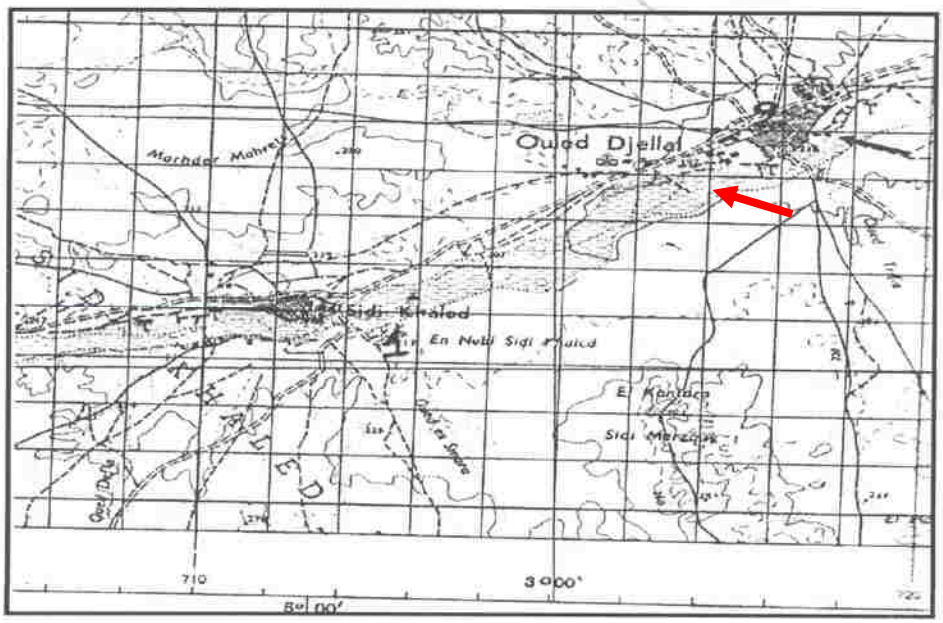

خريطة رقم 24 : موقع قصبة أولاد جلال

المصدر: خريطة أولاد جلال رقم 8ـ على سلم 100000/1

صورة رقم 22 : وضعية موقع قصبة أولاد جلال

المصدر: Google Earth 2008

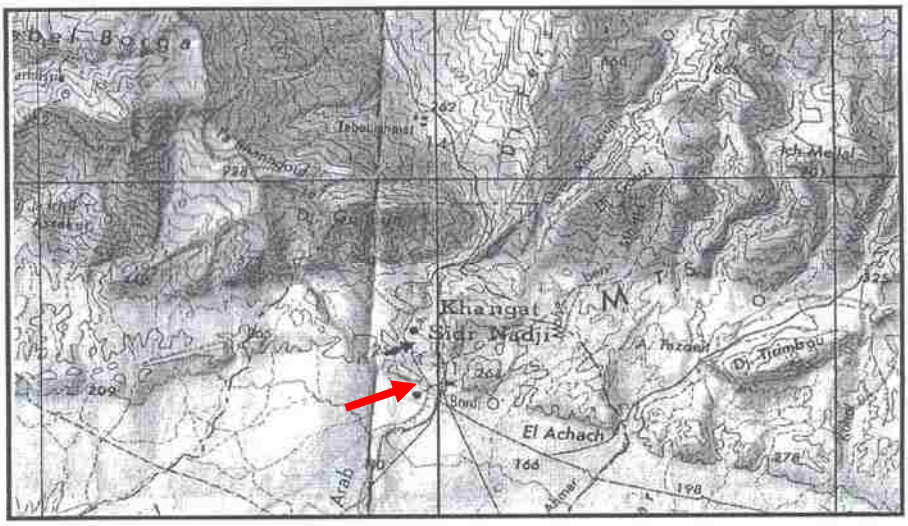

خريطة رقم 25 : موقع مسكن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي
المصدر: خريطة زريبة الوادي رقم XIII ـ 32 NI على سلم 200000/1

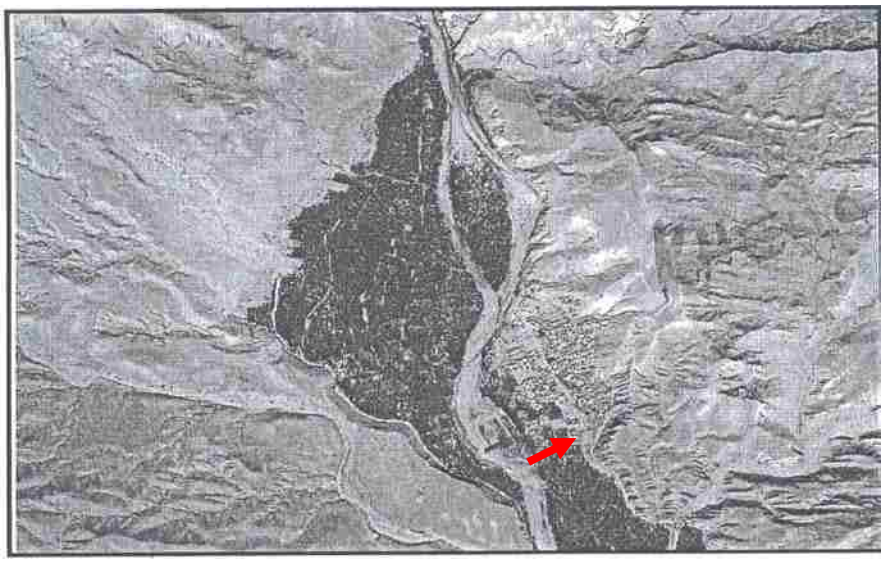

صورة رقم 23 : وضعية موقع مسكن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي
المصدر: صورة جوية رقم 052 مهمة 1963 (INC)

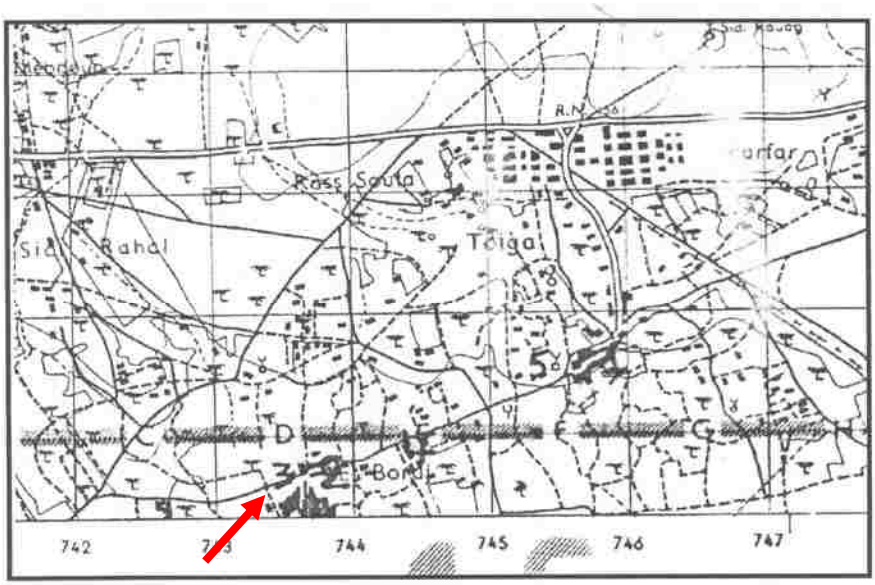

خريطة رقم 26 : مسكن الشيخ بن عزوز البرجي
المصدر: خريطة طولقة رقم 319 على سلم 50000/1

صورة رقم 24 : وضعية مسكن الشيخ بن عزوز البرجي
المصدر: Google Earth 2008

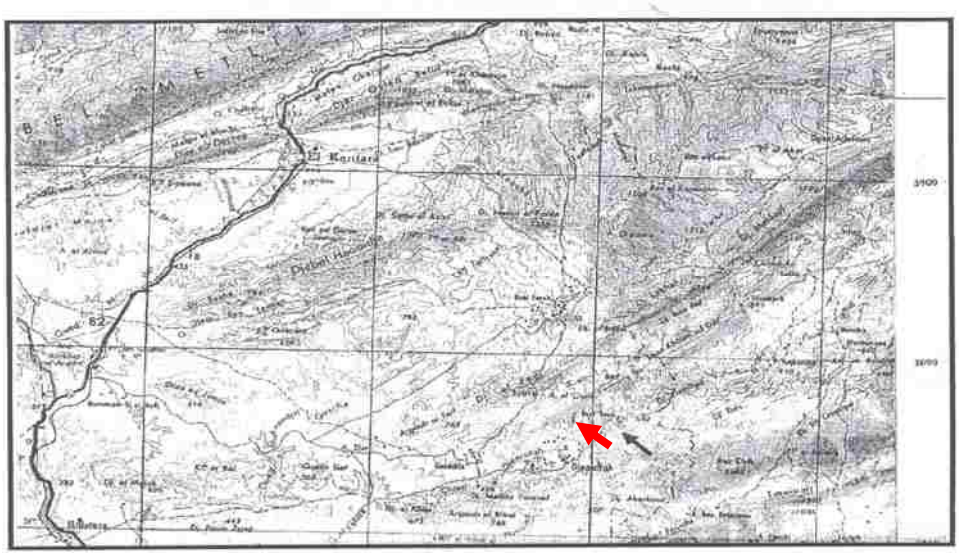

خريطة رقم 27 : موقع مسكن الشيخ العيد بن شنشونة ببني سويك
المصدر: خريطة بريكة رقم XXIV ـ 31 NI على سلم 200000/1

الصورة رقم 25 : وضعية موقع مسكن الشيخ العيد بن شنشونة ببني سويك
المصدر : صورة جوية رقم 460 مهمة 1963 (INC)

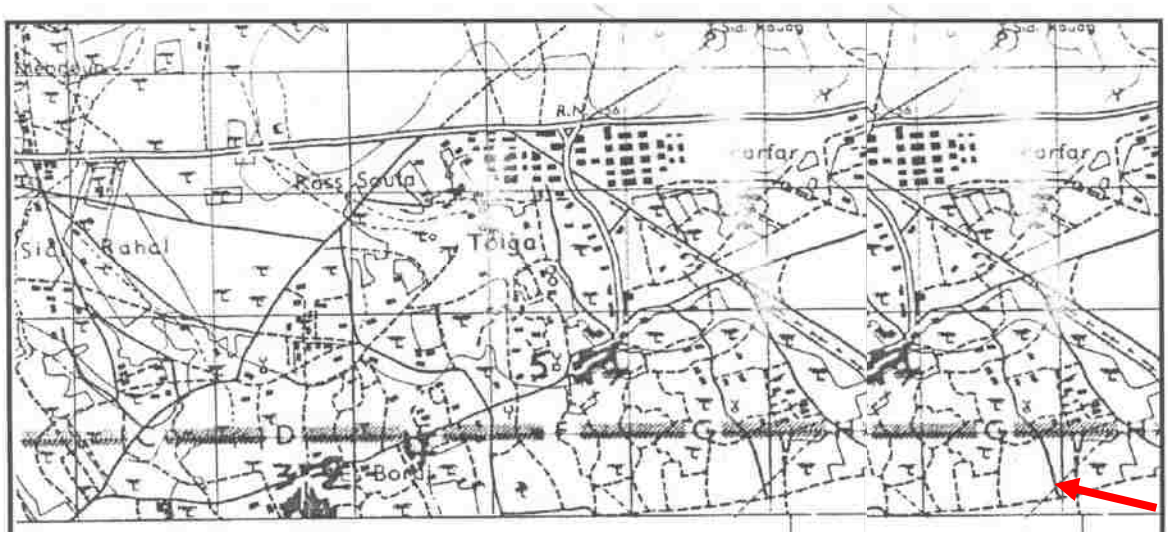

خريطة رقم 28 : موقع مسكن من أوماش

المصدر: خريطة طولقة رقم 319 على سلم 50000/1

صورة رقم 26 : وضعية مسكن من أوماش

المصدر: Google Earth 2008

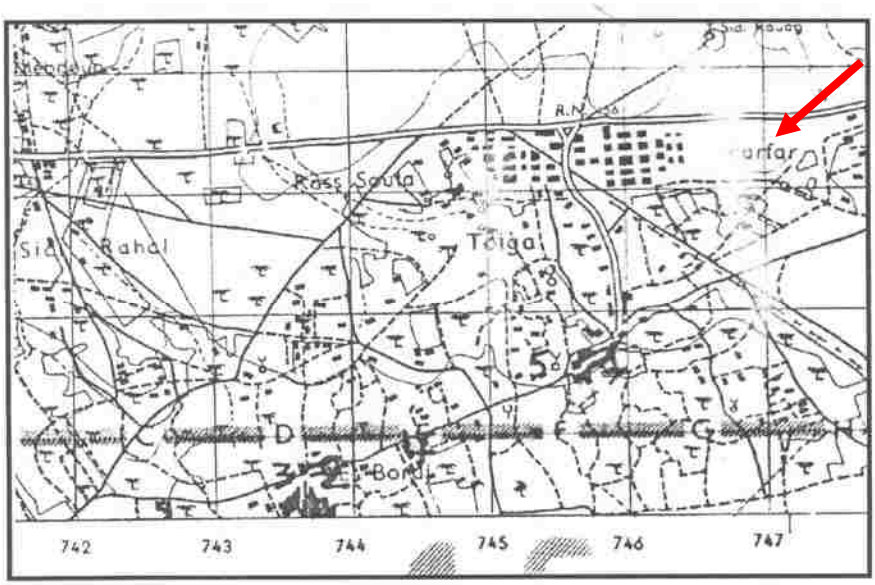

خريطة رقم 29 : موقع مسكن من فرفار بطولقة

المصدر: خريطة طولقة رقم 319 على سلم 50000/1

صورة رقم 27 : وضعية موقع مسكن من فرفار بطولقة

المصدر: Google Earth 2008

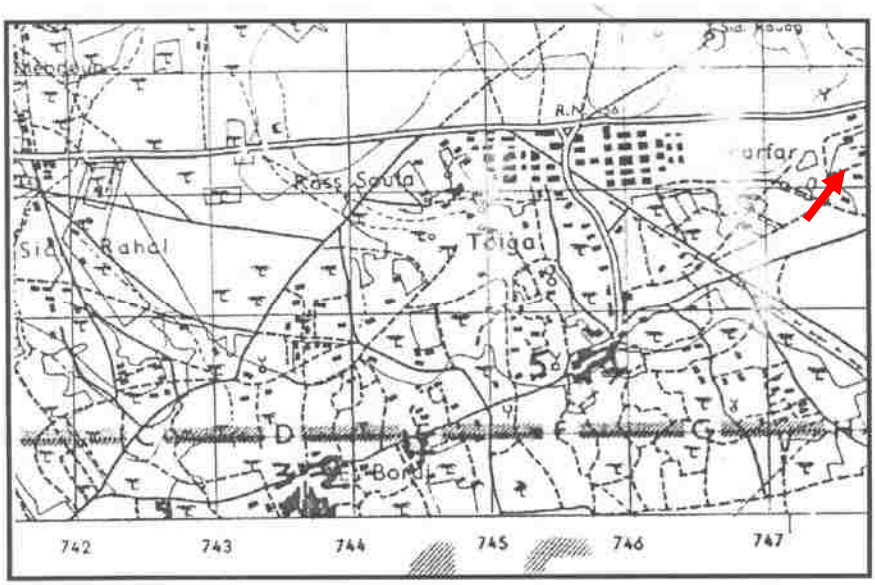

خريطة رقم 30 : موقع رباط سعادة بطولقة

المصدر: خريطة طولقة رقم 319 على سلم 50000/1

صورة رقم 28 : وضعية موقع رباط سعادة بطولقة

المصدر: Google Earth 2008

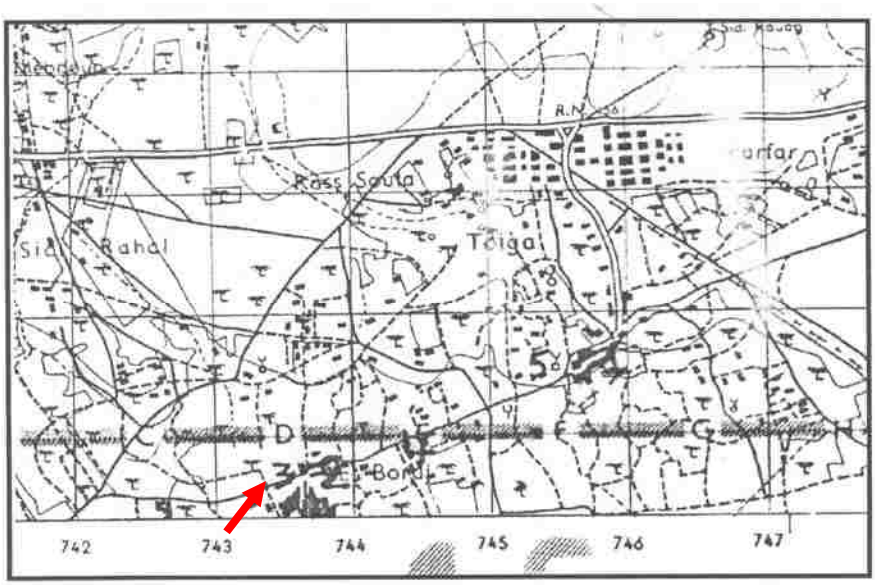

خريطة رقم 31 : موقع رباط بن عزوز ببرج بن عزوز
المصدر: خريطة طولقة رقم 319 على سلم 50000/1

صورة رقم 29 : وضعية موقع رباط بن عزوز ببرج بن عزوز
المصدر: Google Earth 2008

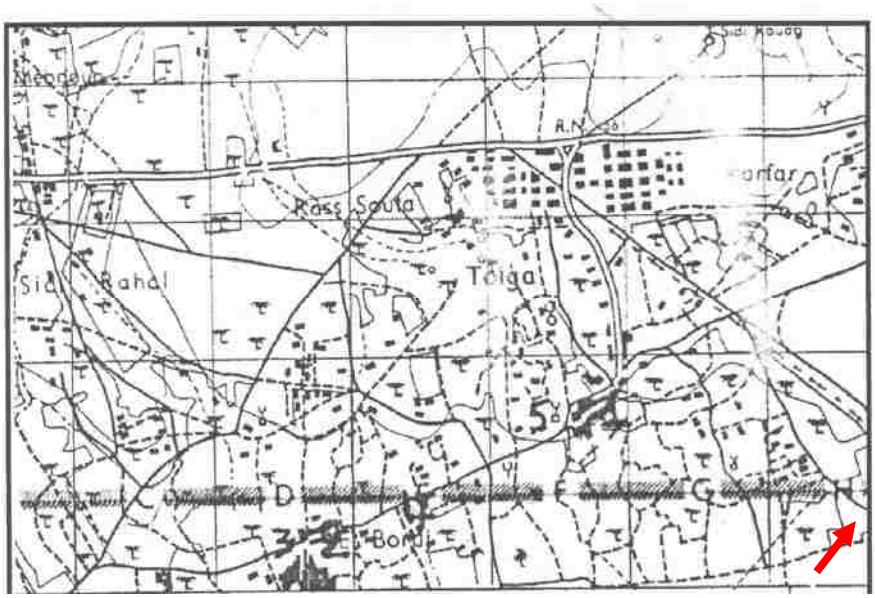

خريطة رقم 32 : موقع حصن ليشانة

المصدر: خريطة طولقة رقم 319 على سلم 50000/1

صورة رقم 30 : وضعية موقع حصن ليشانة

المصدر: Google Earth 2008

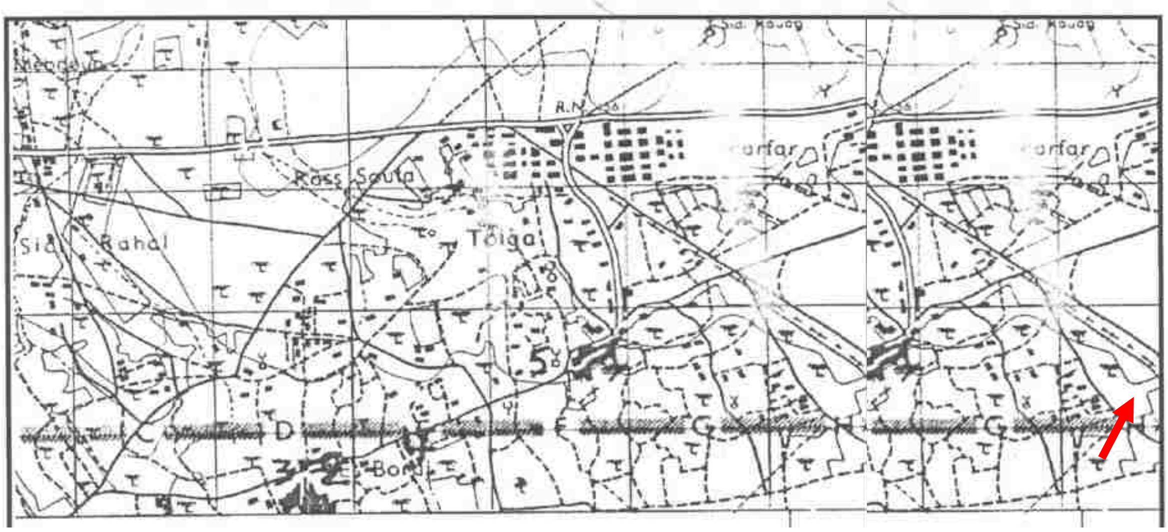

خريطة رقم 33 : موقع حصن أوماش

المصدر: خريطة طولقة رقم 319 على سلم 50000/1

صورة رقم 31 : وضعية موقع حصن أوماش

المصدر: 2008 Google Earth

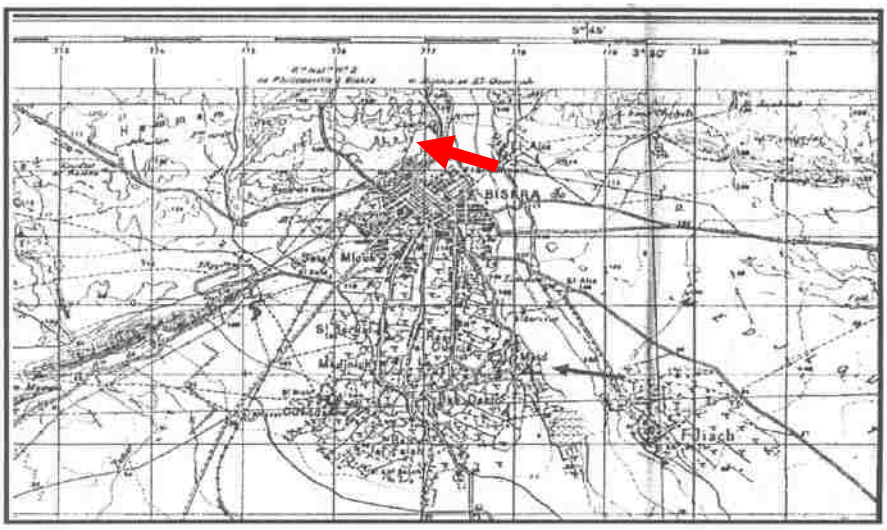

خريطة رقم 34: موقع الحصن العثماني ببسكرة

المصدر: خريطة بسكرة رقم 320 على سلم 50000/1

صورة رقم 32 : وضعية موقع الحصن العثماني ببسكرة

المصدر: Google Earth 2008

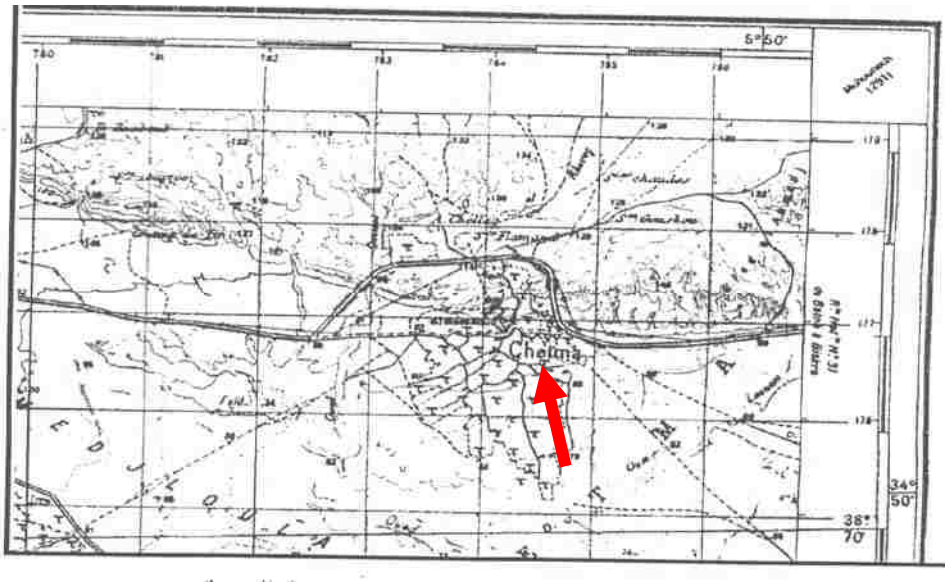

خريطة رقم 35 : موقع حصن شتمة

المصدر: خريطة بسكرة رقم 320 على سلم 50000/1

صورة رقم 33 : وضعية موقع حصن شتمة

المصدر: Google Earth 2008

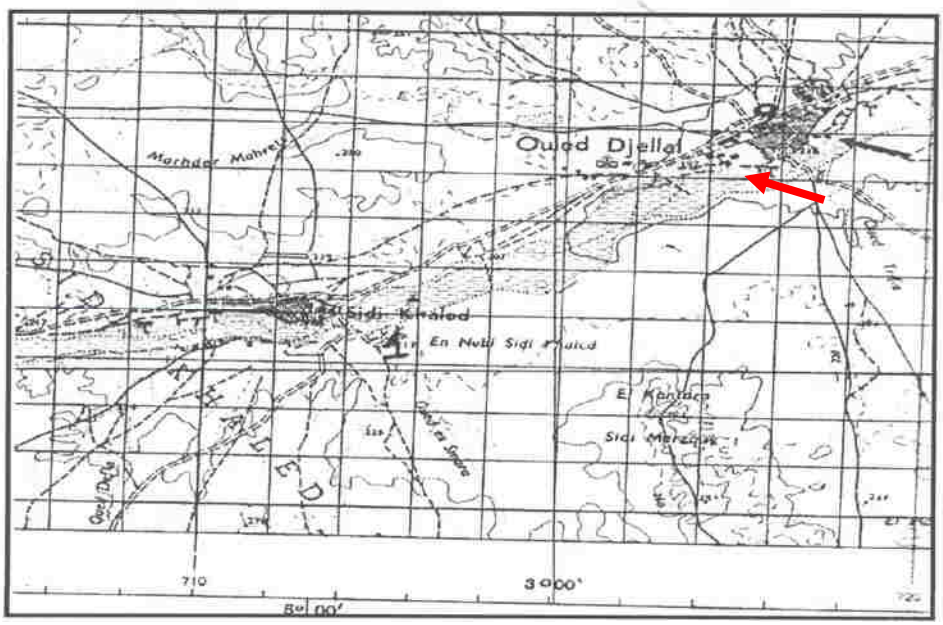

خريطة رقم 36 : موقع حصن أولاد جلال

المصدر: خريطة أولاد جلال رقم 8ـ على سلم 100000/1

صورة رقم 34 : وضعية موقع حصن أولاد جلال

المصدر: Google Earth 2008

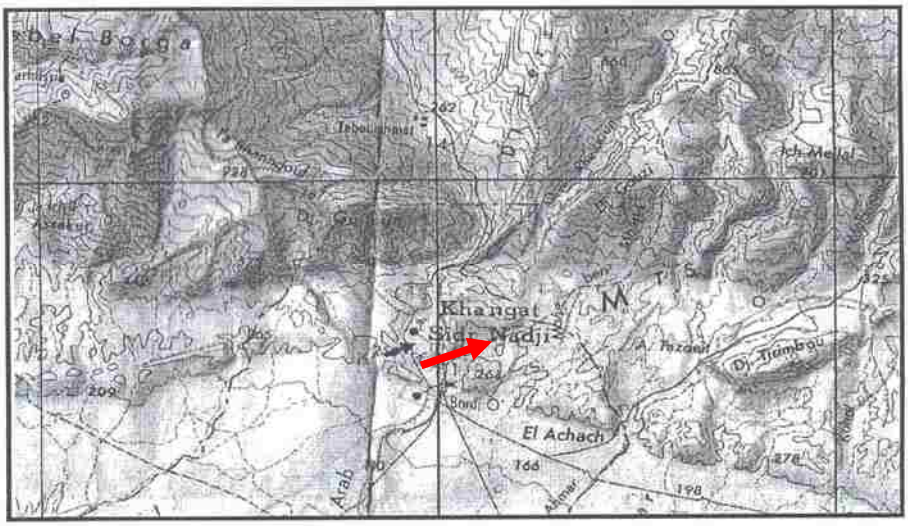

خريطة رقم 37 : موقع حصن السطح بخنقة سيدي ناجي
المصدر: خريطة زربية الوادي رقم XIII ـ 32 NI على سلم 200000/1

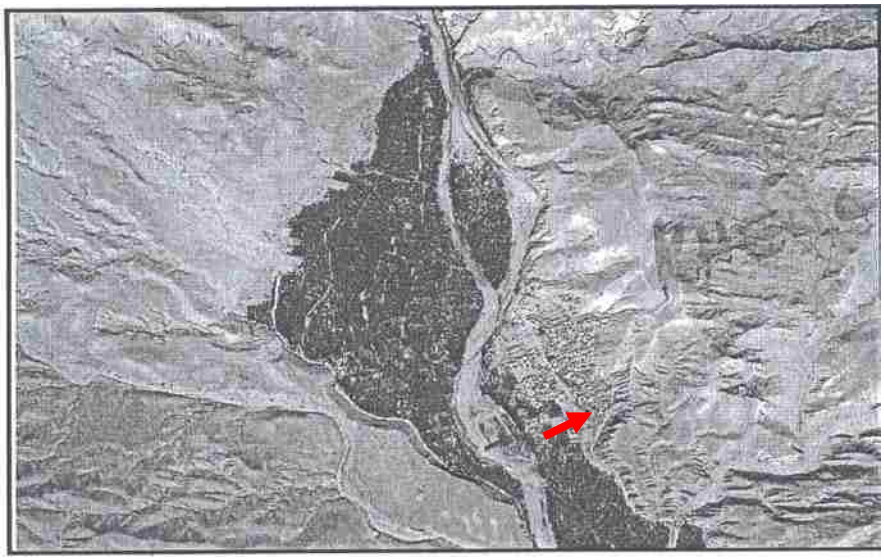

صورة رقم 35 : وضعية موقع حصن السطح بخنقة سيدي ناجي
المصدر: صورة جوية رقم 052 مهمة 1963 (INC)

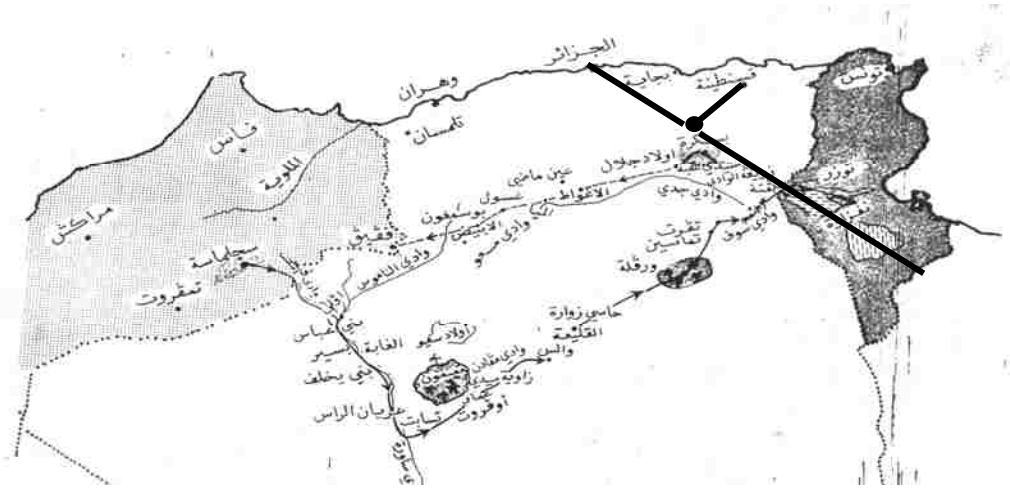

خريطة رقم 38 : بسكرة ملتقى الطرق التجارية(بتصرف الطالب)

خريطة رقم 39 : الطرق الرئيسية الواصلة بين مناطق الشمال وبسكرة
(بتصرف الطالب) عن أبو راس الناصري لمخطوطه (عجائب الأسفار ولطائف الأخبار)

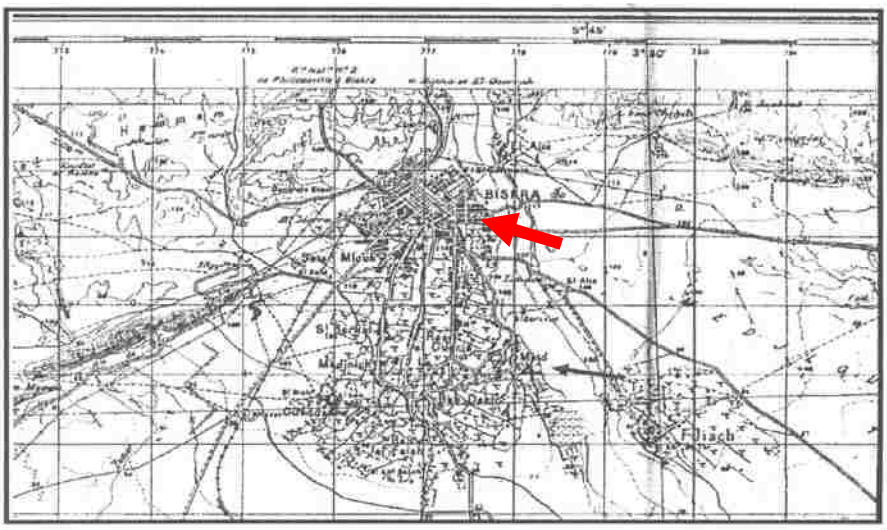

خريطة رقم 40: موقع سوق بسكرة القديمة ووكالته التجارية
المصدر: خريطة بسكرة رقم 320 على سلم 50000/1

صورة رقم 36 : وضعية موقع سوق بسكرة القديمة ووكالته التجارية
المصدر: Google Earth 2008

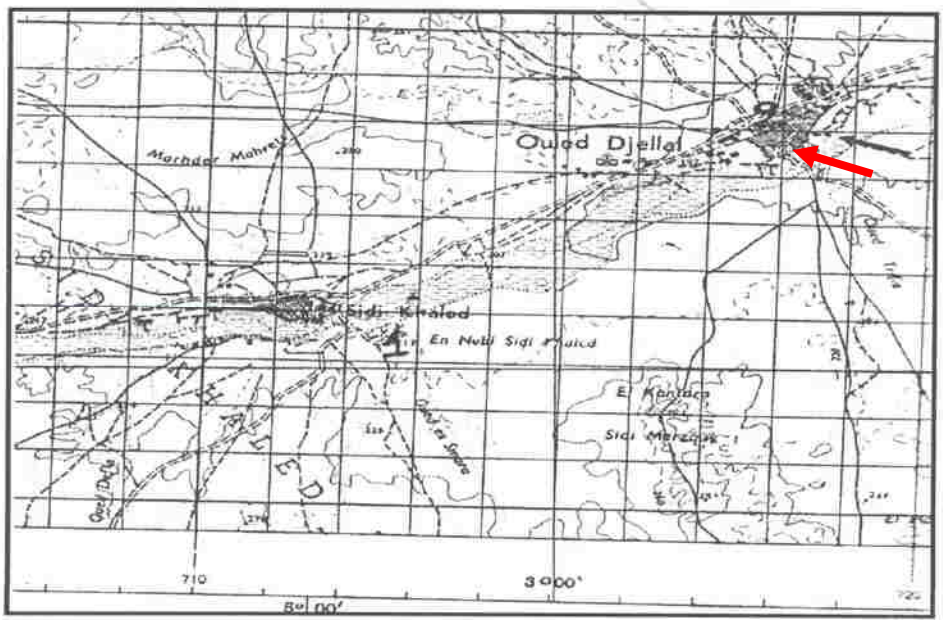

خريطة رقم 41: موقع رحبة أولاد جلال القديمة ووكالته التجارية

المصدر: خريطة أولاد جلال رقم 8ـ على سلم 100000/1

صورة رقم 37 : وضعية موقع رحبة أولاد جلال القديمة ووكالته التجارية

المصدر: Google Earth 2008

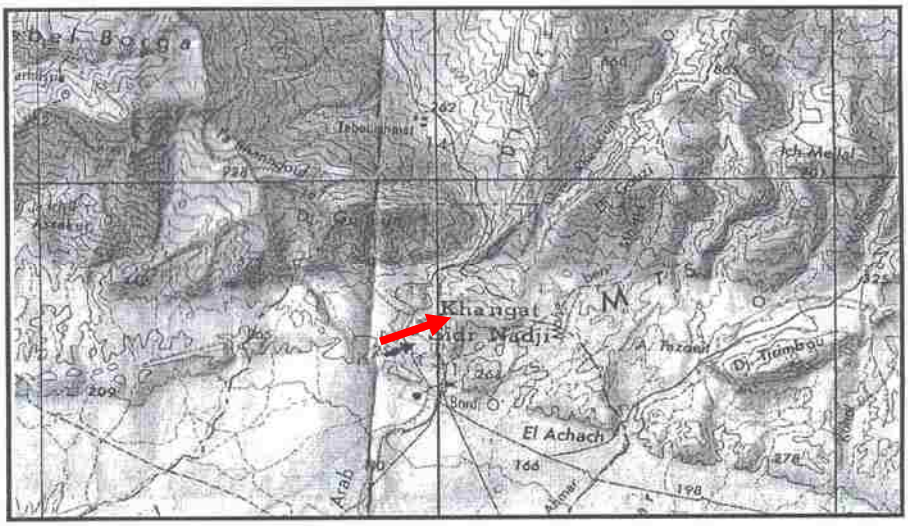

خريطة رقم 42 : موقع سوق خنقة سيدي ناجي
المصدر: خريطة زربية الوادي رقم XIII ـ 32 NI على سلم 200000/1

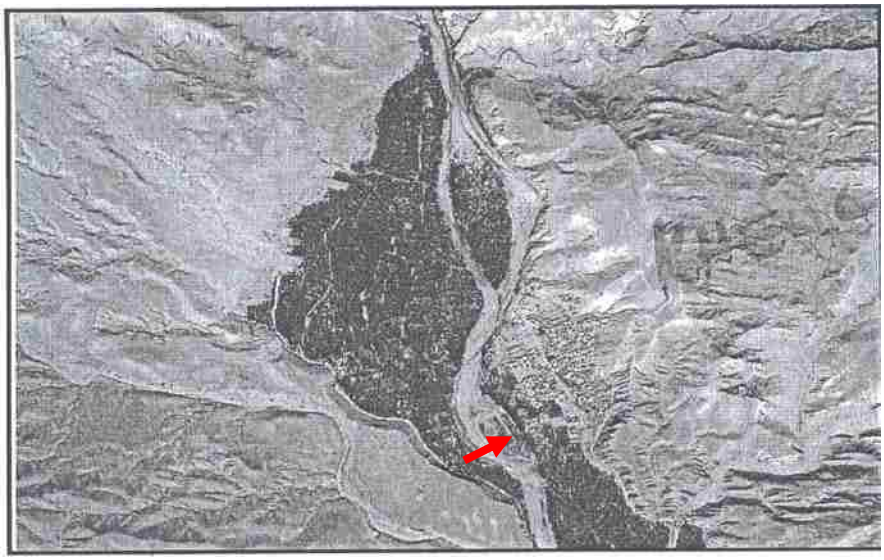

صورة رقم 38 : وضعية موقع سوق خنقة سيدي ناجي
المصدر: صورة جوية رقم 052 مهمة 1963 (INC)

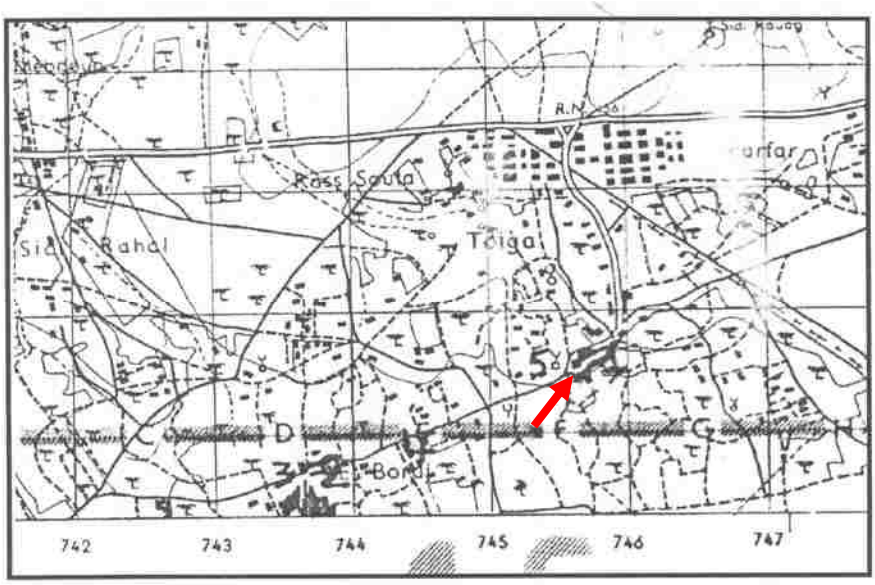

خريطة رقم 43 : موقع سوق رحبة القمح بطولقة

المصدر: خريطة طولقة رقم 319 على سلم 50000/1

صورة رقم 39 : وضعية موقع سوق رحبة القمح بطولقة

المصدر: Google Earth 2008

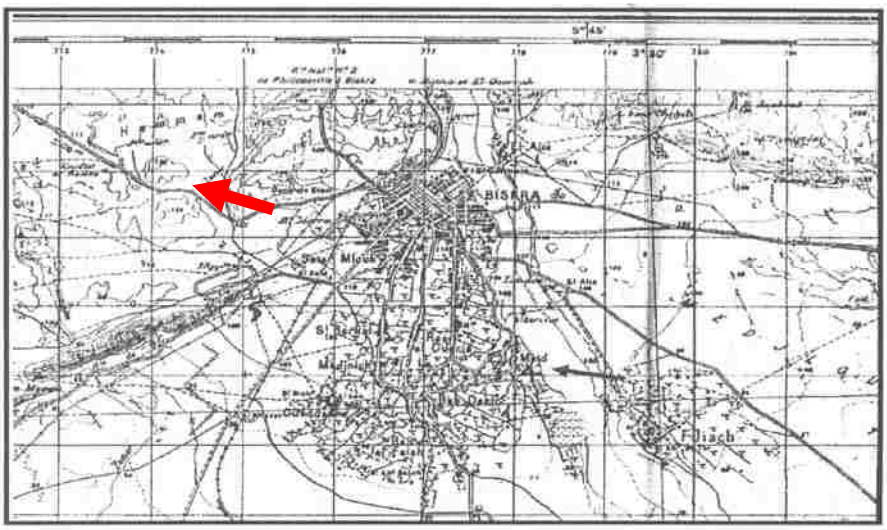

خريطة رقم 44: موقع حمام الصالحين ببسكرة

المصدر: خريطة بسكرة رقم 320 على سلم 50000/1

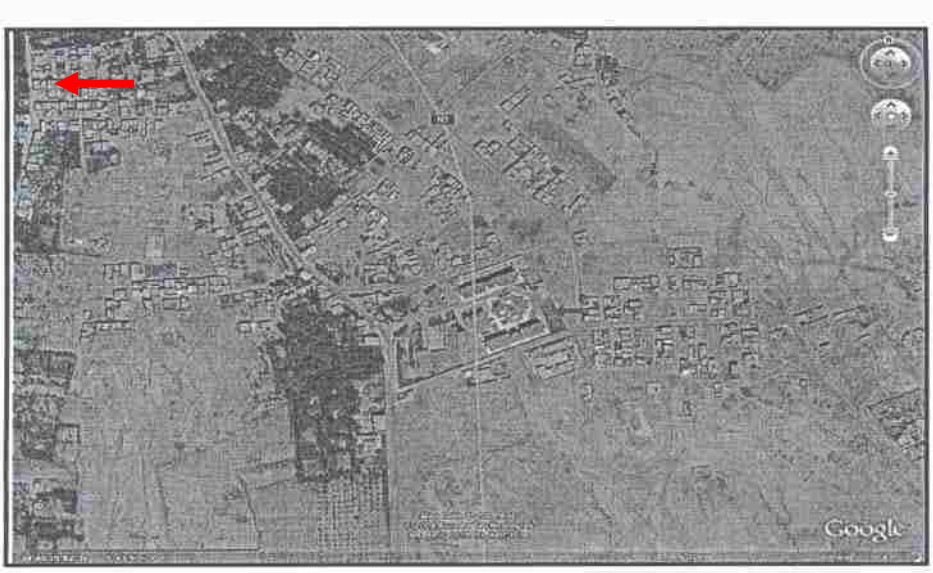

صورة رقم 40 : وضعية موقع حمام الصالحين ببسكرة

المصدر: Google Earth 2008

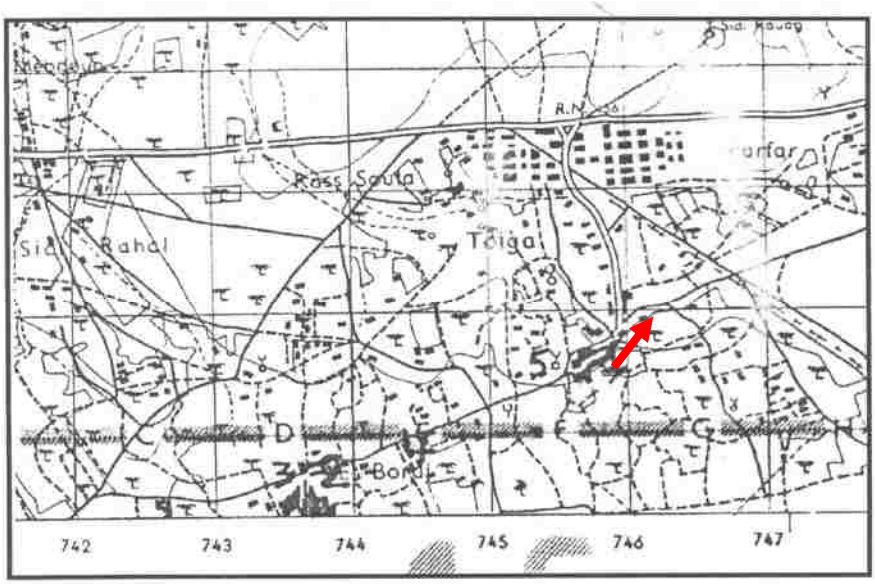

خريطة رقم 45 : موقع حمام طولقة القديمة

المصدر: خريطة طولقة رقم 319 على سلم 50000/1

صورة رقم 41 : وضعية موقع حمام طولقة القديمة

المصدر: Google Earth 2008

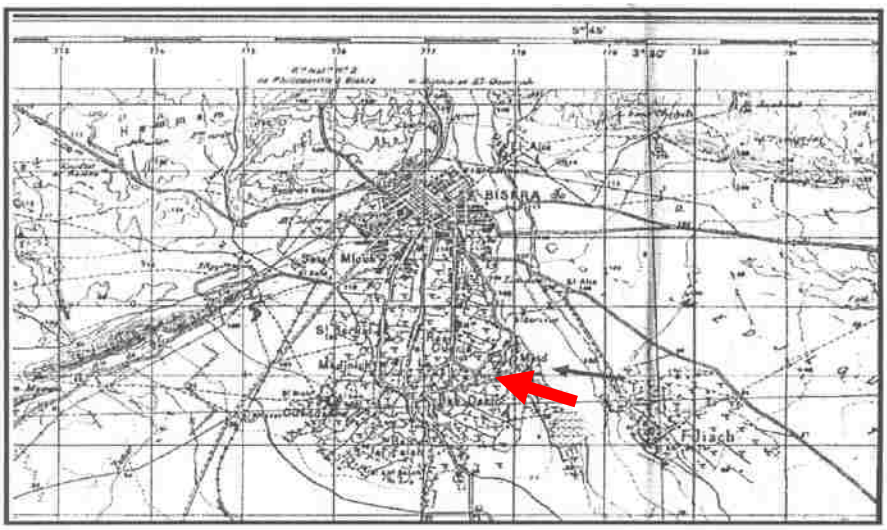

خريطة رقم 46: موقع دار الضرب ببسكرة

المصدر: خريطة بسكرة رقم 320 على سلم 50000/1

صورة رقم 42 : وضعية موقع دار الضرب ببسكرة

المصدر: Google Earth 2008

ملحق الأشكال

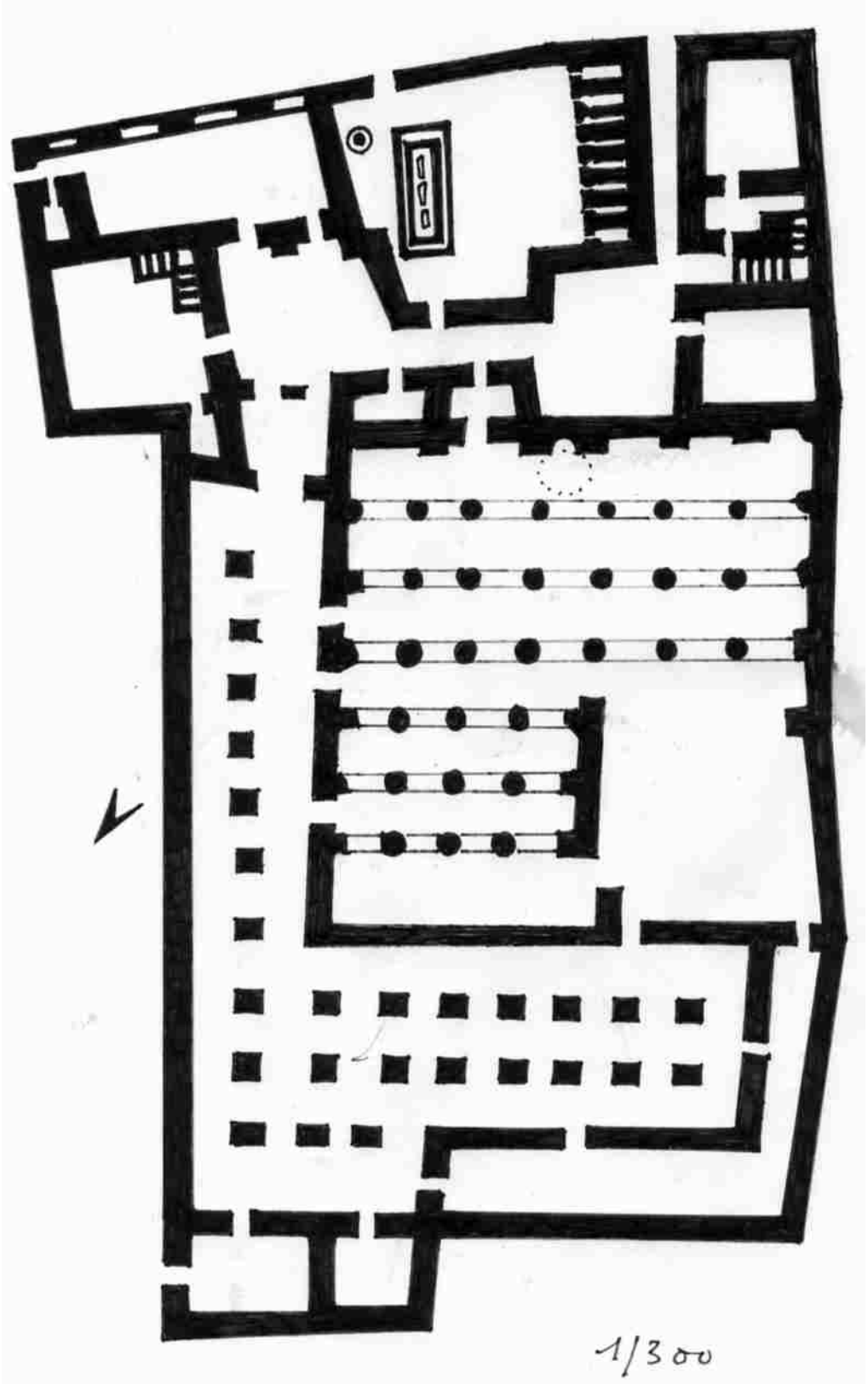

الشكل رقم 01 : المخطط العام لمسجد سيد عقبة
عن (ع.ع . شهبي)

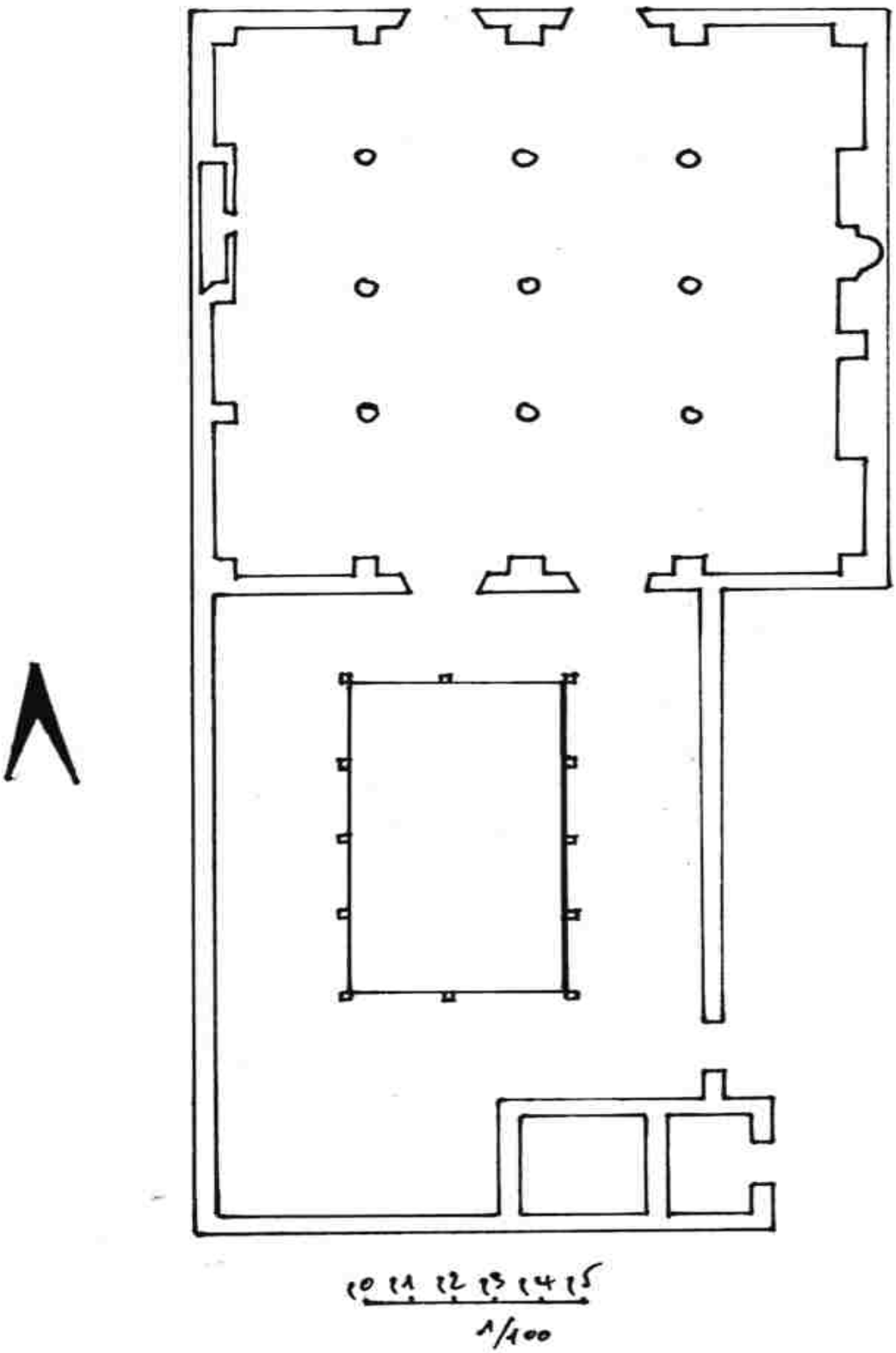

الشكل رقم 02 : مخطط المسجد العتيق بطولقة

ـ من إعداد الطالب ـ

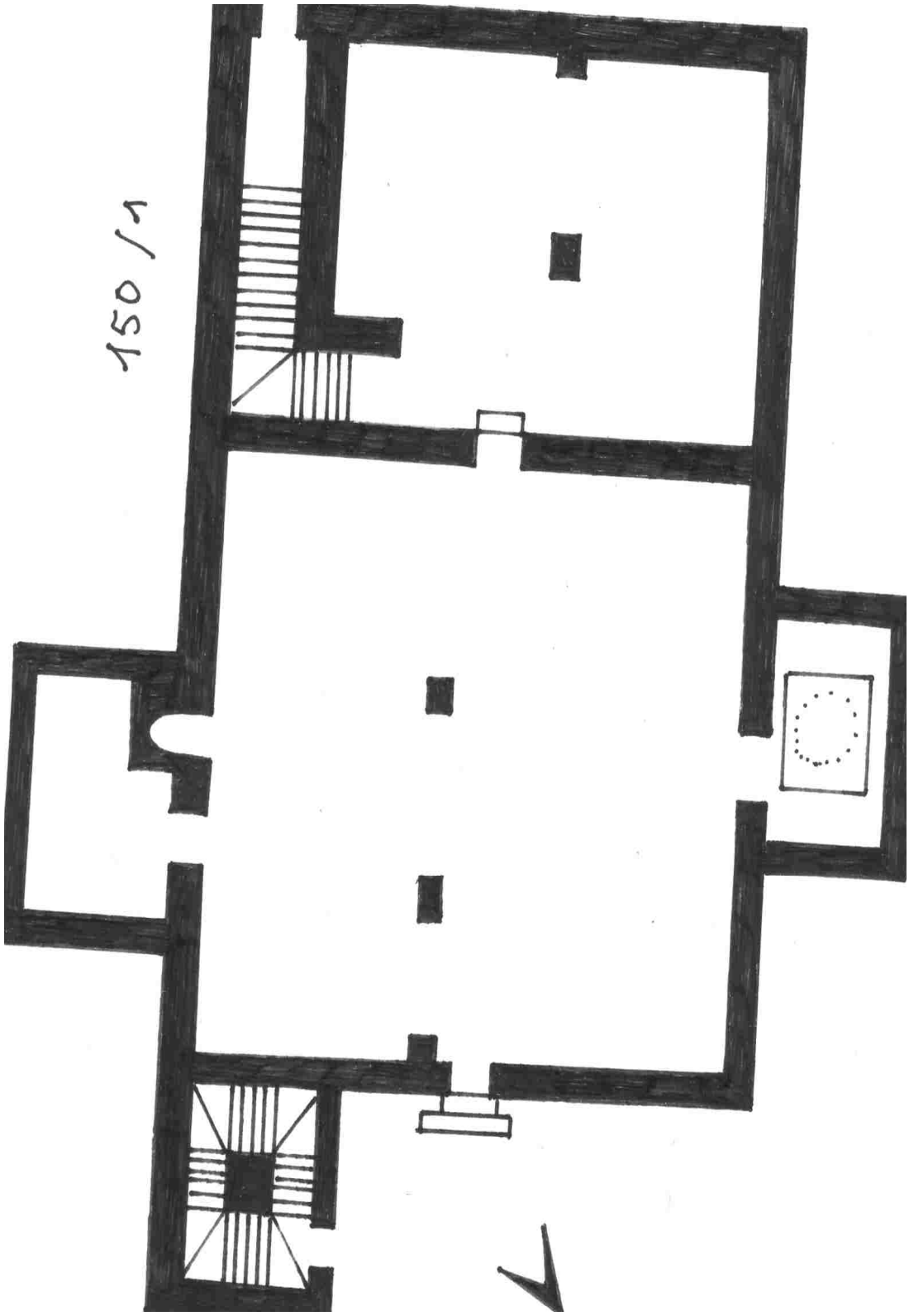

الشكل رقم 03 : مخطط مسجد سيدي مسعود

ـ من إعداد الطالب ـ

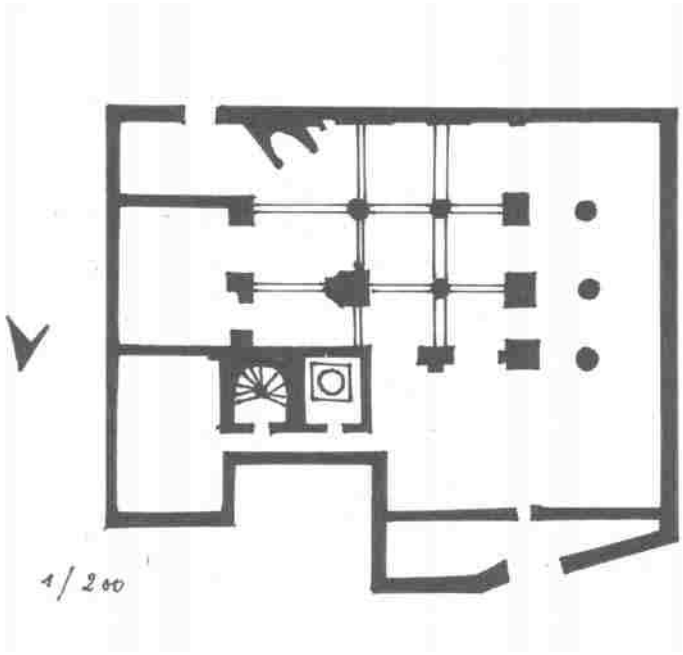

الشكل رقم 04 : مخطط مسجد سيدي موسى الخذري
ـ من إعداد الطالب ـ

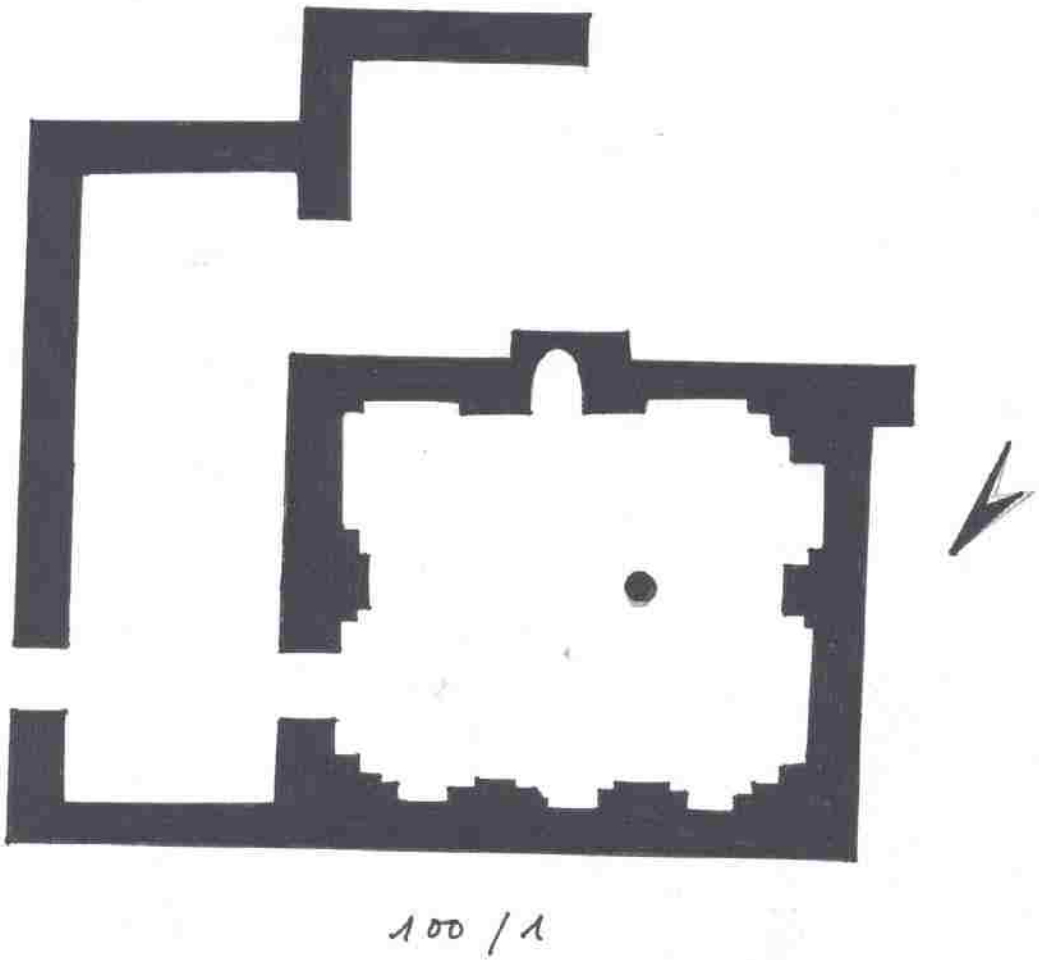

الشكل رقم 05 : مخطط مسجد أبي الفضل
ـ من إعداد الطالب ـ

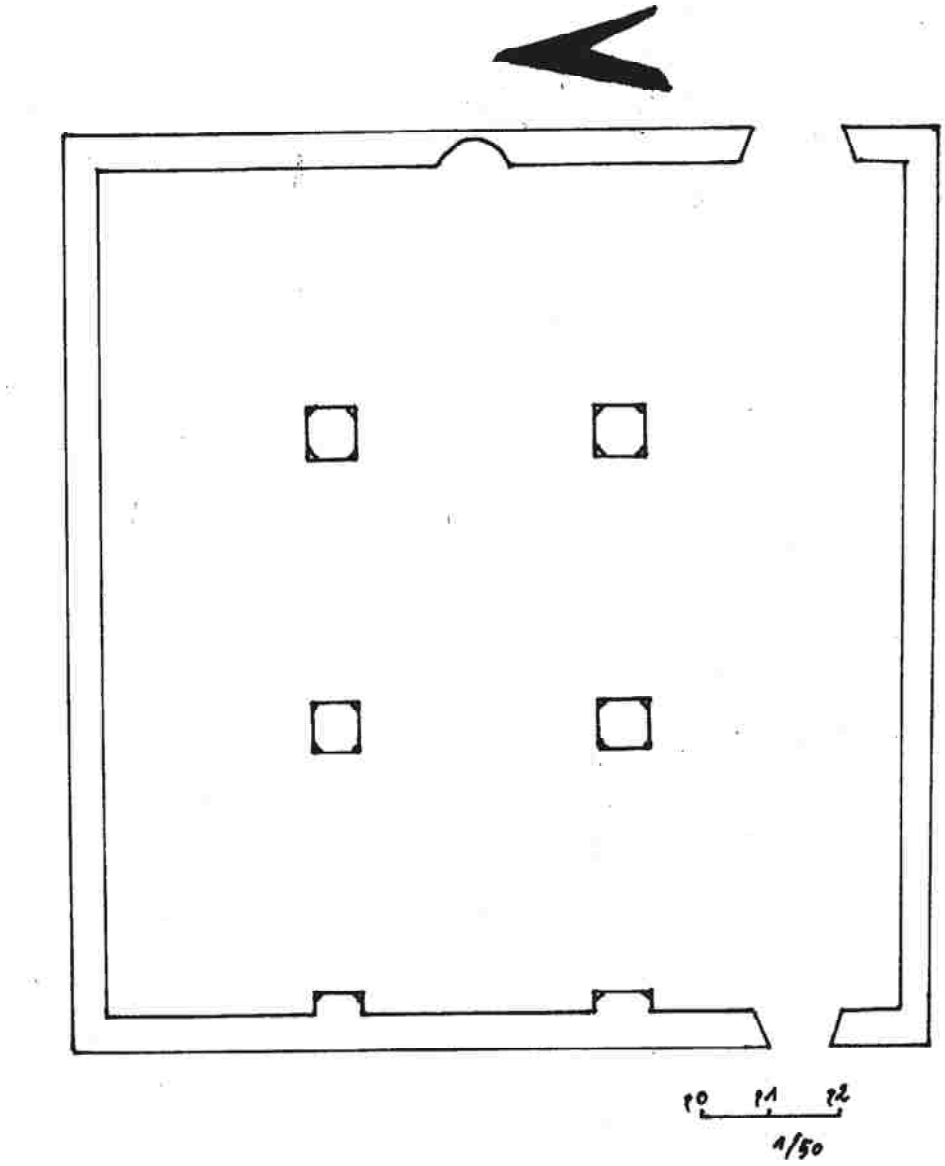

الشكل رقم 06 : مخطط مسجد خالد بن سنان العبسي
ـ من إعداد الطالب ـ

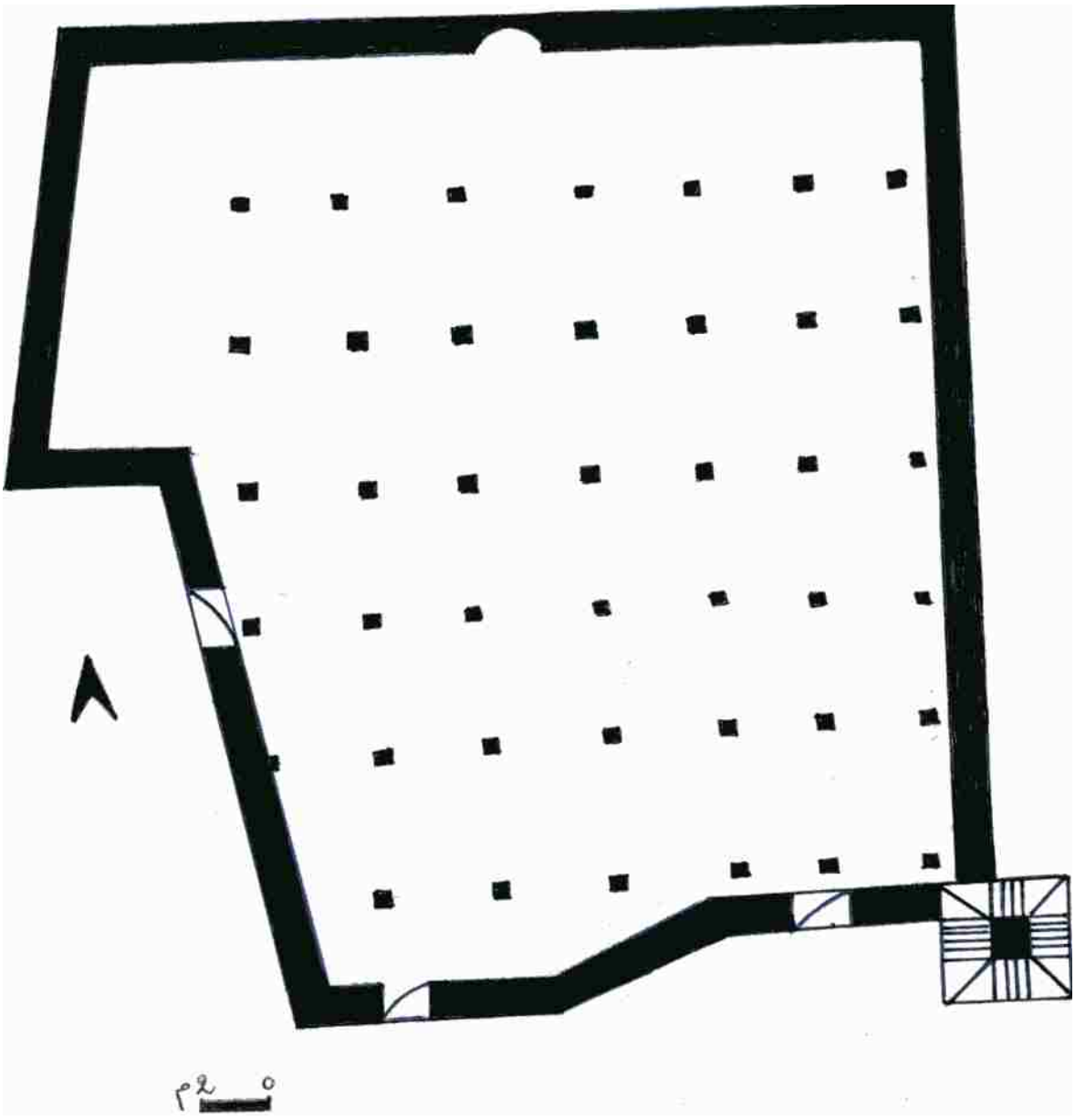

الشكل رقم 07: مخطط مسجد سيدي مبارك
ـ من إعداد الطالب ـ

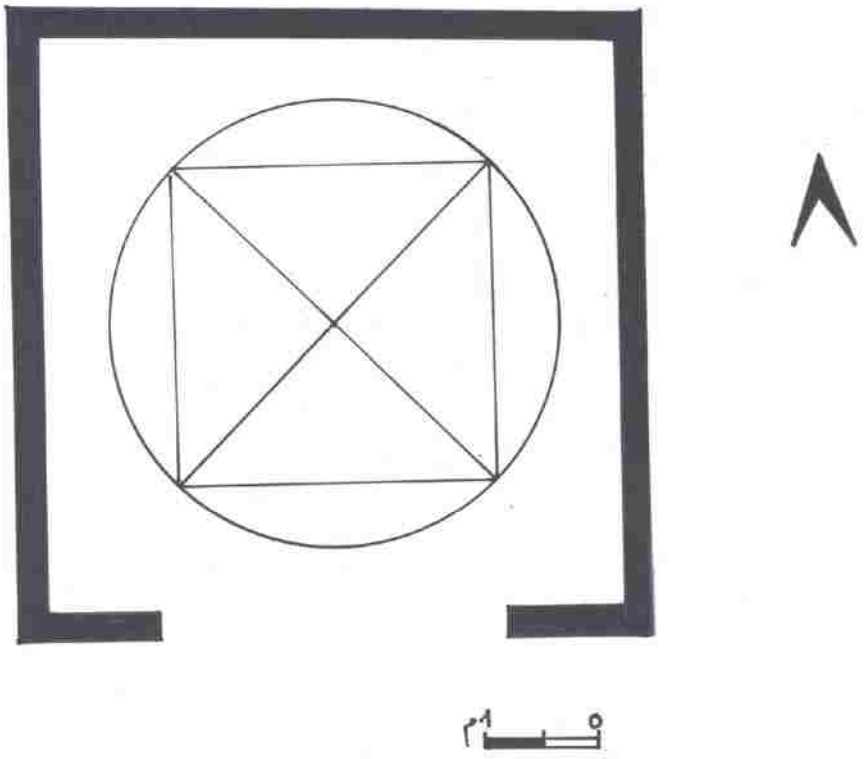

الشكل رقم 08: مخطط ضريح سيدي عقبة
ـ من إعداد الطالب ـ

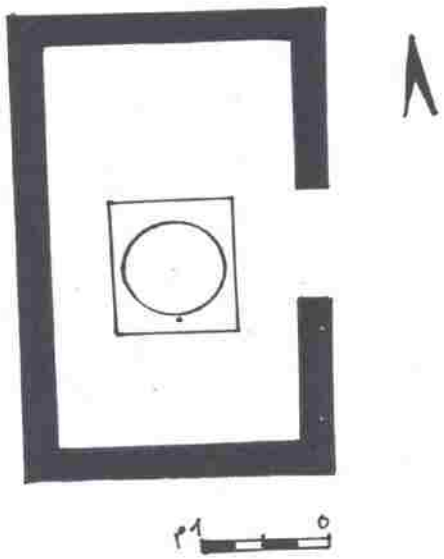

الشكل رقم 09: مخطط ضريح سيدي مسعود
ـ من إعداد الطالب ـ

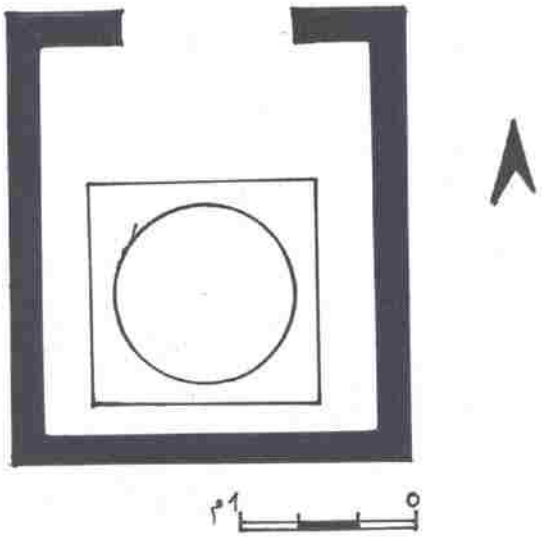

الشكل رقم 10 : مخطط ضريح سيدي موسى
ـ من إعداد الطالب ـ

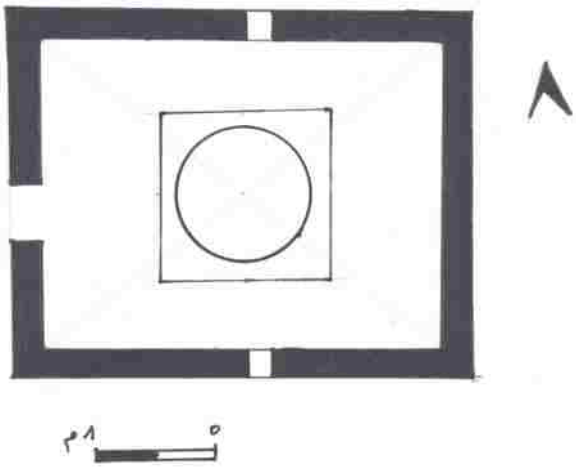

الشكل رقم 11 : مخطط ضريح سيدي أبي الفضل
ـ من إعداد الطالب ـ

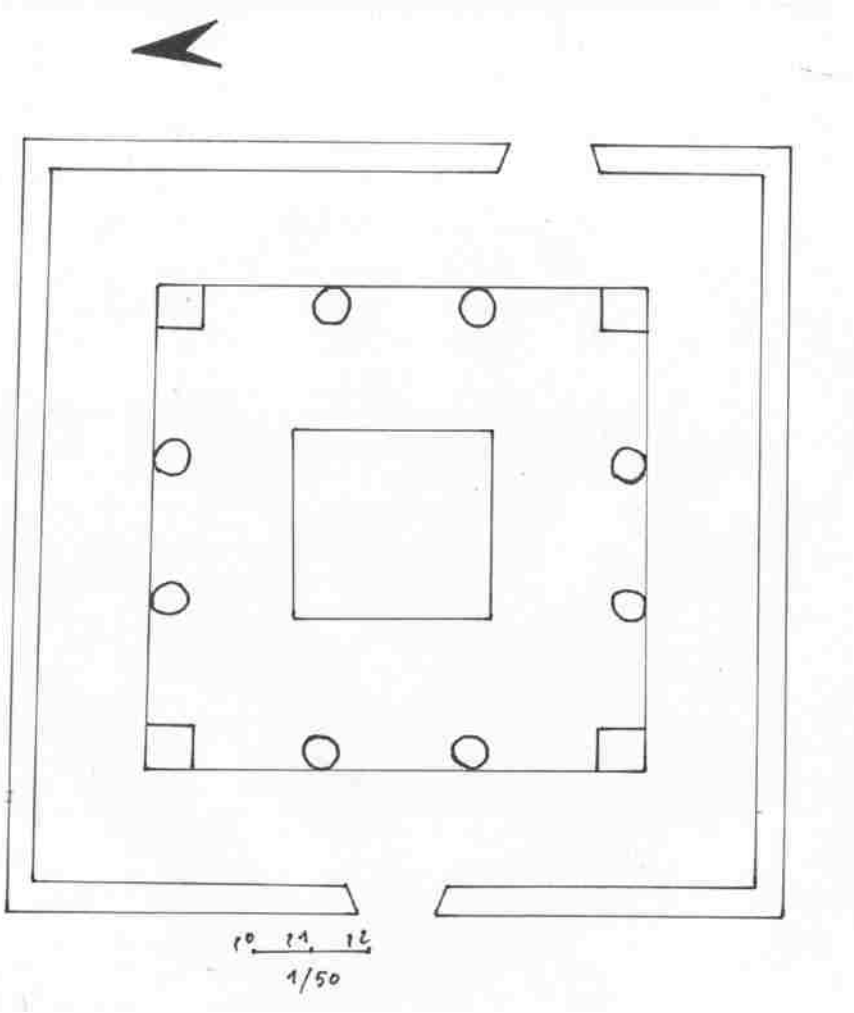

الشكل رقم 12 : مخطط ضريح خالد بن سنان العبسي
ـ من إعداد الطالب ـ

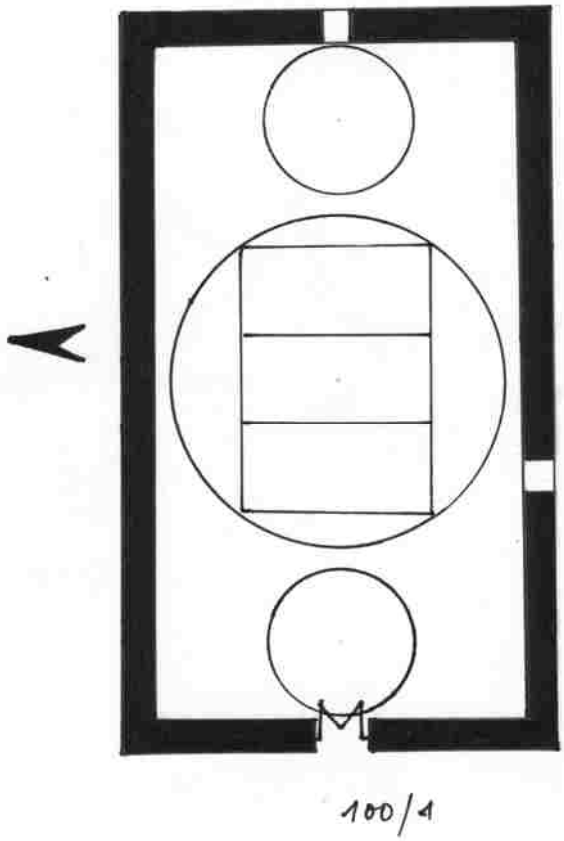

الشكل رقم 13 : مخطط ضريح العائلة المختارية
ـ من إعداد الطالب ـ

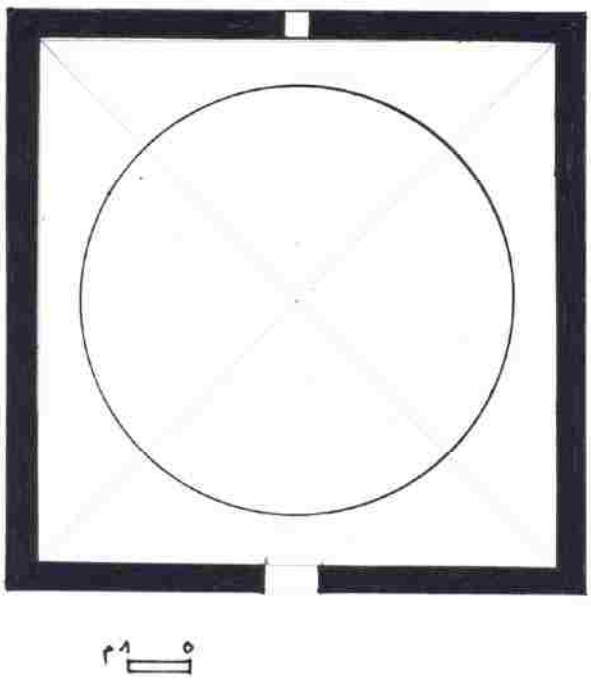

الشكل رقم 14 : مخطط ضريح سيدي مبارك
ـ من إعداد الطالب ـ

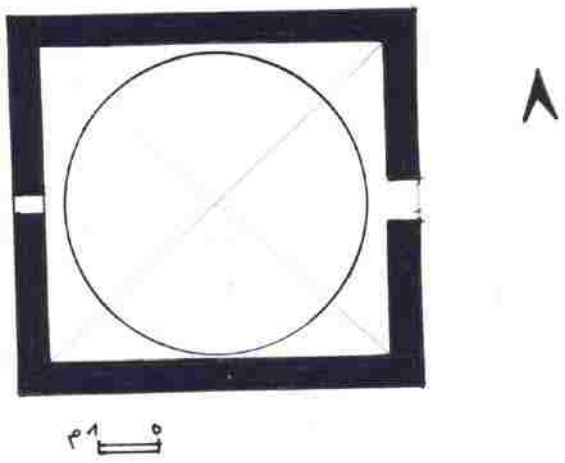

الشكل رقم 15 : مخطط ضريح سيدي عبد المؤمن
ـ من إعداد الطالب ـ

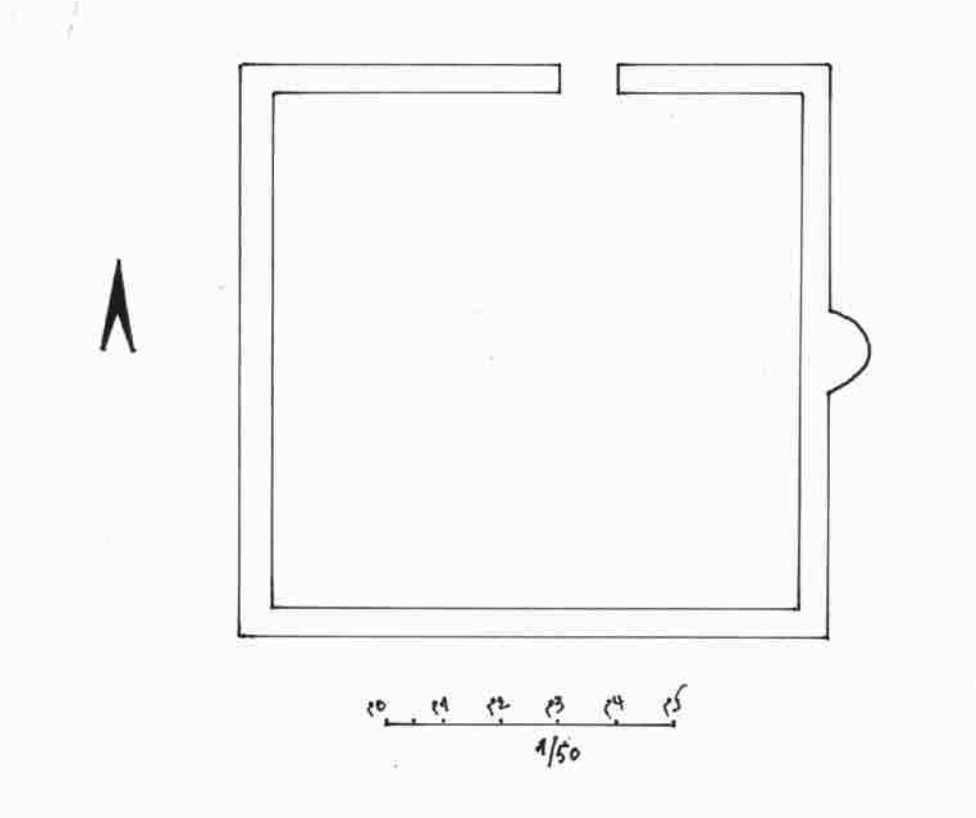

الشكل رقم 16 : مخطط ضريح سيدي علي بن عثمان
ـ من إعداد الطالب ـ

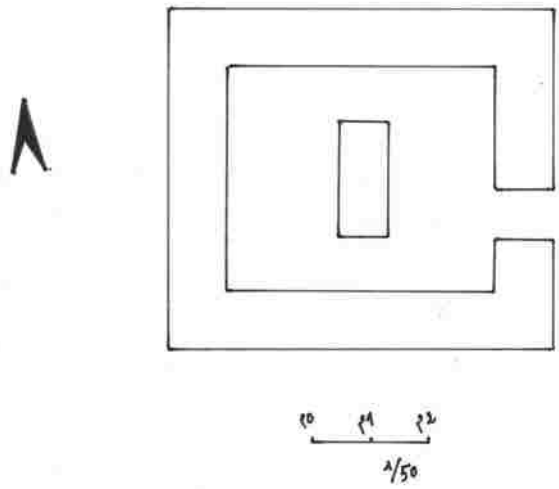

الشكل رقم 17: مخطط ضريح سيدي سليمان
ـ من إعداد الطالب ـ

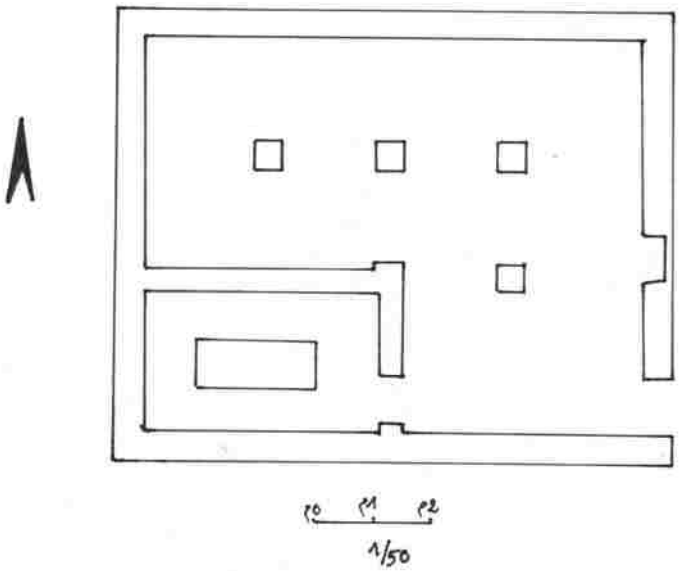

الشكل رقم 18 : مخطط ضريح سيدي عطية
ـ من إعداد الطالب ـ

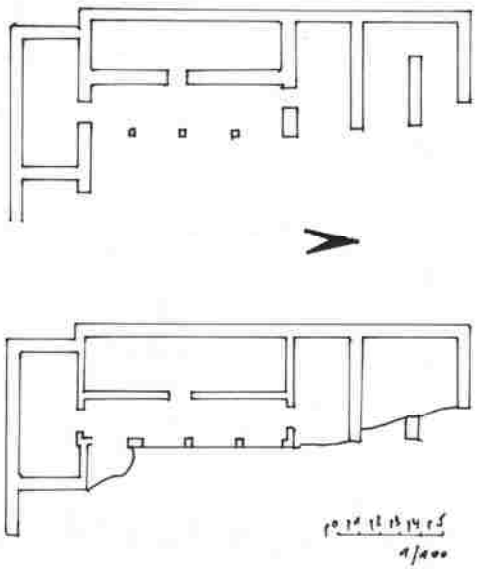

1 ـ الطابق العلوي

2 ـ الطابق السفلي

الشكل رقم 19 : مخطط الطابق الأرضي والعلوي لملاحق زاوية الشيخ علي بن عمر
ـ من إعداد الطالب ـ

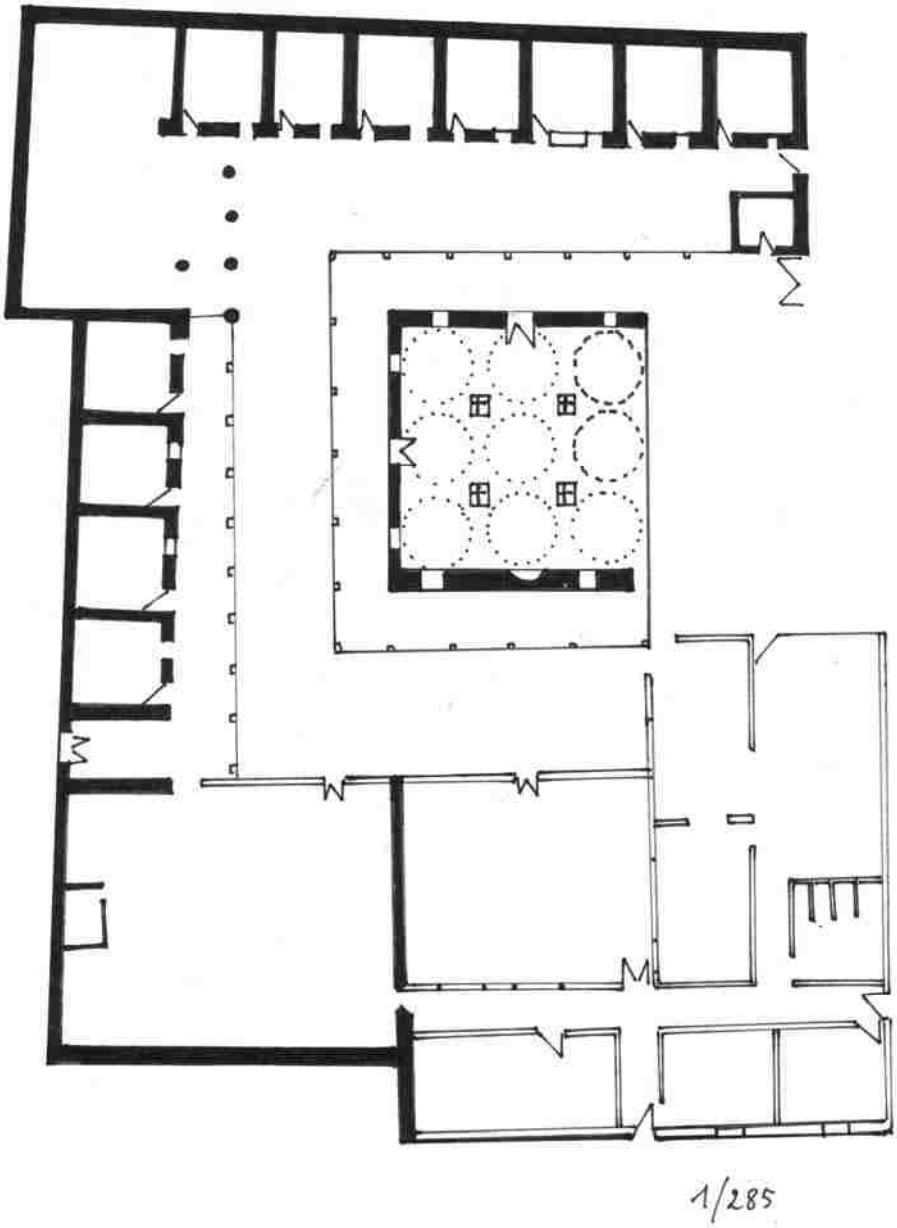

الشكل رقم 20 : مخطط زاوية الشيخ المختار
ـ من مكتبة الزاوية المختارية ـ

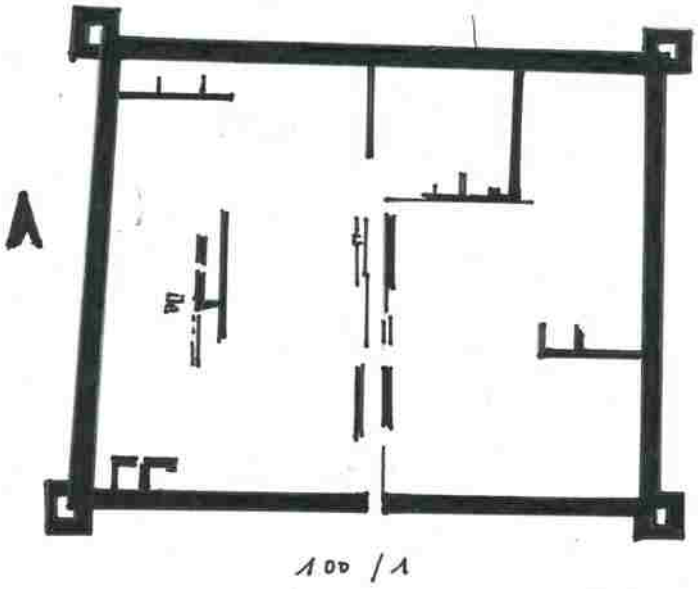

الشكل رقم 21 : مخطط افتراضي لقصر الدوسن
ـ من تخطيط وتصور الطالب ـ

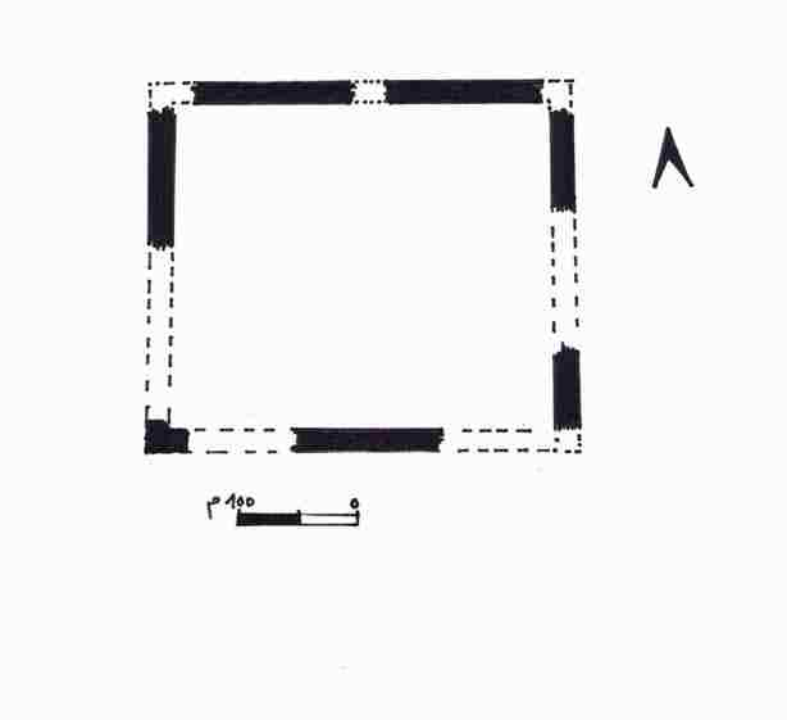

الشكل رقم 22 : مخطط افتراضي لقصر تنومة
ـ من تخطيط وتصور الطالب ـ

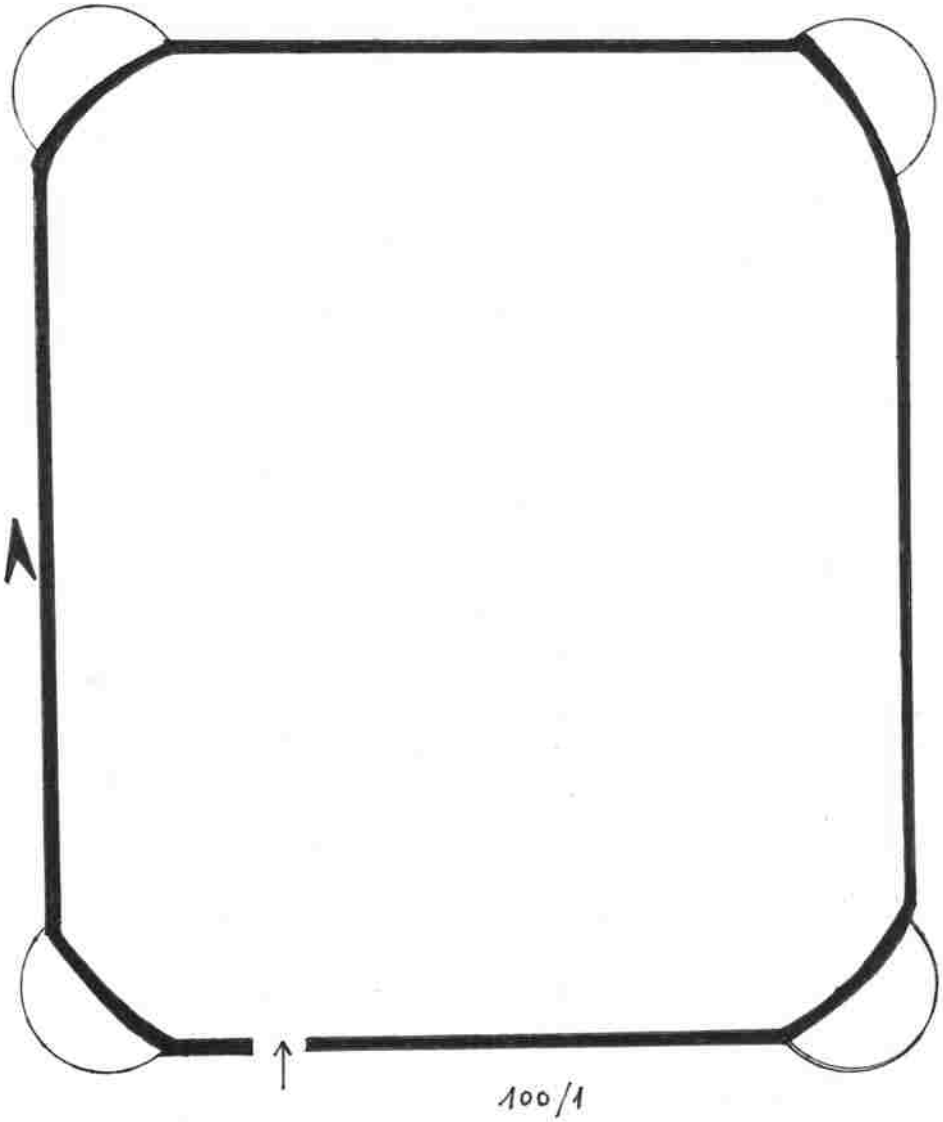

الشكل رقم 23 : مخطط قصبة أولاد جلال

عن (S . Gsell)

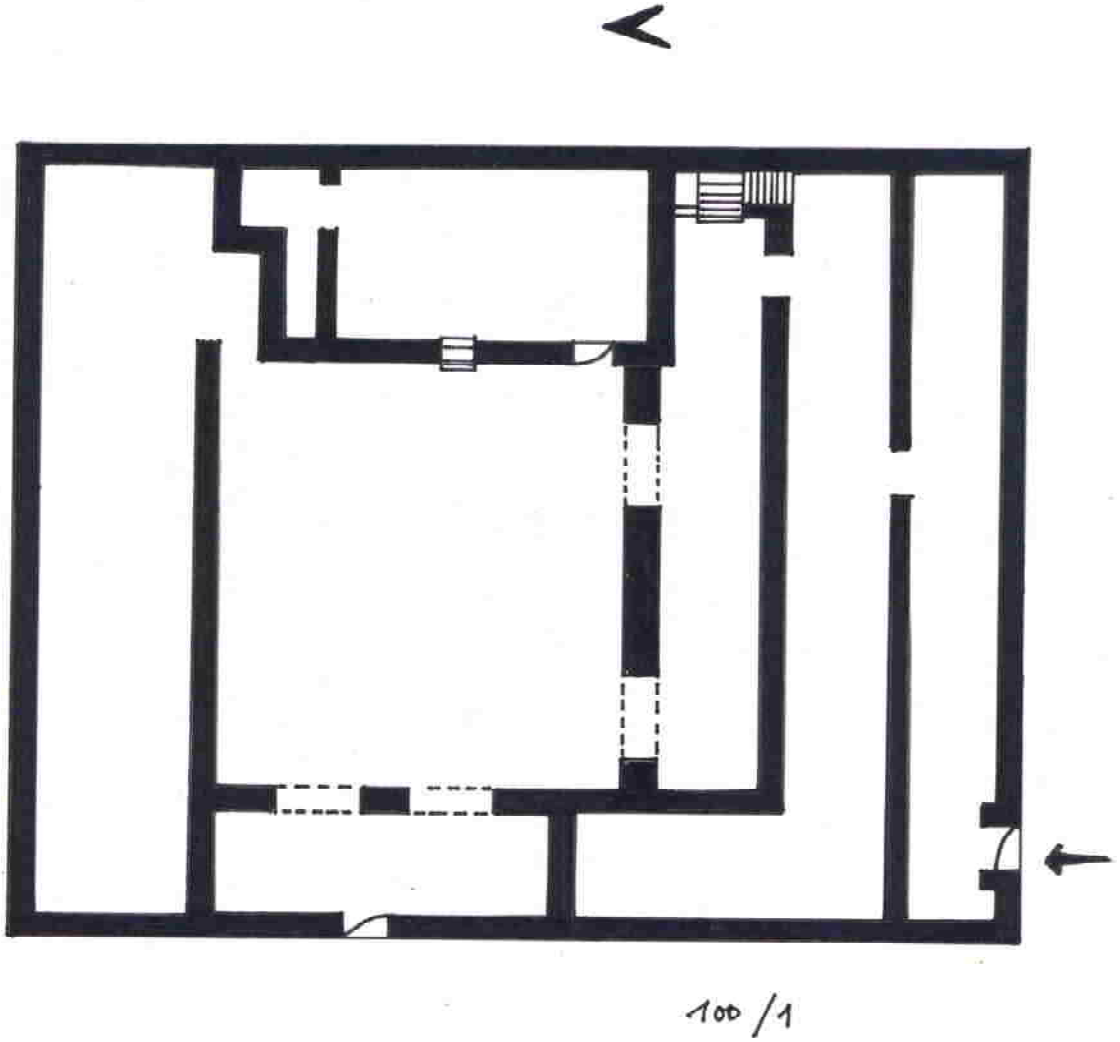

الشكل رقم 24 : مخطط مسكن عبد الحفيظ الخنقي
ـ من إعداد الطالب ـ

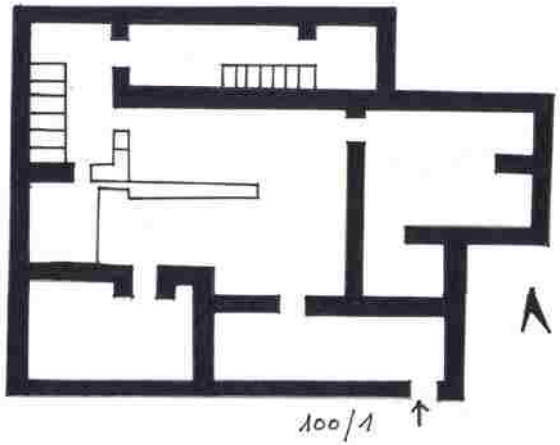

الشكل رقم 25 : مخطط مسكن الشيخ العيد بن شنشونة
ـ من إعداد الطالب ـ

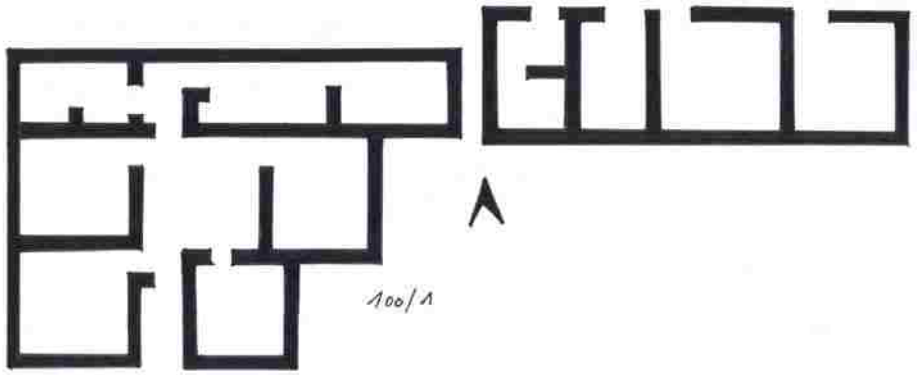

الشكل رقم 26 : مخطط مسكن من أوماش
ـ من إعداد الطالب ـ

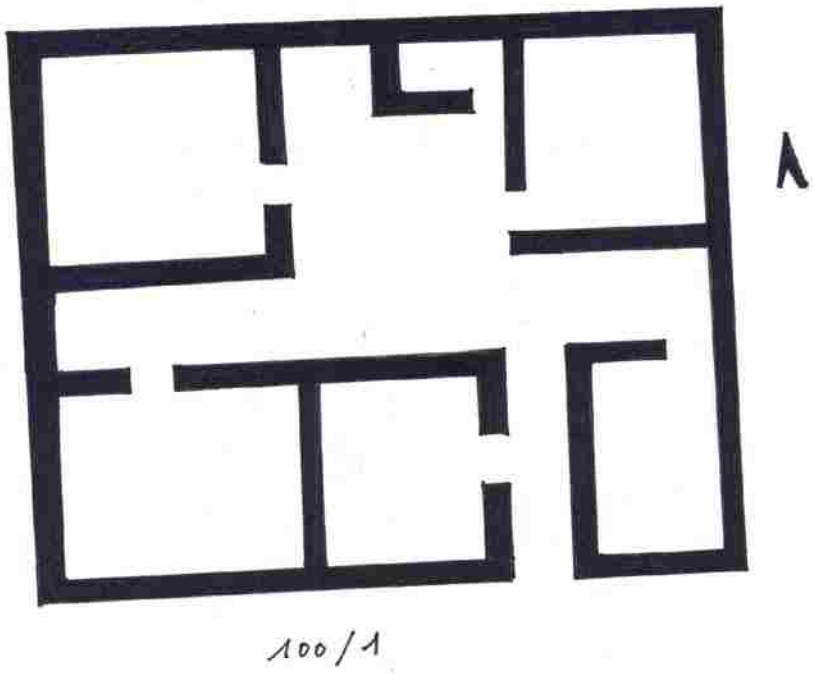

الشكل رقم 27 : مخطط مسكن من فرفار
ـ من إعداد الطالب ـ

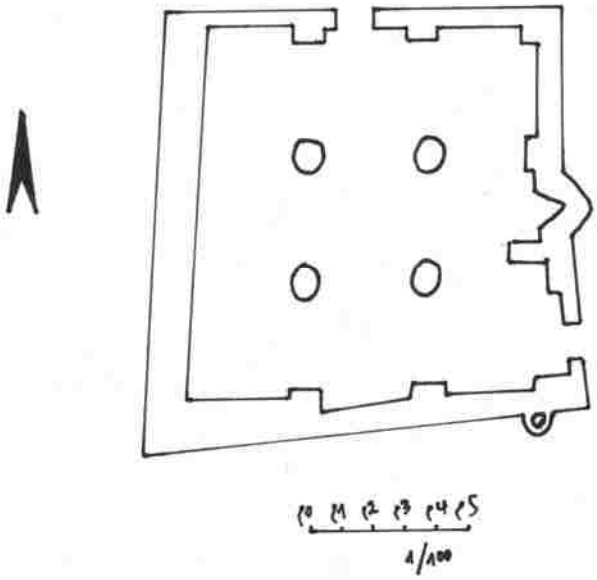

الشكل رقم 28 : مخطط من رباط بن عزوز
ـ من إعداد الطالب ـ

الشكل رقم 29 : مخطط يبين الخندق الذي كان يحيط بالمدينة خلال القرن 5 هـ حتى 10 هـ

- من تصور وعمل الطالب -

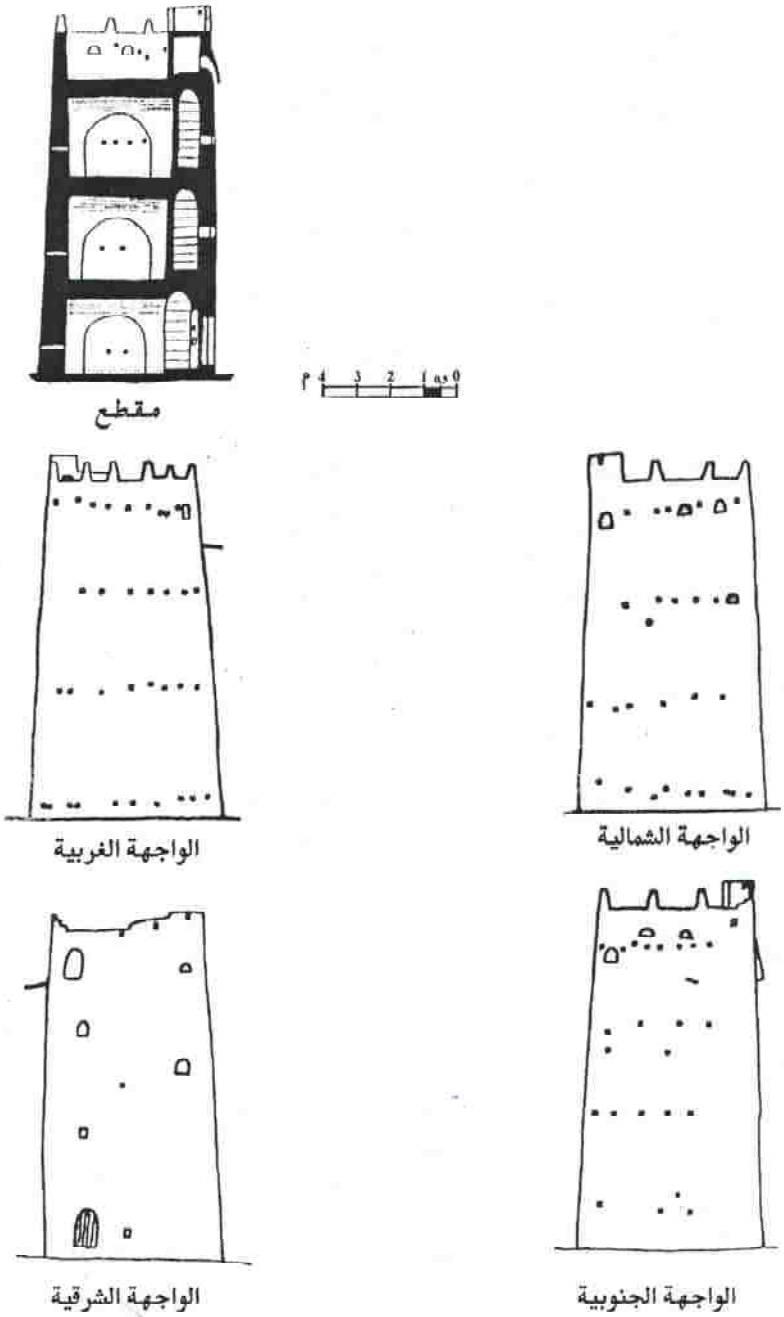

الشكل رقم 30 : مخطط الأبراج الدفاعية في منطقة الزاب
ـ من تصورالطالب ـ

ملحق اللوحات

اللوحة رقم 01 : نص كتابي داخل محراب مسجد سيدي عقبة يوضح سنة إصلاح المسجد وصاحب الترميم

اللوحة رقم 02 : لوحة تأسيسية بجدار غرفة ضريح سيدي عقبة تبين اسم المرمم

اللوحة رقم 03 : بيت الصلاة لمسجد سيدي عقبة

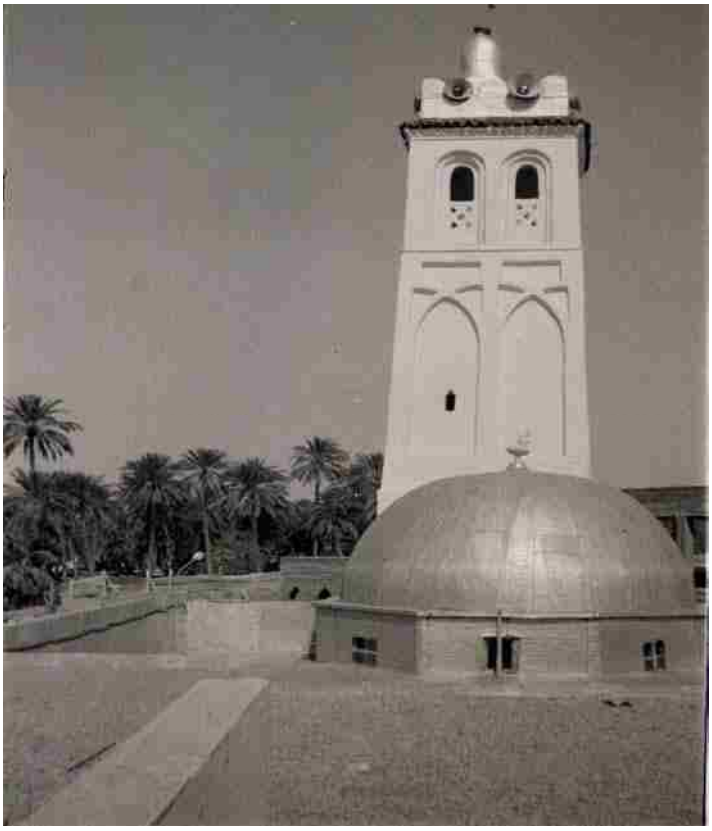

اللوحة رقم 04 : مئذنة مسجد سيدي عقبة

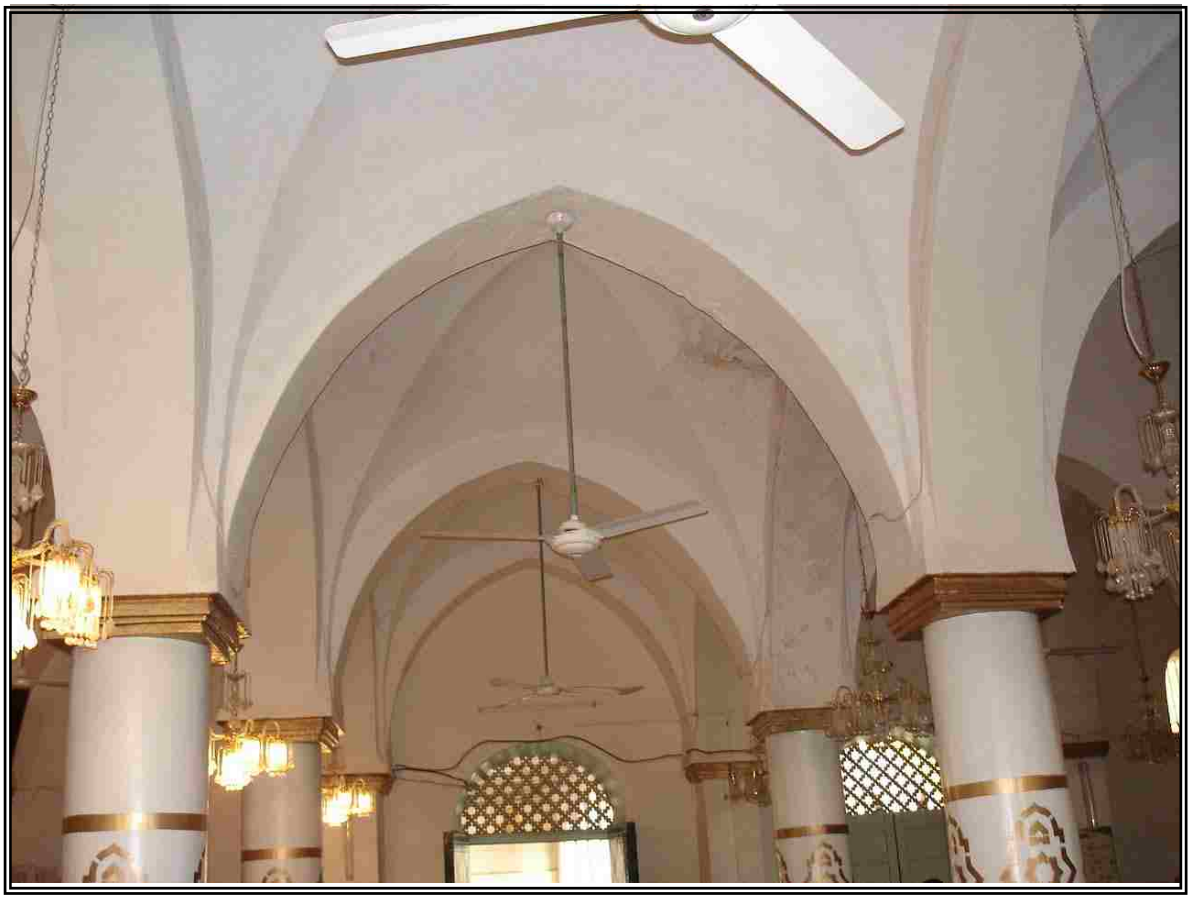

اللوحة رقم 05 : بيت الصلاة للمسجد العتيق بطولقة

اللوحة رقم 06 : مئذنة المسجد العتيق بطولقة

اللوحة رقم 07 : بيت الصلاة لمسجد سيدي مسعود

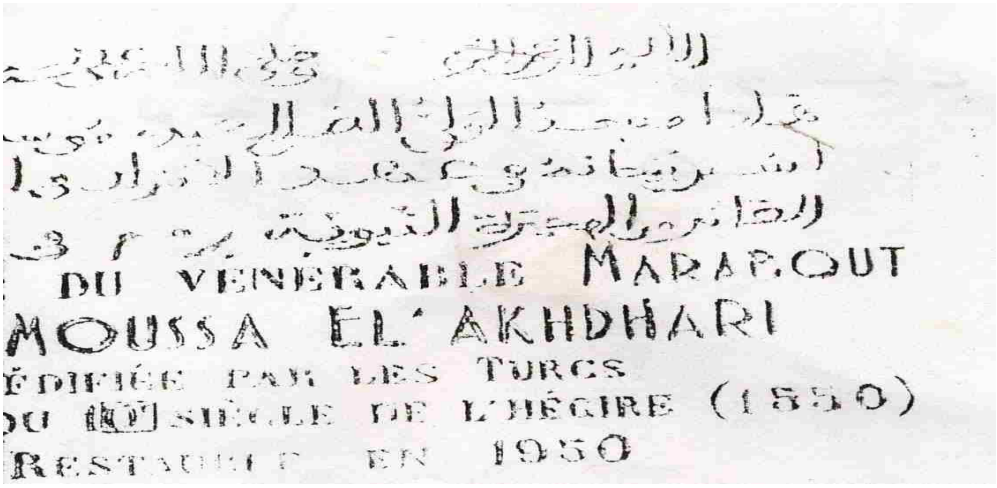

اللوحة رقم 08 : لوحة رخامية تمثل سنة ترميم مسجد سيدي موسى الخدري

اللوحة رقم 09 : بيت الصلاة لمسجد سيدي موسى الخدري

اللوحة رقم 10 : مئذنة سيدي موسى الخدري

اللوحتان رقم 11 ـ 12 : ما تبقى من مسجد أبي الفضل

اللوحة رقم 13 : مئذنة سيدي خالد

اللوحة رقم 14 : بيت الصلاة لمسجد سيد مبارك

اللوحة رقم 15 : لوحة تخلد ذكرى وفاة القائد والفاتح عقبة بن نافع

اللوحة رقم 16 : ضريح عقبة ابن نافع

اللوحة رقم 17 : ضريح خالد بن سنان العبسي

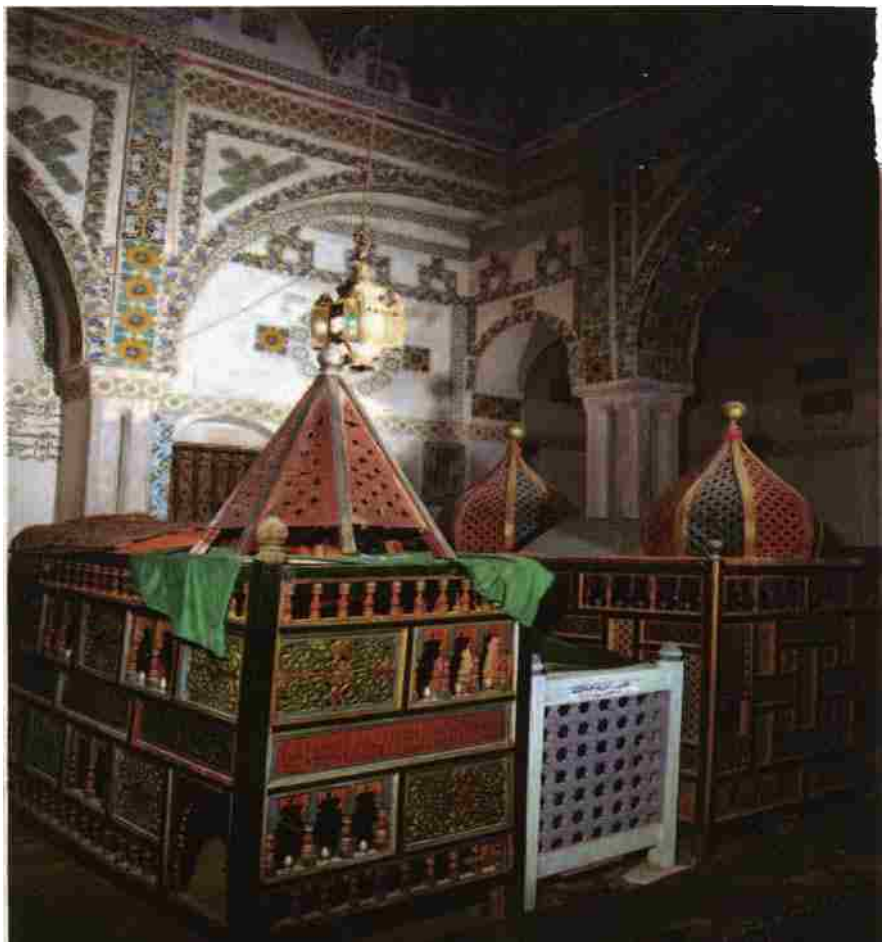

اللوحة رقم 18 : ضريح العائلة المختارية

اللوحة رقم 19 : ضريح سيدي مبارك

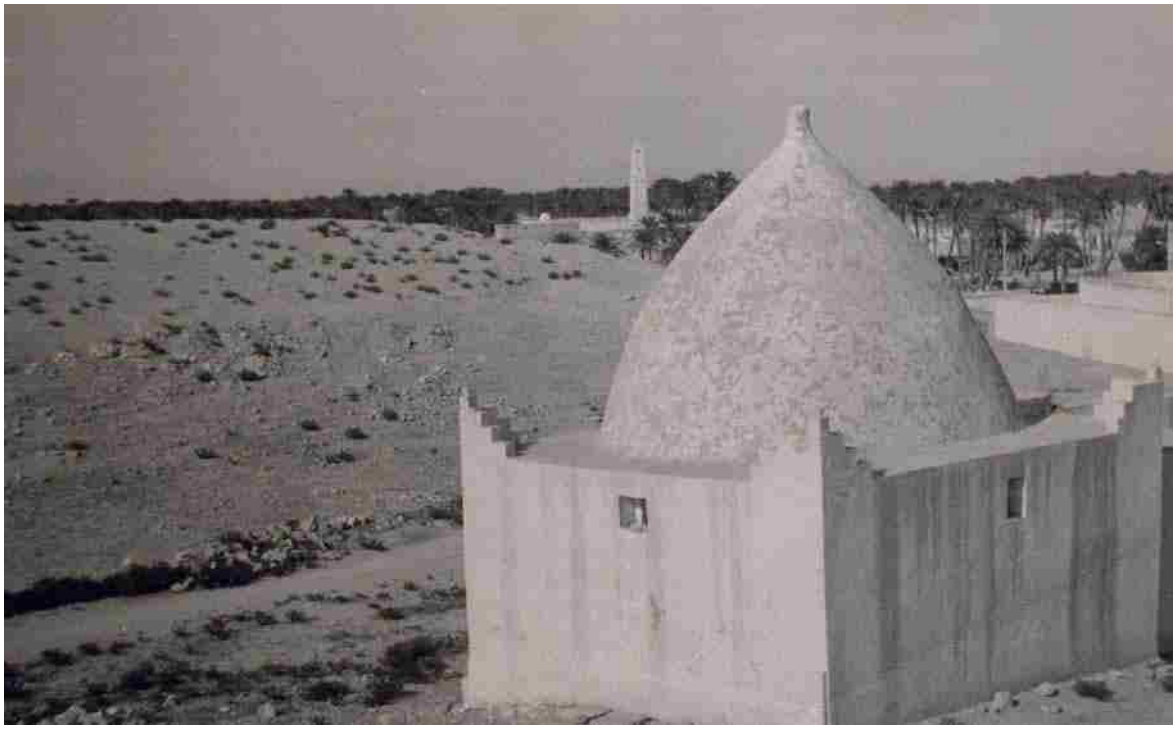

اللوحة رقم 20 : ضريح سيدي سليمان

الصورة رقم 21 : ضريح ومصلى سيدي عطية

اللوحة رقم 22 : زاوية الشيخ على بن عمر حاليا

اللوحة رقم 23 : الطابق الأرضي لملاحق زاوية الشيخ علي بن عمر قديما

اللوحة رقم 24 : الطابق العلوي لملاحق زاوية الشيخ علي بن عمر قديما

اللوحة رقم 25: مكتبة زاوية الشيخ علي بن عمر

اللوحة رقم 26 : كتب ومخطوطات نادرة في مختلف العلوم بزاوية الشيخ علي بن عمر

اللوحة رقم 27 : المدرسة الناصرية

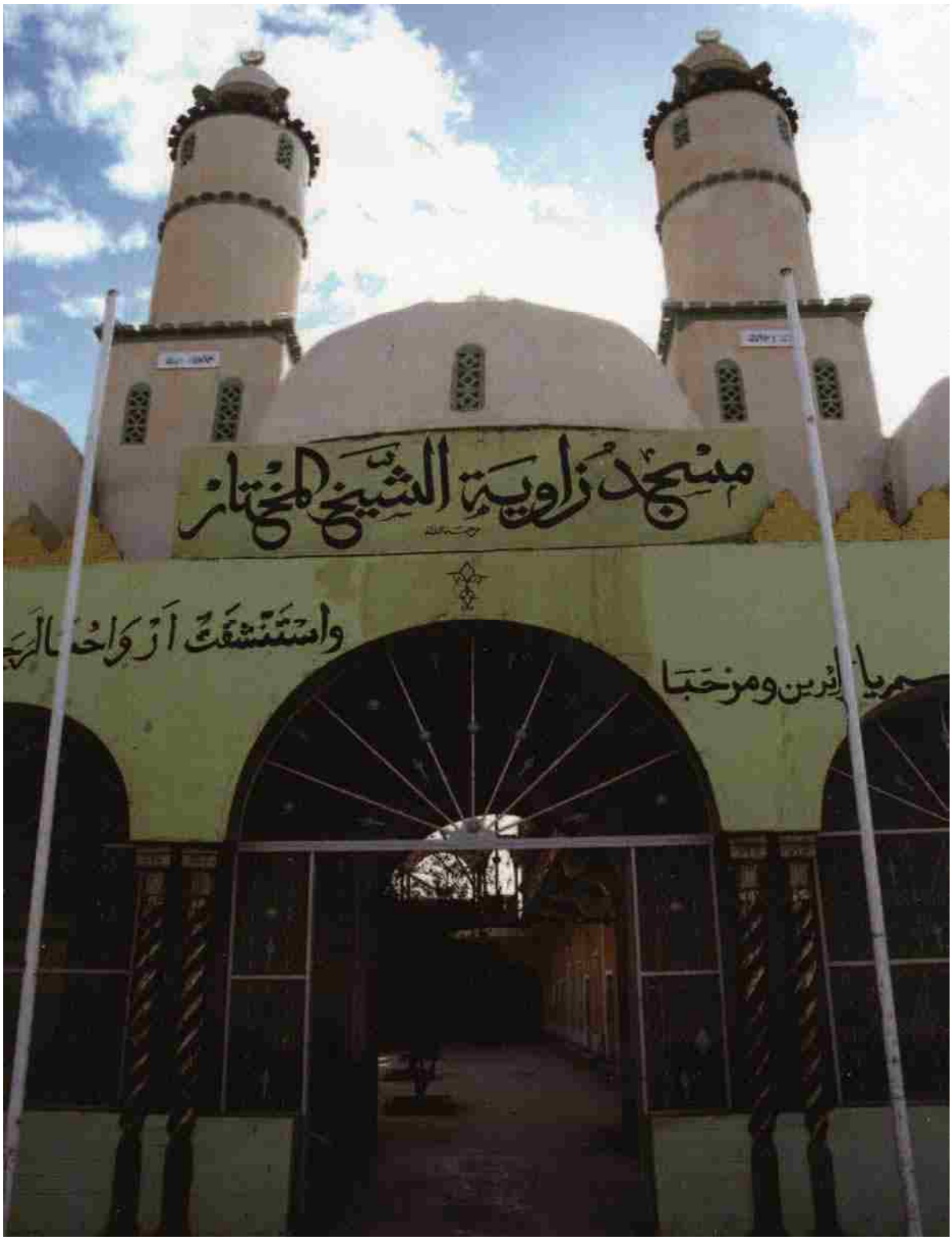

اللوحة رقم 28 : زاوية الشيخ المختار

اللوحة رقم 29 : بقايا آثار قصر الدوسن

اللوحة رقم 30 : قطعة فخارية وجدت بقصر الدوسن

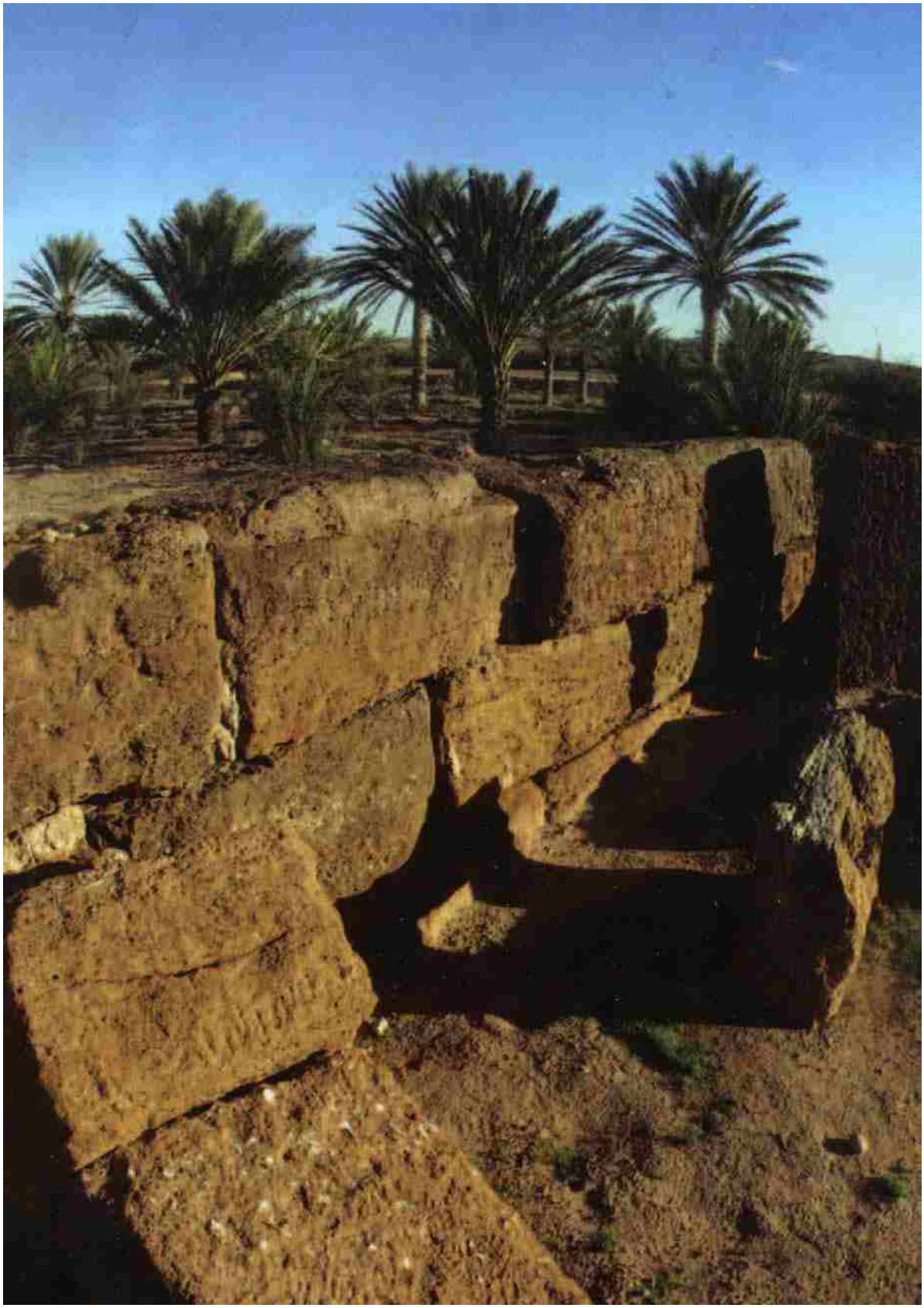

اللوحة رقم 31 : بقايا قصبة أولاد جلال

اللوحة رقم 32 : مسكن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي

اللوحة رقم 33 : مسكن الشيخ العيد بن شنشونة

اللوحة رقم 34 : مسكن من أوماش

اللوحة رقم 35 : مسكن من فرفار

اللوحة رقم 36 : لوحة جيرية بمدخل رباط بن عزوز تشير إلى سنة الترميم

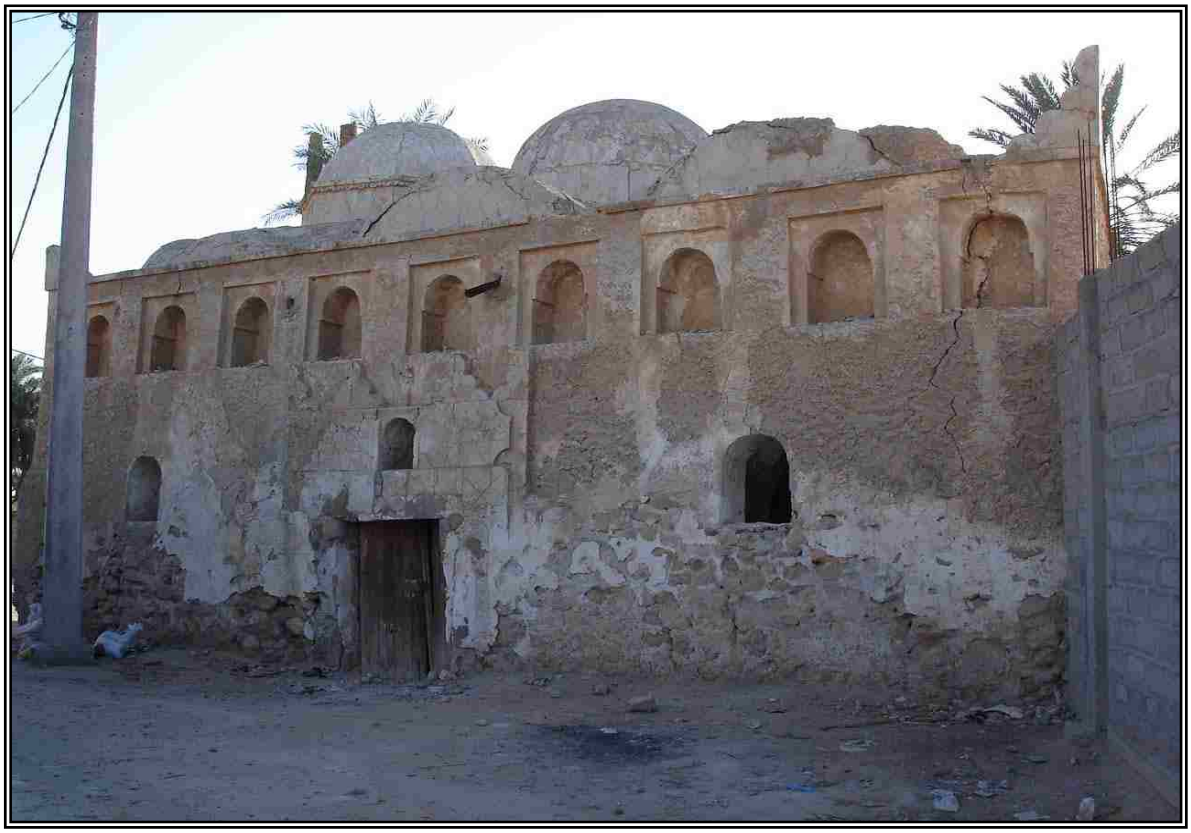

اللوحة رقم 37 : واجهة رباط بن عزوز

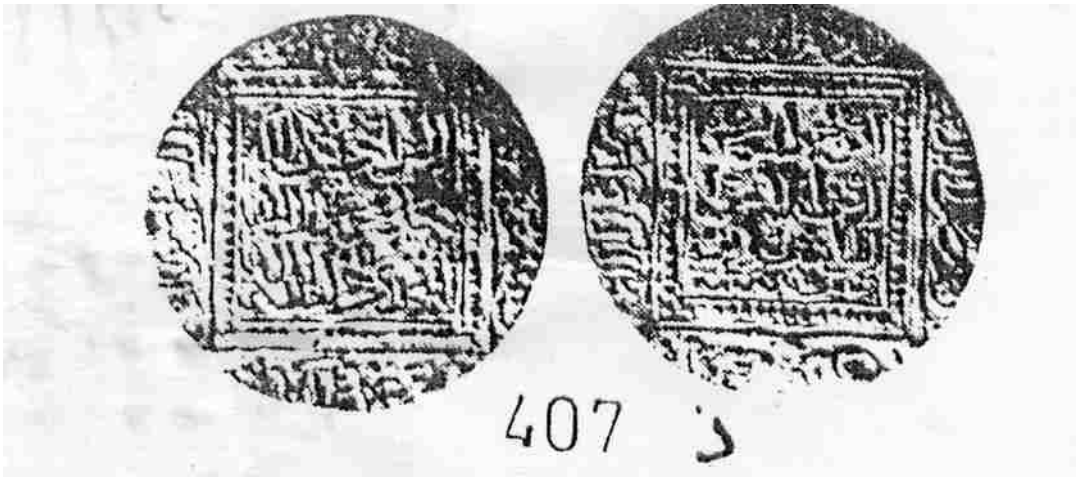

اللوحة رقم 38 : دينار أبو يحي أبو بكر المتوكل على الله
(الوجة والظهر)

اللوحة رقم 39 : دينار أبو فارس عبد العزيز
(الوجه والظهر)

ثبت المصادر والمراجع

قائمة بالمصادر والمراجع

قائمة المصادر العربية :

القرآن الكريم

ـ ابن أبي زرع علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملـوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1973،

ـ ابن الحاج النميري ، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب،تحقيق، محمد بن شقرون، طبعة دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1990،

ـ ابن القاضي أحمد ، جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، الجزء الأول، الرباط، 1973 ،

ـ ابن مرزوق ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا ابن الحسيْن، تحقيق ماريا خيسوس بعييرا، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1980

ـ أحمد بن داود ، العقد الجوهري، د،ت ،

ـ الإدريسي أبو عبد الله ، المغرب العربي ، من كتاب نزهة المشتاق ، حقق ونقله إلي الفرنسية، محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1983

ـ البكـري أبو عبد الله ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية، طبعة دوسلان، الجزائر، 1857،

8 ـ، البلاذري أحمد بن يحي ، فتوح البلدان،ـ تحقيق رضوان ، المطبعة المصرية، الأزهر، القاهرة، 1932،

ـ الدرعي ، رحلة الدرعي الأحوال الثقافية والسياسية للجنوب الجزائري، من خلال رحلة الدرعي، المكتبة الوطنية ، الجزائر، د ، ت ،

ـ الشلاطي محمد بن علي، معالم الاستبصار بتفصيل الأومات ومنافع البوادي والأمصار،الجزائر 1192 النسخة الأصلية توجد في مكتبة الكونغرس الإمريكي،

ـ العبدري محمد البلنسي،الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو،الجزء الثاني،نشر كلية الآداب الجزائرية، د،ت،

ـ العياشي أبي سالم ، مخطط محفوظ بالمكتبة العثمانية بطولقة ، الجزء الثاني 1198، 1783م ، تحقيق أحمد بن أحمد التونسي ،د،ت،

ـ المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، الدار البيضاء، 1978،

ـ المقديسي أبو عبد الله ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية، ليدن، 1909

ـ الناصري ، الرحلة الكبرى للناصري، مخطوطة مصورة بالخزانة العامة بالرباط رقم 2651، د ، ت ،

ـ النصيبي ابن حوقل ، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، د،ت

ـ الورتلاني حسن بن محمد ، نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار ، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1974،

18 ـ الوزان الحسن بن محمد ،وصف إفريقيا، الجزء الثاني،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، 1983

ـ اليعقوبي ، معجم البلدان ، الجزء الثاني ، طبعة ليبزيج 1867
ـ زكريا بن محمد بن محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1380 هـ ،
ـ سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984.
ـ عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ البربر، الجزءان ، الثالث والرابع، ترجمة دوسلان، بيروت، 1889،
ـ عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء السادس، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1992
ـ علي بن عمر الطولقي ، فاكهة الحلقوم في نبذة قليلة من أخوال القوم، رسالة محفوظة في مكتبة طولقة ،
ـ كاربخال مرمول ، فريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد زبير، محمد الأخضر وأحمد توفيق وأحمد بلون، الجزء الثالث، مطبعة المعارف الجديدة، 1984.
ـ لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثالث، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، تحقيق، أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، نشر دار الكتاب ، الدار البيضاء، 1964.
ـ مؤلف مجهول ، جواهر المحتاج في شرح السراج ، مخطوط محفوظ في زاوية طولقة ، د ، ت .
ـ محمد الطاهر التليلي القماري ، اتحاف القارئ ، مخطوط بزاوية طولقة،
ـ محمد الموهوب بن عبد المجيد ، مخطوط عائلي... 1982.
ـ محمد عبد الرحمان الأزهري ، رسائل ، الخزانة العامة ، الرباط رقم 956.
ـ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، الجزء الأول ، طهران 1965 .

ثانيا : قائمة المراجع باللغة العربية :

ـ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16 ـ 20م)، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، ة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
ـ الأيوبي مقدم الهيثم ، موضوع التحصينات العسكرية ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول، مطبعة الوسط، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروط، 1977.
ـ الخربوطي علي، الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة 1970.
ـ الصنهاجي أبو جماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
ـ الكعاك عثمان ، مراكز الثقافة في المغرب ، القاهرة، 1958،
ـ اليسيف نيكيتا، المدينة الإسلامية، الخطيط المادي ، ترجمة، أحمد تغلب السيكومور ، فجر اليونسكو، 1983.
ـ بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
ـ بن قربة صالح ، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
ـ بورويبة رشيد، الكتابات الأثرية بالمساجد الجزائرية، ترجمة شبوح إبراهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1979.
ـ جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي ، الجزء الرابع ، طبعة القاهرة، 1958.

- جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، المجلد الثاني،
- حامد (العجابي)، جامع المسكوكات المغربية بإفريقية، المعهد القومي للآثار والفنون، المطبعة الرسمية للجهورية التونسية،د،ت.
- حسن الباشا ، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية ، مصر، 1979.
- رابح بونار، مجاعة قسنطينة ، الشركة الوطنية للنشر 1974.
- زكي محمد حسن ، فنون الإسلام ، دار الرائد العربي ، بيروت 1981.
- سالم السيد عبد العزيز ، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، الجزء الثاني، الذبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1979،
- سعد زغلول عبد الحميد ـ تاريخ المغرب العربي، الجزء الأول، بيروت، 1998،
- عاشور الخنقي، منار الاشراف ومواليهم من الأطراف، الجزائر، 1914،
- عبد الأحد السبتي حليمة فرحات ، المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ المغرب الإسلامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1994،
- عبد الجواد أحمد توفيق ، تاريخ العمارة في الفنون الإسلامية ، الجزء الثالث، المطبعة الحديثة، القاهرة، د،ت،
- عبد الرحمان ابن الحاج علي بن عثمان ، الدر المكنوز ، مطبعة النجاح ، قسنطينة، د،ت ،
- عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، الطبعة 7، الجزء الثاني والثالث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د،ت
- عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة ، سلسلة كتاب الثقافة، الكويت، 1988،
- كما الدين سامع ، العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتابن القاهرة، 1982،
- لقبال موسى، عقبة بن نافع ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ،
- لمعي صالح مصطفى ، القباب في العمارة الإسلامية، بيروت، د،ت،
- مؤيد عقبي ، أضواء على حياة خالد بن سنان العبسي ، المطبوعات الجميلة ، الجزائر، د . ت.
- مايسة محمود داود، المسكوكات الفاطمية بمجموعة الفن الإسلامي بالقاهرة، دراسة أثرية وفنية،دار الفكر العربي، مصر، د.ت.
- مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- نجيب محمد مصطفى ، العمارة في العصر العثماني ، القاهرة تاريخها وآثارها، مطابع الأهرام التجارية، 1970.
- نسيب محمد ، زوايا العلم والقرآن بالجزائري، دار الفكر، دمشق، الجزائر، د . ت.

ثالثا : قائمة المراجع باللغة الأجنبية :

- Berthlot (A): L'Algérie Saharienne soudanise ce qui en ont connu les anciens,Paris, 1972
- Dannadien(c et p) Habiter le dessert, les maisons mozabites imprimé en Belgique. 1987
- Devoulx (A) Les édifices de l'acien Alger, typographie Bastide. Alger.S.D.
- Diez (E) l'art de l'islam. Paris. S. d.
- Duveyner (H) sahara Algerien et tunisien , Paris, 1955.
- louis (K) marabouts khouans, Alger 1884.

- Marcais (G)	l'architecture musulmane d'occident. Tunisie. Alger.Maroc, Espan, Sicile, Atr et metiers graphique , Paris, 1954,
- Marcais (G)	Le tombeau de sidi Okba in M . H . A on Tome 1. 1957.
- Marcais (G)	art musulman presse universitaire de France Paris, 1962.
- Ravereau (A)	Le mzab une leçon d'architectur précédé en architectur par Hassan fakry sindbad, Paris, 1981.
- Thaumas (shau)	voyage dans la regence d'alger au 18 siecles. Traduit de L'anglais par.E.macarhy (1830), G.A.L. Alger, 2007.
Bourouiba (R)	Apport de l'algerie à l'architecture religieuse Arabo islamique. O.P.U. Alger 1986
Carette (E)	La caravane vers la macque in anmaire de voyage, 1854.
Daumas (E)	Le grand désert ou interaire d'une caravane du sahara ou pays du negeres, Paris, 1849.
Gsell Stephan	L'atlas Archeologique Algerienne. feuille 48. 1957.
Haédo (D)	Histoire des Rois d'Alger G.A.L. Alger. 2004
Hazard (H.W)	The numismatie history of the late medeival of the north. Afriquain the American numistic society New-york , N°08, 1952.
L . Ehuraux	Le sahara ses oasis III ustration de Léon carré édition Baconier, Alger, 1934,
Le thielleux (j)	Owargla. Cité saharienne libiraire. Quentaliste Paul. G. Euthne,1983.
Mazahary (A)	La vis quetidienne de musulmane au moyen age X eme XIIIeme, 1951.
Muller	Notices aux indiques dans la lybie interieur, édition de ptolemée, S.d,
Prax (M)	Commerce de l'Algerie avec la macque et le Soudane rouvier, Paris, 1849.
Raymond (A)	Artisons et commercent du caire au XVIII eme siecle , 02 Vols, Damas, 1973.
Syndicat Biskra et le Sahara	Constantinois , imprimerie Algerienne. Alger 1921/

رابعا : الدوريات والمجلات باللغة الأجنبية :

Algerie et Sahara, Encyclopédie et maritime.Paris. Tome II.1948.

Cherbonneau Annuaire de con

Couvet (C), Les Marabouts, petits monoments jumeraires et votifs du nord de d'Afrique, Revue.Afticane, N°24. Paris.1923

Delattre: Recueil de Constantine, Volume XXV; 1888-1889.

La grande.Encyclopédie.Mausolé.T.23.Paris. S.d

M.G.de volpillieres, monographie de Biskra et du SAHARA. Constantinois,

Monographie Historique et geographique de la Trubu des Ziban, Recuil des notices et mémoire de Constantin Volume 44. Constantine 1910,

Nadir M Marouf. Elément d'Analyse des Ksour, Espaces Maghrebine pratiques et en jeux, Acte du Colloque de Taghit, 23-26 Novembre 1987. ENAG,Edition,Algérie.1989,P85.

Nizam(K. A) le (******)) E.I.T1/X Nellid,Brill. 1998

R.Capot Rey, Greniers domestiques et grenier fortifiés au Sahara, le cas de Gourara Travaux de l'institu, de recherches Sahariennes,t14,1956,p151

Revue d'etude islamique XLX.1976

Toussaint: Bulletin de comité.1905.

Victor priquet , la civilisation de l'Afrique du nord. Revue Africaine

خامسا : الرسائل والمجلات والأطاليس والدوريات باللغة العربية :

ـ ابن منظور ، لسان العرب، الجزء الثاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955

ـ أبو القاسم سعد الله ـ مدارس الثقافة العربية في المغربي بين 1830 ـ 1954 ، عن مجلة الثقافة، عدد 76، وزارة الثقافة، الجزائر،1984،

ـ الأيوبي مقدم هيثم ، مقال الأسوار، الموسوعة العسكرية، الطبعة الثانية، دار الفارس للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية، بيروت، 1990،

ـ الرباط ناصر ، مقدمة لتطور السوق بمدينة دمشق من القرن 7م ، حتى القرن 9م، الحوليات النورية، 1985.

ـ العربي بوغديري ، سكان الخنقة وتبويحميت ، محاضرة ألقاها في الذكرى الرابع لتأسيس الخنقة ، 1989، مقال.

ـ بوعزيز يحي، طرق القوافل واسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة الجزائر، العدد 90/1980 .

ـ رعد سعيد محمد ، الموسوعة العسكرية ، مقال الخندق، الجزء الثاني، مقال الخندق ،دمشق ، 1985.

ـ سجلات الأرشيف الوطني الجزائري ، مجموعات البايليك وبيت المال والوثائق الشرغي رقم (12) قسنطينة.

ـ شهبي عبد العزيز ، ثلاثة مساجد بالشرق الجزائري، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1976.

ـ علي نصير دكار ، المعاني اللغوية لبدة حصن وأحواضها، مجلة الأنباء ، العدد 11، 1991.

ـ مجلة الفكر العربي ، معهد الإنتماء العربي، بيروت، العدد 20 ، مارس ـ أفريل 1981.

ـ محمد عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباسن مطابع هيدلبراغ ، 1984.

نقادي سيد محمد ، التصميم العمراني لمدينة تلمسان ودلالته الاجتماعية، رسالة ماجستير، 1991.

أولا : فهـــرس الأعـــلام

الاسم واللقب	رقم الصفحة
إبراهيم الأغلب	11
إبراهيم بن أحمد	11
ابن غانية	106.14
أبو الحسن	14
أبو جعفر المنصور	89.70
أبو فارس عبد العزيز	129
أبو يحي أبو بكر	128
أبو يحي المتكل على الله	127
أبي الحسن بن أبي يعلى	14
أبي الفضل	44.31
أبي خفاجة	11
أبي عبد الله محمد الأغلبي	11
أحمد بن الحاج التواتي	23
أحمد بن عمر بن الشريف	35
أحمد بن ناصر بن محمد	120.101
الحاج محمد السعي	35
الرسول صلى الله عليه وسلم	117.20
العيد بن شنشونة	79
الكاهنة	22
المختـار	59
المعز بالله	13
المعز بن باديس	24.22.14
اليـازوري	13
بلكين بن محمد بن حماد	14
بن المبروك بن الطيب	36.35
بن عزوز	94.93.77.53
جعفر بن أبي رمان	13
خالد بن سنان العبسي	.132.45.33.32
خلف بن أبي حيدر	14

دومـال	16
زيادة الله بن عبد الله	12
سعـادة	132.92.53
سيدي بركات	15
سيدي سليمان	51
سيدي عبد المومن	49.37
سيدي عطية	52
سيدي علي بن عثمان	50
سيدي مبارك	131.48.36.35
سيدي مسعود	42,31.27
صالح رايس	98
عبد الحفيظ الخنقي	76.75
عبد الرحمان	31
عبد الرحمان الأخضري	57.34.32
عبد العالي عيسى	33
عبد القادر عثمان	54
عبد الله الشيعي	112
عقبة بن نافع الفهري	131.90.41.29.27.25.22.21.11
علي الزبيري	23
علي بن عثمان	54
علي بن عمر	59.55.54
فرنسيسكو دوميسنيروس	15
كسيلة	27
ليوا الأصغر	10
ماسنيسا	10
محمد الصالح	38
محمد العيد بن محمد السوفي	93
محمد بن خزر الزناتي	12
محمد بن عمر التونسي	23
موسى الخدري	131.43.29
يحي بن غانية	14
يعقوب بن علي	82
يوسف بن مزني	97

ثانيا : الأماكن والمدن :

أسماء الأماكن والمدن	رقم الصفحات
أدنـــة	12.7
آسيـا	10
آشيــر	12
اقليم الزاب	131.92.85.83.81.79.74.73.72.70.60.7
إقليم توات	76.73.70
الأغواط	114
الأوراس	75.70.22.14.12
البرج	7
الجزائر	114.7
الجلفة	8
الحضنة	11
الدوسن	132.83.72.70.67.52.51.50.8
السودان	116.112.110
العباسية	12
القنطرة	9
القيروان	36.21.13
المدية	114
المسيلة	114.13.12
المغرب	7
المهدية	14.13
الوادي	106.8
الوطاية	114
امليلي	96.57.34
أولاد جلال	123.119.103.100.85.83.73.59.47.9.8
أوماش	97.80
إيران	53
بئر البقرات	114
بـاتنة	8
باديس	14.12.7
بجـاية	16.14
برج بن عزوز	93.76

بريكة	114
بسكرة	.97.96. 89.80.77.75.74.73.72.70.64.60.44.43.38.22.16.15.14.13.12.11.10.9.8
	133.131.130.129.128.127.125.124.118.116.114.112.111.110.104.103.100.99.98
بشار	114
بنكيوس	132.96.85.70.12
بني سويك	79.49.37
بوسعادة	114
بوطاية	8
تاهرت	7
تلمسان	7
تنومة	83.70.7
تهودة	104.72.11.8
تونس	43.29.16
جمورة	49.37
جميلة	83.12
حباس	15
خنشبة	8
خنقة سيدي ناجي	120.101.75.56.48.35
زريبة الوادي	72.9
زريبة حامد	111
زمورة	114
سجلماسة	7
سطيف	11
سيدي خالد	58.74.9.8
سيدي عقبة	45.24.23.11.9
شتمة	99.42.27
شط الجريد	7
شط ملغيغ	9
صقلية	40
طبنة	12.7,
طولقة	126.121.114.111.103.96.92.82.77.54.25.12.8
عين ماضي	114

ثالثا: فهـــرس الشعوب والقبائل

أسماء القبائل والشعوب	أرقام الصفحات
أعراب أولاد سالم	68
البربر	10
الدواودة	97.72
أولاد سيدي سليمان	51
أولاد سيدي موس	75
بني الأغلب	7
بني بلطيط	11
بني رمـان	14.13
بني زيـري	13
بني سندي	14.13
بني مزني	97.17.16
ريـاح	82.72
زنـــاتة	10
صدراته	120
قبيلة سرحانية	75
لواتـــة	120.10
مادغيس البتر	10
مازيغ بن كنعان	10

فهرس الموضوعات

* البسملة.
* الدعاء .
* الإهـداء.
* شكر وعرفان
*كلمة شكر.
* المقدمة : 1
* مدخل عام : 7
الفصل الأول : جرد المعالم والمواقع الأثرية الدينية في العهد الإسلامية.
ـ تمهيد : 20
ـ المساجد : 21
- الأضرحة: 39
ـ الزوايا: 53
خلاصة الفصل: 60
قائمة إحصائية للمواقع والمعالم الأثرية الدينية الإسلامية لمنطقة الزاب(بسكرة)..... 61
الفصل الثاني : جرد المعالم والمواقع الأثرية المدنية في العهد الإسلامية.
ـ تمهيد :..... 64
ـ القصور والقصبة: 65
ـ المساكن :..... 74
خلاصة الفصل : 85
قائمة إحصائية للمواقع والمعالم الأثرية المدنية الإسلامية لمنطقة الزاب(بسكرة) 86
الفصل الثالث : جرد المعالم والمواقع الأثرية الدفاعية في العهد الإسلامية.
ـ تمهيد :..... 89
ـ الأربطة:..... 90
ـ الحصون : 95
ـ التحصينات الدفاعية (المرافق ذات الغرض الدفاعي): 102
أ ـ الخندق: 103
ب ـ الأسوار : 104
جـ ـ الأبراج : 105
خلاصة الفصل : 106
قائمة إحصائية للمواقع والمعالم الأثرية العسكرية الإسلامية لمنطقة الزاب(بسكرة): 107
الفصل الرابع : المرافق العامة في العهد الإسلامية.
ـ تمهيد :..... 110
ـ شبكة المواصلات : 111

ـ الأسواق :..... 115
ـ الوكالات التجارية :..... 122
ـ الحمامات :..... 125
ـ دار الضرب :..... 127
خلاصة الفصل : 130
قائمة إحصائية للمرافق العامة الإسلامية لمنطقة الزاب (بسكرة) : 131
* الخاتمة العامة : 132
* ملحق الخرائط والصور :..... 135
* ملحق الأشكال : 181
* ملحق الصور: 212
* ثبت بالمصادر والمراجع :..... 237
* الفهـارس :
* فهرس الأعلام : 243
* فهرس الأماكن والمدن :..... 245
* فهرس القبائل والشعوب :..... 247
* فهرس الموضوعات:..... 248